وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

الخطة الوطنية للترجمة
٦

الأسطورة اليونانية



تأليف:
الأب فؤاد جرجي بَربارة

الأسطورة اليونانية

الخطة الوطنية للترجمة
(٦)

الأسطورة اليونانية

تأليف :
الأب فؤاد جرجي بربارة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة — دمشق ٢٠١٤م

صدرت الطبعة الأولى ضمن منشورات
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
دمشق - ١٩٦٦

مفتتـح

مـن يـسعى للولـوج في عـالم الأسـطورة اليونانيـة يجـد أنهـا مـن أغنـى الميثولوجيات في العـالم، وأنهـا أثّـرت كـثيراً في ثقافـات العـالم الأوروبـي وضـفاف البحر الأبيض المتوسط بخاصة. وبنى عليها كبار الكتّاب في العالم نصوصاً أدبيـة نفيسة، واستوحى مضامينها موسيقيون لامعون في التراث الموسيقي الكلاسـيكي، وابتكر أفكارها فنّانون مهمون في العالم من رسامين ونحاتين وسينمائيين.

ولم تتغلغل الأسـطورة اليونانيـة في الـتراث الأدبـي والفـني في الغـرب، بـل أيـضاً في البلـدان العربيـة المحيطـة بـالبحر المتوسـط. ألم يكـن هيكـل جـوبيتر دامسكينوس في دمشق من الـصروح الكـبرى في بـلاد الـشام، بالإضـافة إلى هياكـل بعلبك مدينة الشمس وأوابد تدمر وجرش...؟ تنتشر في شتى أصقاع هذه البلدان التماثيـل والزخـارف وقطـع الفسيفـساء الـتي تمثـل آلهـة اليونـان وآلهاتهـا؟ ألم يوظف توفيق الحكيم على سبيل المثال الأسطورة اليونانية في عدد من مسرحياته (مثـل الملـك أوديـب وبيجمـاليون وبراكـسا)؟ ألم تـأتِ ترجمـة سـليمان البـستاني للإلياذة شعراً من أهم الكتب العربية التي صدرت في القرن العشرين؟

لقـد وصـلت إلينـا الأسـاطير اليونانيـة عـن طريـق النـصوص الإغريقيـة العتيقة كملحمـتي هـوميروس (الإليـاذة والأوذيـسة) وقـصائد هيزيـود، لاسـيما كتـاب "نـشأة الآلهـة"، والمسرحيات الإغريقيـة الكـبرى (اسـخيلوس، سـوفوكليس، يوريبيذيس وأريستوفانِس وأعمال لوقيانوس السميساطي). ووصـلت إلينـا أيـضاً عن طريق الأعمال الفنية كالأواني الفخارية والفسيفـساء والتماثيـل والـصروح، لاسيما الدينية منها.

وخطـاب الأسـطورة اليونانيـة هـو خطـاب يـروم فهـم العـالم وتفـسيره. وللعنصر الديني في هذه الأسطورة حيّز مهم، دون أن يرتكز دين الإغريق على اللاهوت وعلم الكلام والماورائيات أساساً، لأنه استند إلى مقولتي المقدس والمدنس. ويتقاطع الخطاب الأسطوري مع الخطاب التاريخي، فدوّنت الأسطورة المراحل الأساسية من تاريخ اليونان: نشأة مدينة أثينا وحضارتها وشرائعها ودساتيرها، الطوفان الذي أنزله زوس على الأرض ونجاة ذوكاليون (ابن بروميثيوس) وذريته، حرب طروادة، الخ. ومن بين المؤرخين الذين حاولوا تسليط العقل على القصص الأسطورية، لابد من ذكر هيكاتيوس، وبخاصة هيرودوت وتوكيذ يذوس وذيوذوروس الصقلي، الذين استبعدوا بعض الأساطير السحرية والتمائمية وحاولوا تنقية الأساطير من عوالقها الشعبية ومن شطح الخيال.

أما الفلاسفة فهم الذين أنسنوا الأساطير وعقلنوها. هذا بيثاغوراس الذي حاول تطويع الأساطير للرياضيات والصوفية؛ وهذا أناغساغوراس الذي حاكمته أثينا بالطرد لأنه ادعى أن الشمس صخرة عادية مشعة؛ وهذا أفلاطون الذي أقام معارضة بين الميثوس كحكاية كاذبة والخطاب العقلي "اللوغوس" الذي يجب أن يهتدي به الفيلسوف، ولكنه لم يستبعد الأسطورة من حوارياته، لا بل خلق هو نفسه بعض الأساطير مثل أسطورة الكهف وأسطورة الأطلنتيس. ويبقى أرسطو الفيلسوف الأول الذي ركّز على العقل والمنطق وخفف كثيراً من وقع الخطاب الأسطوري الخيالي على الخطاب الفلسفي المنظّم.

والجدير بالذكر أن جمهرة الأساطير انتظمت شيئاً فشيئاً في اليونان، متأثرة بتطور العلوم والفنون والأفكار، فصارت لها طبقات وشرائح ووظائف وتراتبية. فتكلمت عن نشأة الآلهة والانقلابات التي حصلت في عوالمهم إلى أن استقرت الأمور لزوس الذي نظم شؤون الأولمب، على غرار ملك حكيم وحصيف ينظم شؤون مملكته: له السماء والأرض، ولأخيه بوسيذون البحار والمحيطات، ولأخيه الثالث هاذيس الجحيم والعالم السفلي. ووزع الوظائف الأساسية بين أولاده وبناته وذويه

(أثِنا وأريس لشؤون الحرب، أبولون لشؤون الفن والأدب والموسيقى، أَفروديت لشؤون الأنوثة والجمال والغواية، هرميس لشؤون البريد والسعاية، أرتميس لشؤون الصيد والسحر، ذيونيسوس لشؤون الرقص ومعاقرة الخمرة...).

وتكلمت عن خلق البشر ضعفاء وخائري القوى، وكيف أن الفنان بروميثيوس أنصفهم بأن أعطاهم شعلة النار والنور التي استلّها من الأولمب، فأصبحوا مستنيرين بنور العقل. وفي كتاب "الأعمال والأيام" لهزيوذ، يذكر ظهور سلسلة من الأعراق البشرية: العرق الذهبي، العرق الفضي، العرق النحاسي، العرق الحديدي؛ وأتت كلها بالتسلسل التاريخي الأسطوري. وبين الآلهة والبشر علاقات كثيرة ومتواشجة.

وخصّت الأسطورة اليونانية بعض البشر بامتيازات إلهية خارقة، سُمّوا أبطالاً مكرّمين مبجلين كقدموس الفينيقي الذي اختطف زوس أخته أوروبا، وكآخيل (اخيلفس) بطل الإلياذة وأوليس (أوذيسفس) وثيزيه (ثيسيوس) وهرقل الشهير ...

وقصارى القول إن الأسطورة اليونانية وصفت جميع عناصر الطبيعة وجعلتها تحت هيمنة الآلهة الصغار منهم والكبار؛ مما يدل على أنها فسيحة الأرجاء بحيث تشمل السماء والأرض والبحر والجحيم بكل ما فيها من شخوص ومخلوقات.

لقد أصدرت وزارة الثقافة الطبعة الأولى من كتاب "الأسطورة اليونانية" للأب فؤاد جرجي بربارة عام ١٩٦٦. ولأهمية الكتاب ونفاذ نسخه، يُسعد الهيئة العامة السورية للكتاب أن تعيد نشره، لاسيما وأن مؤلفه ضليع في الإغريقيات وترجم عدداً من أعمال أفلاطون وأرسطو مباشرة عن اليونانية؛ ويعتبر من أهم المختصين بالفكر الإغريقي الذي أخذت الهيئة العامة السورية للكتاب إعادة نشر معظم هذه المترجمات النفيسة والأنيقة لغةً ومضموناً.

د جمال شحيّد

اصطلاحات

أثبتنا الأسماء اليونانية على لفظها الأصلي، وهذا هو المرعي في أيامنا. وقد استعملنا للنطق بها في لغتنا العربية العلامات أو الحركات التالية:

ڤ = هذه النقاط الثلاث فوق الفاء تحوّلها إلى v اللاتينية فيفي = Phivie.

پ = هذه النقاط الثلاث تحت الباء P بيْلُبْسْ− Pélops.

ـَـُ = الفتحة تعلوها الضمة تعادل حرف o عندهم مُوْرُس = Moros.

ــٍـ= الكسرتان تحت حرف من الأحرف تعادلان é عندهم ملْبُمِبنْي: Melpoménie.

وبهذه الاصطلاحات السهلة نتمكن من لفظ أي كلمة يونانية في لغتنا العربية.

المؤلف

أ. ف بربارة

مصادر الأسطورة
وتطور اعتقاد الأقدمين بها

لم تنشأ الحضارة اليونانية، شأنها في ذلك شأن غيرها من الحضارات، من تربة يونانية مستقلة لا صلة لها ببلدان أخرى أو حضارات سابقة. فقبل الحضارة اليونانية بآلاف السنين مدنيات وحضارات أنيقة مزدهرة كالمصرية والسومرية والفينيقية والهندية والصينية وغيرها. فلا بد أن تكون تلك الحضارة قد تأثرت بهذه الحضارات بصورة ما.

وقد عرفت جزيرة كريتي حضارة عالية نشأت وترعرعت فيها حوالي القرن الثلاثين قبل المسيح، وقد حفظت إلى يومنا هذا بعض معالمها الفنية والدينية، نظير "باريسية اكْنُوسُسْ" التي تكاد تكون معاصرة بقص شعرها وملبسها وحلاها.

وقد سيطرت هذه الجزيرة على البحار الإغريقية حقبة من الزمن، كما سيطرت عليها فيما بعد مدينة أثينا. فنشرت في البلاد التي بلغ إليها نفوذها، ثقافتها ومعتقدها. وكما يحدث دائماً في مجال الحضارة عندما تمتزج الشعوب عقب الفتوحات، يمسي المغلوب عادة هو الغالب على الصعيد الروحي والفكري. وهو الذي يفرض من ثم حضارته وعلمه وأفكاره إن لم يفرض دينه كله أو جلّه.

وهذا ما حدث فعلاً لتلك الشعوب اليونانية القديمة فقد جاءت قبائلها على كرات متتالية وتأثرت تأثراً عميقاً بالحضارة المِكِيْنِيّة والحضارة الكَرِيتيّة وأخذت عنها الكثير في المجالات الاجتماعية والعلمية والدينية. وقد أشرنا في سيرة بعض الآلهة كهِيرا وزِفْس مثلا إلى علاقاتهم بتلك الجزيرة. هذا، مع العلم أن الكريتيين الأولين كانوا يتمثلون العزة الصمدانية في هيئة آلهة قديرة على كل شيء عدوها مصدر الخير والخصب، وسيدة الكون بأجزائه المختلفة، والساهرة عليه كله. فهي إلهة الزرع والضرع والأرض والبحر والسماء، والمسيّرة بأمرها جميع العناصر والمسيطرة على مصير الإنسان. وهذه الآلهة شبيهة بآلهة أهل الصين قديماً وحديثاً. وهذا برهان لنا على أن البشرية في القدم لم تبتدئ حتماً كما يدّعي الكثيرون من متحذلقي الغرب، بعبادة الأوثان وتعدد الآلهة. وإنما اعتقد أولاً في الأغلب بوحدانية الله وروحانيته، كما تنوّه بذلك الكتب المقدسة. ثم مع توغلها في الهمجية ابتعدت عن تلك العقيدة الصافية، وأبدلتها بمعتقدات سخيفة من نسج خيال السحرة والشعراء وأصحاب العقول القاصرة وذوي الغايات والمطامع. والبحث في هذا الموضوع طويل وليس من شأننا في هذا المقام، لأننا لا ننظر الآن في أصل الديانات ونشأتها، وإنما في تأثر المعتقد اليوناني القديم بمعتقدات أكثر عراقة منه وأشد قدماً. وعلى كلٍّ، نحن نجهل تماماً متى تكوّنت الأسطورة اليونانية، وما هي قصة نشأتها وتطورات ذلك النشوء. وتفاصيل تلك الأسطورة أو الأساطير المتعلقة بالآلهة اليونانية نراها مكتملة مركزة دفعة واحدة أو تكاد، في الإلياذة أول ملحمة رائعة عرفها تاريخ الأدب الإنساني، وفي ملحمة ثانية تفوق الأولى روعة هي الأذسية، ومعزوة مثل الأولى إلى شاعر كبير أعمى هو أشهر أو من أشهر شعراء البشرية، هُومِرُس، وقد قال عنه هِرُوذُتُس أبو التاريخ: "إنه وهِسيّذُس واضع علم اللاهوت الحقيقي عند الأقدمين". هروذتس ٢: ٥٣.

آ- طور الاعتقاد الساذج

١- الشعراء الغنائيون

١- هُوْمِرُس

يُرجّح أن هذا الشاعر قد عاش حوالي سنة ألف قبل المسيح. ففي المؤلفين المنسُوبين إليه نرى الآلهة يخالطون البشر ويتدخلون في شؤونهم تدخُّلاً مباشراً. ونرى أكثر من ذلك وهو أن الآلهة والبشر أسرة واحدة. تأتي الإلهة ثيْتِس ابنة نرِفْس إله البحر وقرينة بِلِفْس ملك ثِسَّلِيّا، وتعزّي ابنها أخِلّفْس بطل الإلياذة، وتَعِدُه بمقابلتها ربّ الأرباب فور عودته من بلاد النوبة، واستمالتِه إلى نصرة أهل اطْروادة على أعدائهم الأخائيين، لأن ملك هذا الشعب أغمِيمْنُنْ (Agamemnon) اغتصب سبيّة ابنها. وتُصوّر لنا الإلياذة أخِلّفْس قد استلّ سيفه وهمّ أن يخترط خصمه العنيد. ولكن أثِنا بدت له وأمسكت بيده وثنته عن عزمه، لأن هِيْرا أرسلتها. وقد كانت ربّة الأرباب تحب البطلين الملك أغممنن وأخلفس. "فلمّا انتهى الآلهة العظام من وليمة فاخرة أقيمت لهم في بلاد الحبشة، وعادوا إلى قصورهم في جبال أولِمْبُس، طارت أم أخلّفْس من قاع بحارها إلى أعلى قمة في مراتع الآلهة، ودنت من زِفْس فهزّ لبدته كالغضنفر، وتزلزلت لتلك الانتفاضة أسس ديار الخالدين، وطيّبَ خاطر الإلهة، ووعدها خيراً بشأن وحيدها وحبيبها. فدرت هيرا بالأمر وكانت تحنو على الاخائيين وتحقد على الطرواديين، بسبب حكم بارس بالتفوّق لمنافستها الزهرة أُفْرِذِيتين فجاءت تشاحن أخاها وعرسها زفس. ولكن رب الآلهة صدّها بعنف وهددها بالضرب، فكظمت الإلهة البضّة الذراعين غيظها وهدأت[١].

١-١: (١) الإلياذة: نشيد ١.

هذا نموذج من ألفة الآلهة والبشر في تلك الملحمة. وتُروى فيها الأحداث الإلهية والبشرية على نمط واحد ووتيرة واحدة، وتتساوق وتتمازج وتفيض من معين واحد، صافية ناصعة بهيّة. وتعبّر عن عقيدة متأصلة وعن رسوخ في ذاك المعتقد.

ويضاف إلى الملحمتين الكبيرتين أربع وثلاثون مقطوعة شعرية، عُرفت "بالأناشيد الهوميرية" مع أنها في الأرجح ليست من هُومِرُس، بل يردّها أكثر الأدباء إلى القرن الثامن أو مطلع السابع. وتلك القصائد المتفاوتة بقيمتها الفكرية والشعرية مدائح كان المرتّلون والمرنمون في الحفلات الدينية المختلفة يُشيدون فيها بأمجاد الآلهة وعظائمهم ومبرّاتهم نحو البشر. ومن أجمل تلك المدائح أنشودة أبولّن. وهي تتغنى بمولد إله النور والفن في جزيرة ذيلس.

فالإلياذة والأذسية هما لنا مصدر هام لمعرفة الأسطورة اليونانية. ونرى الأسطورة فيهما وكأنها قد تكونت وترعرعت وتكاملت أو تكاد في خطوطها الكبرى والجوهرية. وما يضاف إليها فيما بعد بمثابة التنميق والتوشية والزخرف على ثوب من دمقس فاخر.

أما جو هاتين الملحمتين فهو جو حضارة مزدهرة، وجو بذخ وعظمة واقتدار يتجلى لنا عند عظماء وأمراء الإغريق ذوي العزة والصلف والجبروت، وعند كبراء اطروادة ووجهائها المتحلين بفضائل إنسانية جلى، هي ثمرة المدنية الحقيقية والرقي والتقدم.

٢ – هِسيُّذس

وإذا انتقلنا من تلك الحقبة المتراوحة بين القرن الثاني عشر والقرن العاشر قبل المسيح، ودنونا من أواخر القرن التاسع وأوائل الثامن، وغادرنا سواحل إينيا وتوغلنا داخل بلاد اليونان إلى سفوح جبل هلكون في فيِتيّا، عثرنا على كاتب كبير وشهير، لم يكتب للأمراء والعظماء ولكن للفقراء والبسطاء، لأهل القرية والريف ليحضهم على العمل والنشاط لأنهم "من طبعهم كسالى"

وعلى نبذ الأحقاد والخصومات والدعاوى، لأن تلك الخصومات لا تملأ إلا بطون الملوك والمقتدرين الذين يتغذون بالرشوة. والملوك الذين يكلمنا عنهم هِسيذُس ليسوا كالملوك العظماء "رعاة الشعوب" أبطال الإلياذة، ولكنهم بعض وجهاء المقاطعات والمتنفذون من كبار الإقطاعيين، وأصحاب البقاع الشاسعة. وقد تولوا على شعوبهم وقضوا فيهم وكهنوا.

عاش هسيذس في بلدة اسكرا غربي ثيفة إلى الجنوب الشرقي من مدينة خرنيا، وألف منظومته "الأعمال والأيام" بداعي خلافه مع أخيه برسيس على ميراث والده، وتحامل قضاة المقاطعة عليه. وقد رام الشاعر الملهم أن يعلم العدل لمواطنيه أهلي فيتيّا، وأن يلقنهم شروط هنائهم وسعادتهم. أما في "مولد الآلهة" ذاك "النشيد الجميل" الذي أوحته له ربات الشعر بينما كان يرعى قطيعه على هضاب البلدة، فقد شاء أن يؤكد فيه للجميع أن في السماء رباً قديراً عادلاً يرقب البشر ويسهر على العدالة.

وروى لنا هِسيذُس في الجزء الأول من كتاب "الأعمال والأيام" أسطورة بنذورا وهي حواء اليونان. وأسطورة السلالات البشرية: الذهبية منها والفضية والنحاسية والحديدية. وفصل لنا مولد الآلهة ونشوء الأشياء ومولد العناصر والليل والنور والسماء والبحر. وبعد نشوء العالم يكلمنا الشاعر الفلاح في نشيد ثان عن مَلِك السماء أورنوس وأبنائه التيطان والعماليق، وثورة ابنه أخرونس عليه. وفي نشيد ثالث يحدثنا عن زمن أخرونس وأبنائه زفس وهيرا وارِس وبُسِذُون وذِمِيتِر وهسْتِيّا. وفي نشيد رابع يروي لنا مآثر زفس وانتصاراته وأمجاد أبنائه. وتنتهي الملحمة بذكر بعض الأبطال أبناء الآلهة. وتعد هذه الخاتمة منحولة.

وهِسيّذُس هو أول من تساءل في العالم اليوناني عن مبادئ الكون وأصل الآلهة وتعاقبهم وتزاحمهم على امتلاك العالم والسيطرة عليه وتنظيم شؤونه والسهر عليه: ولقد لقيت محاولته رواجاً كبيراً وأكرم صاحبها إكراماً

وافراً، حتى جُعل عندهم في مصف كبار الشعراء. ورُفع إلى مرتبة هُومرس نفسه، واقتدى به فرجيليس أعظم شعراء الرومان. ولو كان تساؤله بدائياً وساذجاً جداً، غير أن نفحته الدينية العميقة ترفع من شأنه وتجعله شيقاً في بدائيته وسذاجته، ويمهد السبيل لشاعر تصفو عنده العاطفة الدينية وتترقى هو الشاعر الكبير بِنْذَرُس.

٣- بِنْذَرُس

انحدر بِنْذَرُس من أسرة شريفة وترعرع في أرباض ثِيفة عاصمة فيتيّا. ولما كبر واشتهر طاف أرجاء اليونان كلها يمدح الظافرين من الأمراء والكبراء في ألعاب اليونان الحافلة، الألمبيّة والبيثيّة والبرزخية والنميئِّية. وُلد سنة ٥١٨ ق. م. وتوفي وهو يناهز الخامسة والسبعين من عمره. وقد ألّف أناشيد دينيّة تغنّوا بها في أعياد الآلهة والحفلات الرسمية والمواسم الكبرى، ومدائح دنيوية أشاد فيها بانتصارات العظماء والأبطال في المباريات الدولية الكبرى المقامة في بلاد الإغريق. وهذه المدائح وتلك الأناشيد تتسم بنفحة دينية عميقة، تنبع من صميم إيمانه برسالة الشاعر. فالوحي الشعري هبة من هبات الآلهة. والشاعر في قصائده معبّر عن حكمتهم: "إنني أستلهم امْنِمُسِيني ذات الرداء الموشّى ابنةَ أرنُوس، كما أستلهم بناتها لتمنَّ علي بالوحي. لأن بصيرة الإنسان كليلة لا تستطيع بدون عون الآلهة أن تسبر سبل الحكمة العميقة. ولكن ربات الشعر والفن قد حبتني تلك الموهبة الخالدة(١)".

ولكن الحكمة التي عوّل عليها شاعرنا هي الحكمة الدينية فقط، لا حكمة فلاسفة زمانه من فيزيائيين أخذوا يبحثون عن عناصر الكون الأوليّة ومبادئه الطبيعية، وسفسطائيين متحذلقين راحوا يشكّون في كل حقيقة ولا يثقون إلا بجدلهم السطحي العقيم، ويناقشون المعتقدات القديمة ويجرحونها.

١-٣: (١) المقطوعة ١٦ من أناشيده الدينية.

إن بنذرس يقبل تلك المعتقدات برمّتها ولا يتردد بشأنها: "لا مجال للريب في أي خارقة عندما يجترحها الآلهة[٢]". بيد أنه يدع جانباً الأساطير التي تظهر الآلهة بمظهر زريّ. فقد تجرّدت آلهته من الشوائب والنقائص أو الرذائل البشرية وزال ما اتصفت به من ضعف في الملاحم الهومرية. فهي تتشح بالبهاء والقدرة والخلود، وتتحلى فوق ذلك بالرحمة والعطف والصلاح. وزفس يعرف كل شيء معرفة تامة ويسيطر على كل شيء، ولا تختلف مشيئته عن مشيئة القدر المعبر عنها تعبيراً كاملاً".

وقد أكرم بنذرس من الآلهة بعد رب الأرباب، أبولن إله الشعر والفن والنور، وربّات الأناقة والموسيقى، قاطنات هضاب هِلِكّون ووديانه وهركليس "ربيب ثيفة المشرقة وابن أَلْكْميني، ذاك البطل القهّار الذي ولج ديار الخلود، بعد أن طاف أرجاء الأرض من أقصاها إلى أقصاها وسبر أغوار البحار ونشر الأمن في كل سبلها"[٣].

أما مبدأ العمل في الحياة وركن الأخلاق والتصرّفات فهو معرفة الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية: "هناك جنس البشر وجنس الآلهة. لا غرو أن أمّا واحدة هي الأرض نفحتنا وإياهم نسمة الحياة. ولكن ما يفرق بيننا وبينهم هو أن القدرة كلها لهم، ونصيبنا العدم والعفاء. ومن ثم فكل خير ونعيم يأتينا من الآلهة، وليس الغنى والجاه فقط "بل المجد والفضيلة أيضاً. ولذا يجب على العظماء والمقتدرين أن لا يتباهوا ويتعالوا ويستسلموا للبطر والأشر، بل أن يلبثوا ودعاء أعفاء معتدلين، ويلزموا جانب العدل والفضل لئلا يثيروا سخط الخالدين[٤] ".

وأهمية بِنْذَرُس من جهة إطلاعه لنا على المعتقدات اليونانية القديمة لا تقل عن أهمية هِسِيُّذُس، بالإضافة إلى ما لاقينا عنده من تطور في العقيدة إذا قوبل بإسلافه الشعراء.

---

(٢) النشيد البيتي العاشر ش٤٨.
(٣) النشيد البرزخي الرابع ش ٤٩.
(٤) النشيد البرزخي السادس.

٢- شعراء المآسي والمهازل

من الشعر الغنائي الذي يتغنى بالآلهة وعظماء البشر، ننتقل الآن إلى الشعر القصصي شعر المآسي والمهازل الذي يروي لنا آلام البشر وأطوارهم المضحكة أحياناً والمبكية غالباً، وما ينتابهم من صروفِ الغِيَر وألوان العِبَر بمشيئة الأرباب أو حتمية القدر.

١- إيسْخِلُس

أول أولئك الشعراء إيسْخِلُس الإلِفْسيّ النبيل. وُلد في إلِفْسِيْس من أسرة شريفة ثريّة سنة ٥٢٥، واشترك في معركة مَرَثُون عام ٤٩٠ ق. م، ثم في معركة سَلَمِيني عام ٤٨٠ ق.م. وهو شاعر وروائي كبير، لم يبق لنا من نحو ثمانين رواية ألّفها إلا سبع فقط، هي في الأغلب صَفوة مسرحه وذُروة إنتاجه الفكري وقد توفي حوالي سنة ٤٠٦ ق. م.

وآلهة إيسخلس هي آلهة هومرس وهسيذس، يؤمن بها كما آمن بها أولئك، مع شيء من التسامي في العقيدة، والرهبة من قدرة تلك الآلهة وسطوتها. ولم يتطرّق إلى ذهنه ما خامر فكر اكْسنُفِانس الفيلسوف "الموحّد" مؤسس المدرسة الإلياتية، من ريبة في وجود تلك الكائنات المتكيفة بنزوات البشر والمتخلقة بأخلاقهم والمنجرفة وراء شهواتهم وأهوائهم. فهو متمسك بالتقاليد، مُيقن بالتعاليم القديمة، وشغف بها شغف المطلعين على أسرار إلِفْسيْس.

ومطلع "الإفْمنيذه"، إحدى مآسيه الشهيرة، يبدي لنا ذاك الشغف وذلك اليقين العميق. فهذه بثونِسّا العرّافة، قبل أن تدخل هيكل ابولن تناجي الأرباب مصدر النبوءة والوحي: "أبدأ صلاتي بالابتهال إلى الأرض غيثاً، لأنها أول من تنبأ بين الآلهة، ثم إلى ثِيْمِس، لأنها ثاني من شغل هذا المنصب النبوي الموروث عن أمها. والثالثة التي نالته بالقرعة، بلا عنف وبرضى ثيمس هي تيطانية أخرى، عنيتُ بها ففي ابنة اليابسة. وقد أهدته إلى أخيها فيفس عند مولده ترحيباً بمقدمه...

"فأبتهل أولاً في دعائي إلى أولئك الآلهة. وبعدهم إلى بلاس الساهرة. وأعبد العرائس المعتكفات في هذا الكهف، الذي أحبه الطير وألفه الخالدون. ولا أنسى افْرُومِيُس[1] صاحب هذا المقام. وفي ينابيع إيلِسْتُس أتوجّه بالتحية إلى قدرة بُسِذُون. وأختم دعائي بالابتهال إلى زِفس سيد الآلهة. وعقب هذه الصلاة أمضي وأجلس على كرسي عرافتي".

بيد أن يقينه العميق الآلهة لا يمنعه من أن يثور على الطغيان والظلم والاستبداد، ولو بدا الظلم في زفس رب الآلهة. فهو ذا ابْرُمِتِفْس، الذي قضى عليه زفس بالعذاب الأليم فوق قنن جبال الكفكاز، يتهجّم على ظلم سيد الكون ويقول له: "إن سيادتك الحديثة قاسية عاتية[2]". ولا يخالف إسخِلُس بثورته هذه، العرفَ والتقاليد؛ كما لم يخالفها من سبقه من الكتاب والشعراء، عندما رووا لنا صراع الآلهة وتطاحنهم في سبيل السيطرة على الدنيا وما فيها.

٢- سُفُكْلِيْس

بعد إيْسْخِلُس يأتي سُفُكْلِيْس. وهو من ألمع شعراء المآسي عندهم إن لم يكن أعظمهم وأشهرهم. ولد في كُلُونِي شمال أثينا من أسرة ثرية، حوالي سنة ٤٩٥ قبل المسيح. وتلقن منذ صباه فن الشعر والموسيقى. ولما قدم إلى المسرح ولجه عزيزاً مظفراً. وفي ثلاثين مباراة نال بمآسيه أكليل المبرّزين نحو عشرين مرة.

كتب سُفُكْلِيس نحو مئة وخمس عشرة رواية، لم تحفظ لنا منها خزائن الأقدمين إلا سبعاً وشذرات متفرقة. وأشهر رواياته المحفوظة أنتغوني وهلكترا وإيْذِبُس الملك.

٢-١: (١) أي ذبوينسس أو فاكخس إله الخمرة عندهم.

(٢) مأساة ابرمثفس ش٢٥.

عاش هذا الروائي الكبير في القرن الخامس، عصر بِرِكْلِيس الذهبي، عصر النور والمعرفة الذي بدأ مع اكْسِنُفانِس وأنَكْغُورَس وبرمنيْذِس يبعث في آفاق البشرية مبادئ الفكر الفلسفي العميق، ومبادئ الوجود والكيان، الكيان الأسمى، كيان الذات الإلهية الفريدة غير المتحوّلة السرمديّة. عاش في عصر الفن البالغ ذرى معانيه، وأبهى روائعه الإنسانية الخالدة، في الموسيقى مع فِلُوكْسِنُس وفي الشعر مع بنذُرس، وفي الرواية مع زميليه ومنافسيه إيْسْخِلُس وإفْرِبِيْذِس، وفي المهزلة مع أرِسْتُفانِس، وفي النحت في فِذِيَّس وبُلِيكْلِتُس، وفي الرسم مع بُلِيْغْنُتُس وزِفكْسِيس. عاش سُفُكْلِيس في ذاك العصر النيّر، الذي غدا من أبدع وأروع عصور البشرية، وتأثر بفنّه أثراً عميقاً، ولكنه لم يتأثر بفكره الديني وتطوّر المعتقد فيه.

نراه يحترم التقاليد والمعتقدات ويراعيها أتمّ المراعاة ولا يتهجّم عليها أو يتضايق منها أو يبدي بالنسبة إليها شيئاً من التحفظ أو بأولى حجة بعض الريبة والشك، ولا يتضايق أمام عاهات ومساوئ ألصقتها بالآلهة مخيّلة شعب في طور بداوته وطفولته. إنه يتهكّم من فتاوى العرافين وإنباء الكهّان بالغيب. ولكن سخريّته لا ينطق بعباراتها سوى أشخاص اتّصفوا في رواياته بالصلف والزهو.

ومآسي سُفُكِليس معرض لاقتدار الآلهة وجبروتهم. ويتجلى اقتدارهم في بلايا البشر ورزاياهم. فتسيطر الرهبة على السامعين والمشاهدين وتوحي إليهم، فكرة عن عظمة الخالدين وعزتهم المجيدة. ولا يكتفي المؤلف بذلك، بل يحاول أن يوفق بين شعوره الديني المرهف المتسامي، وبين التقاليد القديمة، البادية غالباً بمظهر السخف أو الابتذال أو الظلم. فإن روعتنا تلك المآسي. بعدالة الآلهة، وشدة المصائب التي يبْتلى بها الملك إيذِبُس فهي ترينا ذلك البائس متطهِراً من إثمه ذاك الإثم الذي فرضه عليه القدر، ومغسولاً من جريمة قتل أبيه واقترانه بأمه. وعندئذ بعد أن نقّته المحن والآلام يغدو لمن يُؤويه مصدر يمنِ وخير

وبركة. وهكذا يتجلى في النهاية عطف الآلهة على الصديق المبتلى، ورأفتهم بضعف البشر. وفي مأساة أَنْتِغُوني ابنة إِيذِبُّس وأخته من أمه وقرينته نسمع هذه الفتاة الشهمة التي خالفت أمر الملك اكْرِئُون، ودفنت جثة أخيها بُلِينِكُس، نسمعها تؤكد وجود شريعة أدبية سميا، فوق نُظُم الطغاة الظالمة.

فهذا الانسجام الديني الذي وفّق إليه سُفُكْلِيس بنفسه الألمبي، لم يقرّه عليه مناوئه في الفن المسرحي إِفْرِبِيذِس.

ب- طور الشك

٣- افربيذس

وُلد إِفْرِبِيذِس في سَلَمِيني سنة ٤٨٠ق. م وهي السنة التي قهر فيها اليونان أسطول الفرس في مسقط رأسه ويوم مولده، ووضعوا بذلك الانتصار حداً لغطرسة عاهل الشرق اكْسِرْكْسِيس بنِ ذَرِيُس. تعلم فن الرسم وما عتّم أن عدل عنه ومال إلى الفلسفة، ودرس على أَنَكْسَغُورَس أستاذ بِرِكْلِيس. وبعد تلك الثقافة العالية انصرف بجملته إلى المسرح وتأليف المآسي.

حفظ لنا الأقدمون من مآثر هذا الشاعر العبقري سبع عشرة مأساة. وقد وصفه أرسطو في "فن الشعر" بأنه أقدر الشعراء على خلق الشجو والأسى. في قلوب سامعيه، وأن مآسيه تترك في النفس أعمق الانطباعات.

تأثّر إِفْرِبِيذِس بدروس الفيلسوف الموحّد أَنَكْسَغُورَس، وشك بكثرة تلك الآلهة، ولم يلبث مبتسماً غيرَ مبال بل تحول شكه إلى تهكم وسخرية. ونزوات ثورية ينبض بها شعره بين الفترة والفترة. ولكن في الظاهر بقي شكل المآسي عنده على ما كان قبله، ولم يغير شيئاً لا في اختيار الموضوع ولا في توزيع أجزاء الرواية. وقد عالج نفس المشاكل التي عالجها أسلافه منذ قرن وأكثر،

مثل حب الحياة والنور، والفزع من الكوارث التي تهدد المرء وتروّعه. والاعتقاد بآلهة الانتقام، وغيرة الأرباب الناقمين على الطغاة والظالمين، وسيادة القدر المهيمن على مصائر الآلهة والبشر. فكل هذه التعاليم بسطها إفْرِبيذِس نظير غيره من كبار الروائيين وعرضها على تأمل سامعيه والمعجبين بروعة شعره وعمق تحليله.

إلا أن الجدة في مسرحه تبدو في النقد للتقاليد السخيفة والمعتقدات الصبيانية. وقد مزجه المؤلف بشعره مزجاً دقيقاً فيبدو تارة سخرية هادئة ناعمة، ويتفجر طوراً تهكماً عنيفاً صاخباً على رذائل الآلهة ومساوئ تصرفاتهم وعلى ظلمهم الغاشم وحسدهم وغيرتهم وفسقهم. فالأثيني الثاقب النظر لا يغتر بالخرافات الشعبية، ولا يصدق تلك الترهات والروايات التي تهرف بها العجائز وتهذي بها الرؤوس الفارغة.

فهذه هيلانة تهزأ بمولدها وتتساءل عن صحة نسبها إلى أبيها المزعوم زفس(١) وإيّن يخامره الشك في انتمائه إلى أبيه أبولن(٢). وأغَممْنُن لا يثق كثيراً بتدخل بارس في نزاع الإلهات الثلاث وفي حسمه له(٣). فإن عمد الشاعر إلى الخوارق والأعاجيب فما ذلك إلا اقتفاء لآثار أقرانه. غير أنه في الباطن يبتسم ويلهو ويتسلى، ويثور أحياناً ويستاء من صلف الآلهة ومن ضراوتهم واحتيالهم. فهذه إفِغِيْنِيا ترذل تفكير أرتميس الملتوي بقولها عنها: "إن دنس مائت يده بقتل أو مجرد ملامسة نفساء، فهي تبعده عن مذابحها لنجاسته على ما يظهر. أما هي ذاتها فتجد نعيمها في الذبائح البشرية. ألا يا قوم إن هذا لمستحيل. فلتو قرينة زفس لم تلد في عالم الآلهة نسيجاً مماثلاً من المتناقضات. كلا، ففي مِلّتي واعتقادي أنه ما من إله شرير(٤).

٢-٣: (١) هيلانة ش٢١.
(٢) إيّن ش ١٥٢٣ وما يلي.
(٣) إفغينيا في أفليس ش ٧٢.
(٤) إفغينيا في تفريس.

ويضيف في إحدى رواياته المفقودة منوهاً إلى تعاليم أَنَكْسِمِيْنِس الفيلسوف: "أترى فوق رأسك ذاك الأثير الشاسع، يحضن الأرض بين ذراعيه الرطبتين. إنه زفس فأحسبه كذلك وعدّه إلها"(٥). وفي موضع آخر يقول: "زفس مهما يكن من أمره، أنا لا أعرفه إلا بالسماع". هذا رأي إفريبيذس حيث لا ينساق إلى ضروريات المسرح وما يفرضه من حذر وفطنة، وحيث يستطيع أن يعبّر عن فكره الخاص بملء الحرية والصراحة.

٤- أرِسْتُفانِس

- من ألمع شعراء المهازل عندهم أرِسْتُفانِس. ولد حوالي سنة ٤٤٥ق. م وتوفي حوالي سنة ٣٨٥ق. م. ألّف نحو ٤٤ رواية هزلية، لم يبق لنا منها إلا إحدى عشرة. وفي هذه الروايات يتهجّم كثيراً على المتحذلقين المدّعين العلم والمعروفين عندهم باسم سُفِسْتِيّين. وقد خلط بينهم وبين خصمهم سقراط الحكيم الذي قالت عنه عرافة ذلفي: "إنه أحكم بني البشر في عصره". واتهم هذا الفيلسوف بعد أن أقحمه في عداد السفستيين، بالزندقة والميوعة وانحاطاط الخلق والوصولية. وهذا الاتهام مجرد افتراء بحق سقراط، إن لم يكن بحق بائعي الكلام أهل السفسطة كلهم أو جلهم(١).

وكما تهجم شاعرنا الهزلي على سقراط، جرح إفريبيذِس تجريحاً وانتقد أسلوبه الفني، ورشقه بالابتذال والحشو في شعره، وعدّه خصوصاً معلماً فاسداً ومفسداً، ادخل إلى المسرح مشاهد خليعة، ووصف الأهواء وصفاً شائقاً، وأوحى إلى المحصّنات رغبة الانسياق وراءها. وعلاوة على ذلك فإن إفريبيذس شاعر المآسي في نظره مهذار ثرثار، عاث في الدولة فساداً بنقده اللاذع وروحه الثورية ومعارضته العرف والعادات والتقاليد

---

(٥) لوكيانس: زفس ممثل المأساة ٤١.

٢-٤: (١) الضباب ش٢٤٤ وما يلي.

الدينية[٢]. فأفكاره لا تختلف كثيراً عن أفكار السفستيين، ومذهبه مذهبهم ومشربه مشربهم. هذا ما حكم به ارستُفانِس على زميله إفرِبيذِس. وما تحدّيه لمضللي الشعب والسفستيين والشعراء أمثال إفرِبيذِس إلا لتمسّكه بالمبادئ والأخلاق الموروثة، التي أنبغت أجيال مَرَثُون وسَلَمِين والترْمُبيلِه. وفي اعتقاده أن العدول عن تلك المبادئ القديمة القويمة، أو أي وهن يلحق بها هو تحوير للمفاهيم، وعدول عن الدين وتدنٍّ في القيم الفكرية والخلقية.

ومع هذا التزمت كله ومع تمسكه الظاهر بالعرف والتقاليد، لا يحرم نفسه من التهكم بذِيُونسُس إله الخمرة، ومن الطعن بعربدته وخلاعته، لأن الجو كان عبقاً بالنقد. وقد تسرّب الشك لا إلى عقول عليّة القوم فقط، بل فئاتٍ واسعةٍ من الطبقات الشعبية المتعلمة.

هذا وغنيّ عن القول إن تعليم الشعراء، ولاسيما المسرحيين منهم، كان واسع الانتشار يبلغ عندهم كل أفراد الشعب أو يكاد، إذ كانت المسارح فسيحة فخمة، تضم في مدارجها مواطني بلدة برمّتها. بعكس تعليم المفكرين والعلماء والفلاسفة. إذ كان ذاك التعليم محصوراً حتماً في حلقات ضيقة، منها العلنية ومنها السرية. ولا يحضرها إلا النخبة من أهل اليسر وصفوة من ذوي الحسب والنسب. ومع غليان الفكر في ذلك العهد الذهبي من تاريخ الحضارة اليونانية والإنسانية، فقد فرض حملة العلم والنور على نفوسهم منهجَ الحَذر والتحفّظ، خوفاً من ثورات الشعب عليهم واتهامه إياهم بالإلحاد والفساد، كما جرى لأنِكْسمِينِس الفيلسوف وابْرُتَغُورَس السُفِسْتي، صديق برِكليس الذي طرده الأثينيون من مدينتهم وأحرقوا كتبه[٣].

بيد أن تعليم الفلاسفة على ضيق الحلقات التي يبلغها يبقى في النهاية أعمق وأثبت، وأثره في النفوس أقوى وأشد فعالية، ولا ينفك يتسرّب رويداً

---

(٢) أهل اخرنفس ش ٤١٤ وما يلي. والضفادع ش١٠٥٠ وغيره.

(٣) راجع ذيجينس اللائرتي: سيرة ابرتغورس.

رويداً حتى يبلغ فئات واسعة من الشعب، ولو بشكل أمثال ومبادئ غامضة مبهمة، وأقوال شائعة تردّدها العامة، تؤيّد بها تعليماً أو تعارضه وتدحضه.

٣- الفلاسفة والسفستيون أو مدّعو الحكمة

بدت الفلسفة في مهدها عند اليونان بمظهر العلم. إذ قد حاول أول حكمائهم السبعة أن يفسر الكون وطبيعته تفسيراً حسياً بحتاً، وأن يرد عناصره كلها حتى الآلهة والبشر إلى جوهر فيزيائي فريد. وهذه المحاولة البدائية وتلك النزعة المادية حدث العقول بحكم الواقع إلى التساؤل عن طبيعة الإنسان وروح الإنسان وطبيعة الآلهة، التي تصورها العقل اليوناني والشاعر اليوناني على شبهه ومثاله. وفعلاً ما عتّم أولئك الحكماء أو الفلاسفة الفيزيائيون أن تساءلوا عن الطبيعة الإلهية، وحاولوا أن يفقهوا صلتها بالكون والكائنات. وقادهم تفكيرهم هذا إلى مقابلة نتائج تأملاتهم العلمية والروحية بمعطيات الديانة الرسمية وتعليم العرف والتقليد بشأنها. ذاك التعليم الذي تناقله الشعراء جيلاً بعد جيل، حقبة طويلة من الزمن، دون نقد أو مناقشة أو تمحيص. ومن ثم كان لابد أن يقع ذلك الصدام بين المعتقد القديم الساذج المتناقل، الذي يتوارثه وينشره ويعممه إيمان أعمى قائم على تصديق بسيط، لا يصدّه التناقض أو السخف أو البلاهة، وبين الأفكار الحديثة والتعاليم المستجدة، والتيارات الفلسفية الجياشة الجريئة. ومن هنا تلك الهزّات وتلك الانتفاضات الشعبية يثيرها على الفلاسفة ورجال الفكر نظير أَنَكْسَغُورَس وابرُتَغُورَس وسُقراط وغيرهم، مضللو الشعب وزعماؤه السياسيون ليكسبوا عطفه وتأييده، ويبدو بمظهر من يحمي أعزّ شيء عليه ألا وهو دينه وعقيدته.

١- ثَالِسْ

ثالس أحد الحكماء السبعة وأول الفلاسفة الفيزيائيين ومؤسس المدرسة الإيونية. ولد في ميلتس من أعمال آسيا الصغرى، حوالي سنة ٦٤٠ق. م

وعمّر نحو تسعين عاماً. سافر في ربيع حياته إلى ربوعنا الشرقية ومصر وتاجر واغتنى. ثم عاد إلى موطنه يعلم فيها الرياضيات والهندسة والفلسفة. ولكنه لم يترك لنا مؤلفاً ما، شأنه في ذلك شأن كثير من الفلاسفة مؤسسي المدارس الفكرية أو المذاهب الدينية، نظير بِثَغُورَس وسقراط والسيد المسيح.

اعتقد ثالِس أن جوهر العالم الفرد هو الماء وأن الماء ينشر الحياة في كل الكائنات، ومن ثم كما يقول أرسطو قد ظن ثالس "إن كل شيء ممتلئ آلهة"(١). لاعتقاده أن الروح شائعة في العالم كله. وقد روى ذيجينس اللائرتي في سيرة هذا الحكيم أنه عد "العالم حيّاً ومليئاً بالآلهة".

ومن ثم نرى بجلاء أن أول حكماء اليونان، وأن أول من وجّه الفكر البشري إلى الفلسفة والتساؤل عن أصل الكائنات وعلة وجودها، لم ينسب هذا الأصل إلى كائن أسطوري هو الخواء أو الديجور أو الحب إروس، ولم يَعُد في ذلك إلى تخرّصات الأسطورة، بل حاول بتفكيره العلمي أن يعلل الوجود ويعرف جوهره وأصله.

٢- أنكْسِيْمَنْذْرُس

وحذا حذوه أنكْسِيْمَنْذْرُس مُعَاصره ومواطنه. وُلد هذا الفيلسوف نحو سنة ٦١١ق. م وعاش في مِيلِتُس مسقط رأسه إلى منتصف القرن السادس. كان هو أيضاً ضليعاً بالرياضيات والفلك وعلم الطبيعة وحاول أن يفسر الكون تفسيراً عقلياً منطقياً. وهو ربما أول من كتب في مثل هذه المسائل والمعضلات. ومؤلفه الشعري يدعى "في الطبيعة" أو "حول الطبيعة" نظير ما شاكله من المؤلفات لهِراكْلِتُس وَبَرْمنيذِس و أنكْسِيْمَنْذْرُس واكْسنُفانِس وغيرهم.

وقد زعم فيلسوفنا أن العوالم كلها قد خرجت من مادة أولية قديمة هي جوهر الكون وعنصره الفريد. وسمى هذه المادة القديمة "الغيَر المحدود" أو

١-: (١) راجع في النفس لأرسطو١: ٥- ٤١١: ٥ ثم ذيجينس اللائرتي ١: ٢٢٧.

"غير المتميّز" أو "غير المخبور". خرج كل شيء من هذا الجوهر الفرد القديم، بالافتراق والتميّز. وسيعود إليه يوماً، على أن يخرج ثم يعود لمصدره إلى ما لا نهاية له. لأن حياة الكون الحاضرة ليست في سلسلة التوالد والتواري الموزونة الوئيدة المتعاقبة سوى فترة أو برهة قصيرة. فهل نحن مع هذا المفكر الفذّ بعيدون عن أحدث النظريات الكونيّة؟

والماء بعد خروجه بالافتراق من المادة "غير المحدودة"، ولد أوليات الحيوان وولدت هذه حيوانات أخرى. فتكاثرت الأنواع وتميز بعضها عن بعض، وتكاملت حتى أبرزت النوع البشري. فالإنسان أحدث أنواع الحيوان. فهذه النظرية على قاب قوسين من نظرية دروين. ونحن بعيدون فيها عن خيال الأسطورة، مع أن أنكْسِيْمَنْذْرُس لم يعاد الشعراء الأولين، الغنائيين منهم وأصحاب المآسي، ولم يُصلهم حرباً عواناً ولا خالفهم جهاراً. لا بل جاراهم في بعض تعليلاته للكون. فهو عندما يتكلم عن المادة غير المحدودة، يقول: "إنها تشمل كل شيء وتقود كل شيء وتهيمن على كل شيء... وهي غير مائتة ولا نهاية لها[(١)]. ويدعو النجوم والكواكب آلهة سماوية[(٢)]. ويعمد في تفسيره سلسلة مواليد الكون وانمحاقاته المتعاقبة إلى ما يسميه "إثم العالم وظلمه"، فالعالم "يحمل تبعة مساوئه وأخطائه"[(٣)].

٣- أكْسِنُفانِس

نشأ هذا الشاعر الفيلسوف في مدينة كُلُفُون من أعمال غيُنِيّا في آسيا الصغرى حوالي عام ٦٠٠ ق. م[(١)]. ولما ناهز الخامسة والعشرين من عمره، أخذ يتجول في بلاد اليونان، حيث قضى على حدّ قوله سبعاً

٣-٢: (١) الطبيعيات لأرسطو ٣: ٤.
(٢) ابلوترخس: آراء الفلاسفة١: ٧
(٣) راجع زيلر١ ص ٢٣ وما يلي، وملاخ المقطوعة الثانية ص ٢٣٧- ٢٣٩.
٣-٣: (١) ذيجينس اللائرتي٩: ٢٠.

وستين سنة(٢). تعرّف خلالها إلى مذاهب أسلافه ثالِس وأنكْسِيْمَنْذْرُس وبِثَغُوْرَس.

وانتقل أيضًا إلى مدينة إلِيئا من أعمال لوكانِيا في جنوب إيطاليا، وألّف ملحمة بداعي تشييد تلك المدينة، كما نظم أخرى بداعي تأسيس وتشييد مدينة كُلُفُون موطنه ومسقط رأسه. وقد كان يقرض الشعر ويتغنّى به هو نفسه كالشعراء الغنائيين المتجولين(٣). ومن مجموعات قصائده لم يحفظ لنا الكتاب إلا شذرات متقطعة، نستشف من خلالها مذهبه وأفكاره دون أن نعرف دقائق نظرياته.

وما يلفت النظر في مقطوعاته تحفظه تجاه العقل البشري واعتقاده بوهن هذا العقل وبالغموض المحدق به: "أما بشأن ما أقوله عن الآلهة وعن كل شيء، فليس من إنسان كان أو سيكون، يستطيع معرفة الحقيقة بالضبط. ومهما بلغ كلامه من الدقة، فهو لن يعرف شيئاً من ذلك. فالوهم يهيمن على كل شيء"(٤).

ومع تحفّظ اكْسِنُفانِس هذا فهو لا يعدل عن طلب الحقيقة، ولا يقنط من البلوغ إليها، ويثق بتقدم العلم بعض التقدم. فليس فيلسوفنا الشاعر من أصحاب الشك المتنكرين للمعرفة. وما يبدو له أكثر الأمور رسوخاً وثباتاً هو الطبيعة الإلهية.

فشاعرنا الفيلسوف هو أول مفكر يوناني تكلم عن الإله الأوحد بمشاعر العبادة العميقة والسجود الخاشع. فكأن لهجته تنبئ بلهجة سقراط أو بلهجة السيد المسيح. فلا ريب في قوله عن الكائن الأسمى، ولا شيء مما يفرضه من التحفّظ في موضوعات المعرفة. بل إنه يسفّه هَومِرُس وهِسِيَّذُسْ، وينبذ شركهما ويقبّح

---

(٢) مولاخ المقطوعة ٢٤

(٣) ذيجينس اللائرتي٩: ١٨.

(٤) المقطعوعة١٤ راجع المقطوعة ٥ و٦.

تصويرهما الآلهة بصور البشر ونقائص البشر: إن هُومِرُس وهِسِيَّذُس يخلعان على الآلهة جميع الجرائم. فكل ما يستحق النبذ والرذل بين الناس وكل أعمالهم المخزية يتغنيّان بها في شعرهما كالسلب والنهب والزنى والغش". فاكْسِنُفَانِس يستخفّ بتلك السخافة ويزدري عقول من لا يسمون عن مستواهم البشري في تصوّرهم الآلهة: "يحسب المائتون أن الآلهة يولدون نظيرهم بحواس وصوت وجسم. فلو كان للثيران والأسود أيد، ولو أتقنت الرسم كالبشر، لاصطنعت لنفسها آلهة على شبهها ومثالها. ولتمثلتها الخيل مماثلة للخيل، والعجول مماثلة للعجول بأشكال وأعضاء تحاكي أشكالها وأعضاءها".

وهكذا آلهة ثراقية لها شعر أحمر وعيون زرقاء، وآلهة الحبشة أجسامها سوداء وأنوفها فطساء.

فهو لا يتمثّل الألوهة على ذلك الوجه، وهي لا تشبه البشر لا بالجسم ولا بالفكر. والإله الأسمى "يرى ويعقل ويسمع بذاته كلها"، بلا أعين ولا آذان ولا حواس. وفكره النافذ يهيمن بلا عناء على كل شيء ولا يتحرك ولا يتبدل ولا يتنقل من موضوع إلى موضوع"(٥).

وقد سأل أهل إليئا اكسنفانِس ذات مرة هل ينبغي أن يضحّى للفْكِيئَا وأن تنظم لها المراثي. فأجاب: "إن كانت آلهة فهي لا تحتاج إلى رثاء. وإن كانت امرأة فهي لا تستحق الضحايا لأن الألوهة لا تولد ولا تموت وإنما هي كائنة".

ومن ثم لم يسمع قط في الوثنية صوت أشد من صوته يحتج على تصوير الألوهة بصور بشرية. وقد جابه النقل والتقليد وعارض الشعراء في أساطيرهم، وأخذ عليهم سخافة أوهامهم وبطل معتقدهم. فهذه النزعة الروحانية وذاك الاعتقاد الصحيح في طبيعة الله وتنزيهه عن كثافة المادة ونقص الخلائق، هو منعطف خطير ومنطلق مثير في تأريخ الفكر اليوناني. ولعل بِثَغُورَس هو الذي مهّد له السبيل إلى ذاك التوحيد وإلى ذلك السموّ في الخلق والإبداع والتجديد.

---

(٥) راجع المقطوعات ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٩.

٤- هِراكْلِتُس

وُلد هذا الفيلسوف في مدينة إِفسُس من أعمال إِيُنِيّا في آسية الصغرى، حوالي عام ٥٧٦ق. م. انحدر من أسرة نبيلة، تشغل منصباً دينياً مرموقاً، ما برح يلقب بالملكية، لأن الملوك كانت تشغله سابقاً. ولما دعي هِراكْلِتُس إلى تبوّء رئاسة الكهنوت الملكية في مدينته، رفض ذلك الشرف الأثيل لعتوّه وترفعه عن العوام(١). وقد تُوفي نحو سنة ٤٨٠ق. م.

كان هِراكْلِتُس على جانب كبير من التيه والخيلاء، يؤثر الغموض في فكره وتعبيره حتى لُقّب بالغامض. وقد ترك لنا كتاباً واحداً سمّاه "الطبيعة" أو "إلهات الشعر" وقسمه المفسّرون إلى ثلاثة أبواب: في الكون، وفي السياسة، وفي علم اللاهوت. ومذهبه هو مذهب التطور والتحول. فكل شيء في كل شيء وما من شيء ثابت، بل كل شيء يتغير دوماً ويستحيل. والكون دائم الجريان وليس من شيء كائن، بل كل شيء يتكوّن.

والأشياء كلها أصلها النهار الإلهية المتقلبة، ومعادها إلى تلك النار حتماً، بعامل القدر الذي لا مناص منه، وهذه الشريعة سارية المفعول على البشر والآلهة، وعلى كل الكائنات بلا استثناء. فالعالم إذن في تحوّل مستديم، يكون ناراً ثم يغدو هواءً فماءً فتراباً. والكون الدائم الجريان ينبثق من النار الإلهية، ثم يعود إليها خلال فترات طويلة الأمد، تتعاقب بلا انقطاع، على تطور العناصر في هبوط وصعود. فالتنوّع وهم. والكائنات وحدة ليس إلا. ولكن تلك الوحدة ليست جموداً، بل تحوّلاً متواتراً وتبدّلاً لا ينقطع.

والعقل في نظر هِراكْلِتُس يستطيع وحده أن يعرف الحقيقة الثابتة الأزلية الغير المتحولة، خلا تعاقب الكائنات وجريان تيارها الدائم. وهذه الحقيقة هي تحول النار الأولية طبقاً لشريعة القدر المحتوم. أما الحواس فلا

٣-٤: (١) ذيجينس اللائرتي٩: ٦.

تشعر إلا بالتحوّل دون إدراك نظامه وهي عاجزة عن بلوغ المعرفة، وكلُ علمٍ بُني على أساس الحواس فهو خاطئ ضرورة وخدّاع.

وقد ميّز هذا الفيلسوف في المرء بين الجسم والروح. والجسم في ذاته لا قيمة له. وهو يقول فيه: "يجب أن تُنبذ الجثة بازدراء، وأن تطرح كما يطرح الزبل"(٢) والروح هواء ناشف ناعم. وكلما ازداد نشوفة، ازدادت النفس عمقاً وذكاء. وإذ سكر المرء ترطّبت الروح وفقدت قوّتها ونفوذها. والناس بعد الموت لهم مصائر غامضة، إلا أن النفوس التي مارست الزهد والقناعة وسمت نحو النورانية والنار، تغدو نفوس أبطال وآلهة.

وعرف فيلسوفنا مذهب بِثَغُورَس، وطالع نظريات اكْسِنُفانِس، فازدرى الطغام وسخر بمعتقدات الجماهير، "من يخشع ويتضرع إلى التماثيل والأوثان، فكأنه يخاطب المنازل دون أن يعرف من هم الآلهة والأبطال(٣). فالآلهة قديرون وفهماء جداً: "واحكم الناس ليس سوى قردٍ إذا قيس بالآلهة. والبشر في حكم الأطفال إذا قوبلوا بالآلهة".

ولكن فوق الآلهة والبشر كائن أسمى أزلي يهيمن على الكون ويسوسه. وهو سنّة تعاقب الكائنات، فيدعوه هِراكْلِتُس تارة "أغْنُومِي" الفكر، وطورا "ذِيْكي" الحق، وأحياناً الدهر أو زِفس. بيد أنه ينبّهنا أن الاسم لا يهمّ كثيراً، وما يجب أن يتحاشاه المرء هو أن يعتقد بهذا الإله الأسمى اعتقاد العامة، وأن يذهب تفكيره بشأنه مذهب الجهّال والبسطاء "إن الحكمة الوحيدة هي في معرفة الفكر الذي يدبّر الكل في الكل. فهو يريد أن يُدعى زِفس ولا يريد"(٤).

وهذا الإله الأسمى لم يبدع شيئاً، ولكنه يشرف على تقلبات الكون، كما يشرف أحدنا على لعب الشطرنج يقلب قطعه. فهل هو القدر أو هو النار

---

(٢) مقطوعة ٥٣.

(٣) مقطوعة٦١.

(٤) راجع مقطوعة ٧٨، ٦٢، ١٩، ٦١، ٢٧.

الإلهية كما يبدو في الأغلب؟ إن إله هِراكْلِتُس خفيّ المعالم غامضها نظير الفكر الذي أبدعه.

٥- بَرْمِنيذِس

بَرْمِنيذِس هو أحد واضعي المذهب الإلياتي، ولعله مؤسسه الحقيقي. وُلد حوالي سنة ٥٤٠ق. م. في زعم ذيجينس اللائرتي، ومعروف عن هذا الكاتب أنه يروي التاريخ على طريقته الخاصة بلا تحقيق ولا تدقيق. ويفيدنا أفلاطون في مواضِع عدة أن أستاذه الكبير سقرط في شبابه قد عرف هذا الفيلسوف واستمع له عندما زار أثينا وهو في الخامسة والستين من عمره. وقد وُلد سقراط سنة ٤٦٩ق. م فيرجح إذن أن بَرْمِنيْذِس قد أمّ أثينا سنة ٤٥٠ق. م. وأنه وُلد حوالي سنة ٥١٥ في أواخر القرن السادس قبل المسيح.

انحدر بَرْمِنيْذِس من أسرة كريمة ثرية، أقامت في مدينة إليئا الساحلية – وهي فيليا الحالية – من أعمال لوكانيا، في جنوب إيطاليا، على البحر الترينى. وقد سن شرائع لموطنه، ولخص فلسفته في كتاب نظمه شعراً وسماه هو أيضاً في الطبيعة، وقسمه شطرين، يحوي الشطر الأول نظريته الحقيقية في الكون، وعنوانه "في الحقيقة". ويضم الثاني إلى أسطورة الشعراء تخرصات الفيزيائيين الأيونيين، وعنوانه "في الظن"، أي التخمين والحدس المعتمدان على ظواهر الأمور كما تبدو للحواس. ولعله في هذا الجزء الأخير –وهذا أغلب احتمال على ما يبدو في مطلع الكتاب ومن تضاعيف الشطر الثاني منه– لعله كان ساخراً من آراء أسلافه الطبيعيين والشعراء المهووسين الذين لا يعتمدون الحقيقة في شعرهم، بل الشعور العاطفي والخيال المتقلب الخداع.

وهو يروي لنا كيف تجلى له مبدأ الكائنات. فقد نقلته مركبة الفكر بجواديها الناصعي البياض إلى أبواب الليل والنهار، تقوده في رحلته بنات فرقد النهار الساطعات. ولما بلغت به المركبة قصر "الحقيقة" المتلألئ، خاطبت بنات الشمس إلهة العدل القائمة على حراسته. ففتحت تلك الإلهة

مصراعي الباب المتألقين نوراً وضياء، وأدخلت الشاعر إلى حضرة الحقيقة الأزلية فاستقبلته الإلهة أطيب استقبال وأكرمت مثواه ورحبت به قائلة: "اجذل وابتهج ولتطب نفسك، إذ لم يحدك إلينا في هذا السبيل الذي تجهله أقدام المائتين، مصير شؤم. وإنما جاء بك العدل والشرع. فينبغي أن تعرف أدق معرفة فكر الحقيقة المجردة ومزاعم البشر الواهية".

وتُعقّب إلهة الحق قائلة: "إياك أن تتصور أن العدم موجود. حوِّل فكرك عن تلك الطريق الموبقة، ولا تلفتِ العادة المألوفة بصرَك الأعمى إليها، ولا سمعك الأصمّ، ولا نطقك الأبكم. ولكن حكّم عقلك في موضوع هذه المناقشة وفي ما أقدم لك من براهين، فلا يبقى لك سوى مخرج واحد وهو أن الكائن موجود".

"فالكيان موجود، وألف دليل يشير لنا أنه لم يولد ولن يموت. فهو الكل الفريد غير المتحول والكل الصمد. لم يكن ولن يكون وإنما هو كائن. إنه الكيان المطلق وهو الواحد السرمدي".

وتتابع إلهة الحق بعد ذلك المطلع الفخم بقولها: "وكيف تريد أن يولد الكيان، وعلى أي أصل؟ فمن أين يأتيه النمو؟ أمن العدم؟ إني أحظر عليك هذا القول وهذا الفكر. إذ لا يتاح أن يقال أو يُظن أن الكيان غير كائن. إذ أي ضرورة حتمية صارت به إلى الكون؟ ولم قبل أو بعد؟ فليس في الكيان مولد أو بدء. فهو مطلق الوجود أو غير موجود. ولا تسمح قوة برهان أن ينبثق منه أبداً شيء لا يكون إياه. وأن يولد الكيان أو يموت، هذا ما لا يتحمله العدل"(١).

تأمل فيلسوف الكون إذن فرأى: "إن الكائن كائن وإنه يستحيل أن لا يكون. أما اللاوجود، فالعقل لا يدركه لأنه غير موجود. ولا نستطيع أن نعبر عنه، لأن الفكر والكيان أمر واحد. ومن ثم يتحتم أن نفكر ونقول إن الكائن

٣-٥: (١) مطلع كتاب برمنيذس "في الطبيعة".

كائن وإنه غير مخلوق. فلا سبيل على القول إنه كان أو إنه يصير، إذ إنه كان أو إنه يصير، إذ إنه بكامله في اللحظة الحاضرة واحد متماسك وحيد. ومن اللاوجود لا يمكن أن يأتي الوجود، كما لا يأتي الوجود من الوجود. لأن الوجود موجود فليس للكائن إذن من مولد وليس له ابتداء. ولذا فهو قديم أزلي. وهكذا من الضرورة أن يكون مطلقاً أو أن لا يكون قطعاً.

"وهو أيضاً غير متحول، ثابت دائم الاستقرار، باق في ذاته وعلى نفس الحال وفي نفس المكان. وبالتالي يستحيل أن يكون بلا نهاية. وإذ له حد أقصى فهو كامل. وهو أشبه بكرة كاملة الاستدارة وكاملة التوازن"(٢).

وفي نظر بَرْمِنيْدِس أن العقل وحده يعرف الحقيقة، أما الحواس فهي خادعة. ولذا فالعلم ينتج عن معرفة العقل. وأما الظن والوهم فهو ما تعرفه الحواس من ظواهر الأشياء. فالحواس تشعر أن الكون مؤلف من عنصرين متضادين هما النور والظلمة، الحرارة والبرودة، وأن الأشياء كثرة. وأما العقل فيدرك أن الكون كائن أوحد، ووحدانية لا تنفصم عراها. فالحركة والإنتاج والتحول والتوالد إذن من وهم الحواس وانخداعها.

ولكن العقل يرى أن هذا كله مجرد ظواهر، لأن الكون لم يعرف ابتداء. ولن يلقى انتهاء، إذ هو كائن فريد غير متحول أزلي.

ومن ثمّ يؤكد هذا الفيلسوف وحدة الكيان المطلقة. والكثرة والتعدد أو التباين ظاهرة مجردة من ظاهرات الحواس الخداعة وأوهامها الواهية. وبالتالي لا تعدد آلهة ولا تعدد كائنات أياً كانت. بل الوحدة مطلقة كاملة شاملة.

فإن تكلم في كتابه العميق عن آلهة أو إلهات، فما ذلك إلا أسوة بمن تقدمه من الشعراء، ومراعاة لمشاعر العامة دون الخاصة التي تستطيع التفكير وتَبيّنَ قصده وهدفه. وما كلامه عن كريمات فرقد النهار وعن إلهات العدل

---

(٢) راجع لفوالكات: المفكرون اليونان قبل سقراط، باريس ١٩٤١.

والحق والنور إلا توريات شعرية وصوراً بيانية بهية. ولكنه لا يؤمن بها أكثر مما يؤمن زميله الشاعر الروماني لوكرتسيُس بالزهرة إلهة الحب والجمال، عندما يناجيها ويحييها ويستوحيها في مطلع كتابه "طبيعة الكائنات".

لقد سما بَرْمنيذِس إلى عالم ما بعد الطبيعة بتفكيره العميق، ووثب وثبة فذة إلى أجواء الفلسفة الأولى وإلى عنصرها غير المحسوس، إلى الكيان موضوع الفكر. ولكنه كان مقصّراً في علم النفس والمنطق. ولذا فاته أن الكائن والكيان -على ما سيوضحه أرسطو- يؤخذ من نواح عدة[٣]. وتقصيره هذا جعله يجدع الكون ويجدع الفكر ويمنع العلم.

إلا أن هِراكلتُس و بَرْمنيذِس قد مهدا للفلسفة العالية وعبّدا لها الطريق عارضين عفواً أهم مسائلها، وطارحين في مجال الفكر أعوص وأغمض مشكلاتها. ولقد عنيت بأهم تلك المسائل والمشاكل مسألة الكيان والمصير، والكائن الأسمى وطبيعته ومشكلة الإدراك العقليّ والحسي. وعلى الحلول التي تلقيانهما تقوم أكثر المذاهب الفلسفية إن لم نقل كلها. هذا وقد طبعا الفلسفة عموماً واليونانية منها خصوصاً بطابع شخصي عميق، كان له أثره الأكبر في تاريخ المذاهب الفكرية والمدارس الفلسفية.

٦- أَنكسغُورَس

أنجبت هذا الفيلسوف مدينة أكْلَزُمِينِه من أعمال إيُنيّا في آسيا الصغرى. وتقع هذه المدينة على مقربة من اسمِيرنا أو إزمير الحالية. ولد أَنَكسغُورَس في مطلع القرن الخامس على عهد بِركْليس صديقه من أسرة كريمة غنية، وانصرف انصرافاً كاملاً إلى درس الفلسفة، وتفرّغ لها تماماً. وزعم بعضهم أنه تتلمذ لأنَكْسِمينِس. ثم قصد مدينة أثينا حوالي سنة ٤٦٠ق. م. وصرف فيها في صحبة بِركْليس ونخبة من أهل الأدب والفكر ثلاثين عاماً. ويبدو من

(٣) راجع كتاب "ما وراء الطبيعة" لأرسطو.

حوار فِيذُن لأفلاطون أن سقراط لم يعقد مع هذا الفيلسوف صلات شخصية[١]. أما تُكذِيذِس المؤرخ وإفربِذِس الروائي فقد عرفاه وخالطاه، وأخذا عنه روح التحرر من الشعوذة والخرافات، في زمن لم يبرح فيه هِرُوذُتُس أبو التاريخ بسيطاً ساذجاً ينقاد لترّهات الأسطورة وكل سخافاتها. ومن هذا القبيل تخوّف عرافٍ يُدعى لامْبُن، من وجود كبش في قطيع بقرن واحد. فشرّح الفيلسوف جمجمة الحيوان، وبيّن أن تشاؤم العرّاف في غير محله، وأن القرن الوحيد متأتٍ لا عن مشيئة الجنّ أو إله يبغي للمقاطعة سوءاً، ولكن عن تشويه طبيعي في رأس الكبش.

وأوجس بعض الأثينيين خيفةً من تفشّي نظريات الفلاسفة ومن جرأة تعاليمهم، لاسيما بشأن المعتقد والتقاليد الدينية. فوُشي بفيلسوفنا واتُّهِم بالزندقة، فاضطُرَّ أن يغادر مدينة أثينا وأن يَؤمّ مدينة لامْبْسَكُس حيث قضى نحبه نحو سنة ٤٢٨ق. م.

ألّف أنَكغُورَس عدة مؤلفات، واحداً منها في هندسة المسارح وتزيينها وآخر سمّاه هو أيضاً "في الطبيعة" وعرض فيه فلسفته وهذا الكتاب هو الوحيد الذي حُفظت لنا منه شذرات، نستشفّ من خلالها مذهب أنَكغُورَس ونظرياته الطبيعية.

ففي نظر هذا الفيلسوف، كما في نظر أقرانه أصحاب المدرسة الذرية: لِيفْكِبُس وذِمُوكْرِتُس وإمْبِذُكْلِس، إن الحركة أكيدة ثابتة واقعية، وإن الواقع والموجود كائن.

فمن الحقيقة الأولى ينتج أولا وجوب تقسيم كائن بَرْمِنِيْذِس الأوحد إلى كثرة من الكائنات لا نهاية لعددها وصغر حجمها، دعوها "أتومي مرِيذِس" أي الأقسام اللامتجزئة. وهذه الكثرة ضرورة حتمية لتفسير تنوع "المصير أيٍ تحول الكائنات. والنتيجة الثانية هي أن الخواء أو الفراغ يفصل بين "اللامتجزئات" أي

٣-٦: (١) راجع ذيجينس اللائرتي: ٢؛ ٧. وانظر أيضاً لابلوترخس، سيرة الرجال العظام، بركليس ٤: ٦.

– الأتوم والذرات –. وهذا الخواء هو ضرب من اللاوجود أو العدم الواقعي، لأن الخواء ضروري بمثابة مكانٍ تقع فيه الحركة. أما النتيجة الثالثة فهي أن الأتوم أي الذرات تحركها قوة هي في نظرهم القدر أو الحتمية. وقد تكون تلك القوة اندفاع الحركة بالذات.

ومن الحقيقة الثانية وهي أن الواقع والموجود كائن ينتج إن "اللامتجزئات" تحفظ خواص الكائن الإلئاتي. ومن ثم فهي أولاً أزلية ملأى وكاملة في نوعها. وهي ثانياً متجانسة لا تنفصم عراها طبيعياً. ولذا سُمّيت "لا متجزئات". وهي ثالثاً غير قابلة التغير والتبدل. ومهما تمازجت وتخالطت في تأليف أنواع الموجودات، فإنها تحتفظ دوماً بطبائعها الخاصة. لا بل في نظر الذريين الأولين لكل اللامتجزئات طبيعة واحدة. وكل شيء في الكون حتى النفوس والآلهة بالذات، مزيج من تلك الذرات، فالآلهة قابلة إذن في سنّة الحتمية للفناء أو التفكك، وبالتالي ليست بخالدة مؤبدة.

ولكن ما يمتاز به أنكسغورس عن نظرائه وأقرانه السابقين هو نظريته الماورائية. فقبل هذا العبقري الكبير كان الفلاسفة الإيونيون أو الإلياتيون أو الذريون يعتقدون أن العالم والكون كله تسيطر عليه سنة القدر أو شريعة الحتمية البلهاء، وإن تلك السنة والشريعة تنفذ على صميم الكائنات وتُسيّر سكناتها وحركاتها.

فتأمل أنكسغورس نظام الكون ودقة تفاصيل ذلك النظام وشموله وإحكامه، فنسبه إلى عنصر أسمى وجوهر مفارق أصلاً دعاه "نُوس" أي الفهم والعقل. ولذا ما فتئ أصحابه وخلانه يلقبونه بهذا اللقب، ويسمونه عقلاً، كما دعا غسندي ديكارت عقلاً أو روحاً.

فهو نظير الفلاسفة معاصريه يقبل مع بَرْمنيذِس استحالة صيرورة حقيقية، أي ظهور جوهر لم يكن موجوداً من قبل على وجه من الوجوه(٢).

---

(٢) مولاخ المقطوعة ٤٧.

ومن ثم فهناك عناصر أزلية، ولكن هذه العناصر لم تكن في نظره محدودة كما زعم إمْبذكليس الذي ردّها إلى أربعة فقط. ولا غير محدودة العدد وكلها من طبيعة واحدة كما قال ليفكبس، بل هي في اعتقاده لا عدد لها، ولا حصر لتنوعها وانقسامها. وهذه العناصر تأتلف في كل الأجسام بنسبة مختلفة. ونسبة هذا الائتلاف تنشئ تنوع الأجسام. أما في البدء، فقد كانت العناصر كلها ممتزجة مختلطة بصورة فوضوية متشوشة، لا نظام فيها ولا ائتلاف ولا انسجام، تكثر فيها ذرات الهواء والنار لأن تلك الذرات هي أوفر شطر من العناصر(٣). فتألفت الأجسام بفضل حركة دورية جمعت بين الأجزاء المتشابهة المتجانسة، وأتاحت لها أن ينضم بعضها إلى بعض وأن تتماسك وتتداخل. ولكن تلك الذرات المتشابهة المتجانسة لا تخلو أبداً من الامتزاج بذرات أخرى متباينة متنافية. ومن ثم فالجواهر التي تنشأ عنها بالتماسك والتداخل ليست بثابتة ثباتاً نهائياً. ومن ثم فالجواهر الظاهرة المختلفة تستحيل وتتطور من واحد إلى آخر. هذه فكرة أنكسغورس الخاصة الأولى.

ولكن ما هو مصدر الحركة الدورية؟ هنا نلاقي بدعة أنكسغورس الرائعة. وهي فكرته الخاصة الثانية: "إن مبدأ الحركة الدورية الفعالة المنظمة هي العقل أو الفهم في ذاته وبطبيعته مفارق حر. لا يقبل الامتزاج أو الاختلاط. إنه أدق وأنفى من أي شيء. وهو مدرك فهيم وقوي. ما يحيا ويوجد يقع تحت حكمه. فهو في البدء أصل الحركة الشاملة"(٤).

في معرض الكلام عن الطبيعة وتفسير حركتها ونظامها لفظ هذا الفيلسوف، لأول مرة في تاريخ الفكر اليوناني، كلمة "العقل" أو الروح. وهكذا

---

(٣) المقطوعة١.

(٤) المقطوعة٦.

تجاوز حدود الطبيعة، الضيقة على رحبها، إلى ما وراءها، إلى عالم اللانهاية عالم الفكر وعالم الروح غير المحدود. وبعد أن فقه مبدأ الكون والوجود، حاول أن يبين خصائص ذلك المبدأ، فقال أولاً بروحانية العقل. "إنه أدق الموجودات وأنقاها. وليس مركباً نظير سواه من ذرات متشابهة" وإلا لما استطاع أن يسود جميع الكائنات لمجاراته لها في النقص. "فالعقل إذن بلا نهاية، مستقل قدير وقائم بذاته -أفتوكراتس- لا يُخالط ولا يُمازج أي شيء منفرد موجود في ذاته". فماهيته بسيطة مفارقة، وهي بالتالي روحية حقاً منزهة عن كل مادة.

ثم قال بعلم العقل. فلكي يُنظّم لابد أن يعرف ويطلع. ولذا "فهو يعرف الكون بأسره ولا يفوته من علمه شيء". وقال أخيراً إنه عناية حكيمة، أبدع النظام واستعاض عن فوضى العناصر وتشويشها بعالم منمّق مزدان موشّى. وهذا معنى كلمة "كوزمس" التي ابتكرها بِثَغُورَس. ولكي ينظّم الكون ويحافظ على ترتيبه لابد للعقل من قدرة لا حد لها: "ولذا فهو يحرّك كل شيء، وينسّق كل شيء ما وجب أن يكون، وما كان، وما هو كائن وما سيكون"(٥).

وهذا التعليم أثار إعجاب أرسطو، فامتدح صاحبه في كتاب ما وراء الطبيعة، بعد عرض موجز لآراء أسلافه الفلاسفة بشأن علة الكون، فقال: "إن وجود النظام والجمال في الأشياء أو إحداثَهما لا يُحتمل أن يكون سببه النار أو التراب أو عنصراً آخر من هذا النوع. وغير مقبول أن يكون أولئك الفلاسفة فكروا به فعلاً(٦). ومن جهة أخرى لا يعقل أن يُرَد فعل عظيم كهذا إلى مجرّد الاتفاق (أفْتُماتُن) أو إلى القدر (تيخي). ولذا عندما قال أحدهم إن في الطبيعة كما في الكائنات الحية، "عقلاً" (نوس) هو علة

(٥) راجع لأرسطو: في النفس١: ٣.

(٦) يعني بهم الالئاتيين والذريين على الأغلب.

النظام والترتيب الشامل في الكون، بدا ذاك الرجل وحده محتفظاً بوعيه ورشده غير سكران تجاه هذيان وهَرْف أسلافه. ونحن نعلم بجلاء أن أنَكْسَغُورس قد تطرّق إلى هذه الأقوال. ولكن يعزى إلى هِرْمُوتِمُس الكلازُميني أنه قد سبق إليها. وعلى كل حال، فالذين يعلّمون هذا التعليم ويرتأون هذا الرأي قد جعلوا علة الجمال والخير مبدأ الكائنات، وأكدوا أن الحركة في الكائنات تتأتى من ذلك المبدأ"(٧).

لقد كان تعليم أنَكْسَغُورَس انقلاباً فكرياً، وثورة حقيقية في عالم الفلسفة، ولذا أثار إعجاب أرسطو. فإلى عهد فيلسوف اكْلَزُمِينِه كان المفكّرون كلهم يردّون حياتنا الروحية والعقلية إلى ظاهرات طبيعية محضة وإلى عناصر فيزيائية. فجاء أنَكْسَغُورَس وقاوم التيار الجارف القديم ورد الطبيعة برمتها، على كل شمولها واتساعها، مع كل أحداثها وظاهراتها إلى العقل أو الروح كمصدر لها ومعين رائقٍ ومبدأ راسخ حقيقي.

بيد أن فيلسوفنا لم يستنتج من مبدئه كل نتائجه الطبيعية، ولم يقل إن مصدر الخير والنظام وعلة حركة الموجودات هو في الوقت عينه لها علة سببية وعلة غائية. وهذا ما يأخذه عليه أرسطو نفسه وأستاذه الكبير أفلاطون(٨) وهذا التقصير أمر طبيعي. فكل العلماء لا يرون لأول نظرة مدى مبادئهم وكل نتائجها. وفضلهم كله غالباً في اكتشاف تلك المبادئ وفي إثباتهم لها.

ففضل أنَكْسَغُورَس إذن هو أنه أول من عالج موضوع العقل والروح معالجة علمية محضة. وهكذا عبّد الطريق لسقراط ومدرسته الفلسفية الروحانية، ووضع أسساً متينة للفلسفة الماورائية أو علم اللاهوت الطبيعي ومهّد السبيل في الوقت نفسه للسكولوجية العقلية أو علم النفس الروحاني.

---

(٧) ر ما وراء الطبيعة لأرسطو١: ٣: ١٢ وما يلي.
(٨) ر لأرسطو ما وراء الطبيعة١: ٤: ٥. وفيذن أفلاطون ٩٧- ٩٩.

٧- أرسطو

ولد أرسطو سنة ٣٨٤ ق. م. في مدينة صغيرة غنّاء تدعى اسْتَغيرا من أعمال شبه جزيرة خَلكذكي على الخليج الستريموني إلى شماله الشرقي، على مصب نهر السْتْرُمون. وكانت مدينة أسْتَغيرا هذه مدينة إيونية، ساهم في تأسيسها نحو سنة ٦٦٥ق. م أهل جزيرة انْذُرس وأهل مدينة خَلكيس موطن والدته فستياس وقد دمّرها سنة ٣٤٩ق. م فيلبّس الثاني (٣٨٢- ٣٣٦) إبان إحدى الحروب التي مهّدت له اجتياح بلاد اليونان. ثم أعاد بناءها وجمّلها سنة ٣٤١ق. م. وخصّها بامتيازات كبيرة، نزولاً عند رغبة أرسطو مهذّب وأستاذ ألِكصَنْذُرس المعروف بالاسكندر الكبير (٣٥٦- ٣٢٣). وقد سنّ الفيلسوف لها دستوراً حكيماً. وأسمها الحالي استفروس أي مدينة الصليب.

وكان نكوَمُخس، أبو أرسطو، صديق أمينتس الثالث (٣٩٦- ٣٦٩) ملك مَكِدُنيّا وطبيبه الخاص. وعنه أخذ الفيلسوف ولاشك بالتلقين والوراثة خصوصاً، حبّ العلوم الطبيعية وميله إليها واعتماده على الواقع الطبيعي، في شتى نواحيه، اعتماداً صحيحاً بالمراقبة والاختبار، ليبني صرح فلسفته الأولى، كما يدعوها، أي فلسفة ما وراء الطبيعة. وعنه أخذ ولاشك في ذلك أيضاً، تلك الواقعية الصرفة، التي أتاحت له أن يشيد نظرياته الفلسفية البحتة على صخر متين يصونها من تقلبات الدهور وغارات المناوئين.

وعندما ناهز السابعة عشرة من عمره سنة ٣٦٨ق. م. وكان قد أنهى ثقافته الأدبية والموسيقية والرياضية الأولى، طبقاً لأصول التربية المرعية في ذلك العهد، والتي يشير إليها هو نفسه في الباب الثامن وأواخر السابع من سياسياته، قدِم أثينا فيمن كان يقدمها من رائدي المعرفة على اختلاف فروعها، وتتلمذ لأفلاطون أجلّ وأشهر أساتذة بلاد اليونان إذاك، لا بل أكبر فيلسوف في ذلك العهد.

ولم يقصد الندوة الأفلاطونية أو الأكذِمية - كما كانوا يسمونها - لميل خاص إلى الفلسفة، اللهم في الأوائل، إذ كان والده يُعدّه لمهنة الطب، ولكن لصيت

صاحبها ومؤسسها الذي كانت شهرته قد طبقت الآفاق. فما عتّم الأستاذ الكبير والمفكر الحصيف أن خصّ تلميذه الجديد بعناية فريدة، ومحبة كبيرة، إذ استشف من وراء ذلك الجسم النحيل والبنية الدقيقة والكيان النحيف، عقلاً مرهفاً وذكاء متوقداً وقوة جبارة على المطالعة والإدراك والاستيعاب. وبعد أن عرك ذلك العود واستجلى باطنته المجوهرة - المركبة حسب زعمه في كتاب الجمهورية - لا من ذهب نُضار فقط، ولكن - نستطيع أن نقول- من ماس كريم أيضاً، راح يدعوه "عقل الندوة" وقَرّاءها "وفكرَ المدرسة وروحَها". وكان يسميه أيضاً "فيلسوف الحقيقة" لصراحته واستقامته ونزاهته في البحث عن مجرد الحقائق.

فذاك العقل الكبير والعبقري الشهير وفيلسوف الحقيقة صرف جهده إلى البحث عن الحقيقة. وبعد أن غيّر اتجاهه وأكبّ بكل قواه على درس الفلسفة وجعل حياته وقفاً عليها، ألف تلك المؤلفات الضخمة فيها التي رفعته على أسمى المنازل الأدبية والفكرية، حتى عدّه فلاسفة العرب ومفكرو المسيحية أمير الفلاسفة والمعلم الأول. وكلّل دراساته كلها ونظرياته العميقة بكتاب ما وراء الطبيعة أو الفلسفة الأولى كما يسميها أو أسمى علم بلغة العقل البشري. وهو يقول لنا في مطلع هذا المؤلّف الرائع:

"العلم والمعرفة لمجرد العلم والمعرفة" تلك هي الميزة الرئيسية لعلم أسمى ما يُعلَم. لأن من يريد أن يعلم ليعلم، يختار ويفضل لنفسه العلم الكامل أي علم أسمى ما يُعْلَم. والحال أن أسمى ما يُعلم هو المبادئ والعلل. فيها ومنها تعرف الأشياء الأخرى. وليست المبادئ والعلل هي التي تعرف بالأشياء الأخرى الخاضعة لها.

"فأرفع علم يفوق كل علم دونه، هو العلم الذي يعرف لأي غاية يؤتى كل عمل. وهذه الغاية هي الميزة في كل كائن. وعلى وجه الإطلاق أنه الخير الأسمى في مجمل الطبيعة"[١].

---

(١) ما وراء الطبيعة١: ٢: ٥ و٦. ٣-٧:

وعِلمُ أسمى ما يعلم هو في نظر أرسطو علم المبادئ والعلل أو علم الفلسفة. وهنا يقول الفيلسوف إن المباحث الفلسفية ابتدأت بالدهشة والتعجب: "ما لفت نظر المفكرين الأولين في البداية كان البسيط من الصعوبات. ثم ما برحوا يخطون الخطوة تلو الخطوة إلى أن حاولوا أن يحلوا مشاكل أكثر خطورة؛ مثل ظاهرات القمر والشمس والكواكب، وأخيراً نشأة الكون. فمن يلاحظ صعوبة ويدهش لها، يتهم نفسه بالجهل. ومحبّ المثولوجية (أي الأسطورة) هو من بعض الوجوه محبّ الحكمة (أي فيلسوف). لأن الأسطورة تتركب من أمور مدهشة. ومن ثم إن انصرف الفلاسفة الأولون إلى الفلسفة هرباً من الجهل، فجلي أنهم سعوا وراء العلم ابتغاء للمعرفة، لا لغاية نفعية(٢)، لأن الفلسفة غاية لنفسها.

ولذا يستطيع المرء بحق أن يحسب امتلاك الفلسفة فوق مستوى البشر. لأن طبيعة الإنسان في الواقع مستعبدة من وجوه شتى. ولذا كما قال سِمُنِيذِس: الله وحده يتمكّن من التمتع بهذا الامتياز. ولكن لا يليق بالمرء أن لا يسعى وراء العلم الذي يوافقه. وإذا ما صدق الشعراء، وكانت الألوهة حسودة فلابد أن تحسد خصوصاً بشأن الفلسفة. ولابد أن يشقى كل البارعين فيها والمتفوقين. غير أنه لا يُقبَل أن تكون الألوهة حسودة، إذ إن الشعراء، طبقاً للمثل، كثيراً ما يكذبون. هذا ولا يحتمل أن يظن المرء أن علماً آخر قد يكون أنفس من هذا. وفي الواقع أكثر العلوم ألوهية هو أنفس العلوم. والفلسفة وحدها أكثر العلوم ألوهية، وذلك من وجهين: العلم الإلهي هو العلم الذي يجدر بالله أكثر من غيره أن يملكه، وهو أيضاً العلم الذي يتكلم عن الإلهيات. والحال أن الفلسفة وحدها قد حوت هاتين الميزتين: إذ يبدو من جهة أن الله علة من العلل لجميع الكائنات وأنه لها مبدأ. والله

---

(٢) ما وراء الطبيعة١: ٢: ٨.

يملك وحده من جهة أخرى مثل هذا العلم أو يملكه أصلاً. فكل العلوم أكثر ضرورة من هذا العلم. ولكن ليس من علم أفضل منه"(٣).

وبعد دراسات مسهبة على الكيان والوجود والعناصر والمبادئ والعلل، يخلص إلى القول إن نظام الكون وحركة الكون، وديمومة الروح والعقل، كل هذا يقضي بوجود كائن أسمى هو فعل تام أكمل، لا مجرد إمكانية أو قدرة، لأن الفعل قبل القدرة، والوجود قبل إمكانية الوجود، والكمال قبل إمكانية الكامل. فالله هو المنظم الأزلي والله علة الحركة وعلتها الصمدية، والله غاية الكون والكيان. لأنه الكمال الذي لا ينقصه شيء، إذ هو ملء الكمال المنزّه عن كل نقص. ووجوده ضروري لأنه مصدر الوجود وعلة كل موجود.

- "فالليل والخواء لم يوجدا فترة لا نهاية لها. بل نفس الأشياء وُجدت دائماً.
- "إذ علتها سرمدية أزلية. وبما أن الأمر كذلك، ولو لم يكن ذلك كذلك، لصدر العالم عن الليل، وعن الفوضى الشاملة والعدم... وبما أن الحركة شاملة فالمحرك الأسمى يُحرِّك دون أن يَحْرُك وهو الكائن الأزلي والجوهر الكامل والفعل التام. وهكذا يُحرُك المرغوبُ والمعقول. إنهما يُحرِّكان دون أن يَتَحركا"...
- "والله هو المرغوب الأسمى لأنه الخير الأسمى، والمعقول الأسمى لأنه الجوهر الكامل الذي منه كل كمال.
- "فهذا هو المبدأ الذي تتعلق به الأكوان والطبيعة، وحياته في ذاته تحقق أسمى الكمال - لأنها روحية محض -. ونحن لا نحياها إلا فترات عابرة. أما هو فإنه يحيا تلك الحياة بصورة دائمة، وهذا يستحيل علينا، لأن لذته فعله بالذات. وما السهر والشعور والفكر أعظم لذّاتنا إلا لأنها أفعال. وما الأمل والذكرى لذةً إلا بتلك.

---

(٣) ما وراء الطبيعة١: ٢: ٩ و١٠.

- "والحال أن الفكر – والفكر القائم بذاته – هو فكر الأفضل بالذات. والفكر الأسمى هو فكر الخير الأسمى. والعقل يعقل ذاته إذا أدرك المعقول. لأنه يغدو هو نفسه معقولاً عندما يتصل بموضوعه ويعقله، بحيث تنشأ وحدة ذاتية بين العقل. والمعقول. لأن العقل وعاء المعقول والماهية. والعقل في فعله. هو امتلاك المعقول. ولذا فالامتلاك قبل الملكة هو العنصر الإلهي الذي ينطوي عليه العقل، وفعل التأمل هو اللذة الكاملة القصوى.
- "فإن أحرز الله إذن بلا انقطاع الحبور الذي لا نملكه إلا فترات متقطعة فذلك أمر مدهش. وإن أحرز الحبور أكثر منا بكثير فذاك مدعاة أكبر لدهشتنا. والحال أن الله يحرز الحبور على هذا الوجه.
- "ثم إن الحياة من صفات الله. لأن فعل العقل هو حياة. والله هو هذا الفعل بالذات. فهذا الفعل الجوهري في حد ذاته، هو نفسه حياة الله الكاملة الأزلية. ولذا ندعو الله حياً أزلياً كاملاً. فالحياة والديمومة المتواصلة الأزلية من خواص الله، لأن هذا بالذات هو الله"(٤).

أما ماهيّة الله وجوهر الله، فهو العقل والفكر: "إن العقل الأسمى يعقل نفسه – إذ لا يمكن أن يعقل غيره كمخارج عن ذاته–. ويعقل نفسه أو ذاته لأن ذاته خير ما يوجد، وفكره هو فكر الفكر. وبما أنه لا فرق في الأشياء المجردة عن المادة، بين الفكر وموضوعه، ففكر الله وموضوعه واحد بالذات". وفكر الله يدرك ذاته أي الخير الأسمى مدى الأزلية كلها(٥).

هذا هو إله أرسطو روح محض وكمال مجرد وصلاح مطلق. فعل تام أي الكيان بالذات والعقل بالذات وفكر الفكر أي فكر ذاته لأنه أسمى كيان

---

(٤) ما وراء الطبيعة ١١: ٧.

(٥) ما وراء الطبيعة ١١: ٩.

والكيان وأسمى خير والخير.ومن ثم فهو سعادة كاملة وحياة كاملة وفرح سرمدي، علة العلل وغاية الغايات. فهو البدء وهو المعاد.

وما رأي أرسطو بالآلهة؟ لقد رأى أنها عقول مجردة تشرف على سير الكواكب والأفلاك. أما بعض الآلهة التي أكرمتها العامة، فقد ازدراها ازدراء، بعد أن نسب شيئاً من الحكمة للشعراء الذين اختلقوها. فهو يقول في كتاب السياسيات(٦): "بما أننا ننبذ من الدولة النطق بإحدى القباحات، فمن الظاهر أننا ننبذ أيضاً منها مشاهدة الرسوم وسماع الأحاديث الغير اللائقة. فليُعنَ الحكام إذن بألاّ يُمثّل رسم أو تمثال أو شيء آخر قباحةً من تلك القباحات إلا في هياكل بعض الآلهة ممن يدع لهم الشرع هزلهم الخلاعيّ والقانون يسمح لمن تقدموا في السن أن يقصدوا تلك الهياكل، لكي يؤدوا الإكرام للآلهة عن ذواتهم وأولادهم ونسائهم".

ويشير الفيلسوف ههنا بقوله بعض الآلهة إلى فاكخُس أو ذيونِسُس وافرودذيني وأرتميس ومن إليها، ممن دارت عبادتها على الحب الشهواني والخلاعة أو رافقت عبادتها بعض مظاهر الفحش والتهتك. وأرسطو ينتقد بكلامه هذا انتقاداً مبطناً ولكن لاذعاً، تلك الشعائر الدينية السخيفة السافلة، وتلك الآلهة التي قد يلحق بها الإهانة والضرب لو أنها بشر. مما يليق في نظره بالعبيد، لأنها أحط من العبيد منزلة.

هذا وقد كنا نود أن نقف في بحثنا عن تطور المعتقد بشأن الأسطورة عند هذا الحد. ولكن تتمة للفائدة واستكمالاً للعرض، لابد أن نقول كلمة عن كاتب روماني عبّر في القرن الأول ق. م. عن فكر فئة كبيرة من أهل عصره، ضمّت العظماء والوجهاء والكتاب والمفكرين، وعن أديب يوناني عاش في أواخر القرن الثاني بعد المسيح وسخر من آلهة الوثنية وتهكم بمعتقداتها السخيفة وأساطيرها الصبيانية.

---

(٦) السياسيات٧: ١٥: ٨.

ج- طور الانكار

٨- لُكْرِتْسيُس

ينحدر هذا الشاعر من أسرة عريقة نبيلة، تعدّ بين أجدادها زمرة من قناصل رومة وهي أسرة لُكْرِتْسيُسي. وُلد في رومة سنة ٩٨ق. م وصادق اتْشِيتْشِرُو أي قيقرون واتِكّوُس وكَتُولُّس. وانصرف عن السياسة إلى حياة الأدب والشعر والفلسفة، وتوفي سنة ٥٥ق. م. وما إعراضه عن السياسة إلا لاشمئزازه من خصوماتها ومورابتها وإحنها وأنانياتها ودسائسها. وقد كره الدين أيضاً ونفر من معتقده وشعائره، لأنه أصبح لعبة في أيدي الطامعين والمستغلّين من أصحاب الغايات السياسية والمتنفّذين فيهم. ولمّا راحوا يكثرون لدعاياتهم طغمة الآلهة، ويزيدون عدداً أكثرها سوءاً وشِرَّةً، تمرد على تلك القوات السماوية المزعومة، وقد أبدعها الجهل والخوف والجشع واستخدمها الطغاة لقمع رعاياهم.

وفي تلك الحقبة العصيبة من تاريخ روما، فترة تضخّم الامبراطورية الرومانية وفتوحاتها الكبرى واتساع رقعتها، قادته تأملاته ودراساته الفلسفية إلى اعتناق مذهب إِبِيكُرُس، وغدا من غلاة الداعين إليه عند الرومان. ولم يخلُ المذهب من العظمة والمهابة، إذ دعت الأخلاق فيه إلى التغلب على الذات وضبط الأهواء والحدّ من الرغبات ومقاومة المخاوف الخرافية. وهذه التعاليم أنمت الشهامة في القلوب واستهوت النفوس الأبيّة، بما انطوت عليه من زهد وشظفٍ في العيش. وقد لاءمت نظريات إِبِيكُرُس استعداد لُكْرِتْسيُس الروحي، وقد آلمته الحروب الأهلية الضارية حتى الصميم، فوجد أن فلسفة ذلك الحكيم اليوناني الكبير الطبيعية تروي غليله وتشفي نقمته من آلهة بلهٍ ومعبودات عاجزة من كبِّتُولها، وهو أوْلمبس الرومان، تضع حداً للمجازر الأهلية، وتكفّ الأيادي الآثمة عن سفك الدماء البريئة.

وما كان في نظر إبيكرس نظرية علمية موقتة، غدا في وهم لكرتسيس عقيدة راسخة وإيماناً متعنتاً أعمى. هذا وهو لم يزد شيئاً على نظريات ذموكرتس الطبيعية، وقد قبلها أستاذه على علاتها. إلا أن شاعرنا الروماني أضفى على تلك التعاليم النظرية المجردة الرزينة وشاحاً أخاذاً ناصعاً من شاعريته الثائرة الجياشة ومن عاطفته العميقة المتألمة.

يبتدئ لُكْرِتْسِيُس ملحمته بالابتهال على فِيْنُس الزهرة إلهة الحب وهو لايعتقد بها أكثر مما يعتقد بغيرها من الآلهة. ولكنه يعتبرها "حرصاً على التقاليد" أصل الأمة الرومانية ومصدر الخصب الرمزي في الكون. ثم يُطنب في مديح إبيكرس (٣٤٠- ٢٧٠ق. م) وينسى أن المذهب الذري، الذي يقضي على العقل والروح والآلهة والحياة الأخرى والدين، ليس من معلمه بل من فلاسفة عاشوا قبله بكثير، نظير ليفكبس وذموكرتس (٥٢٠- ٤٤٠ق. م). وإبيكرس بالذات الذي أخذ عن أنكسرخس، تلميذ مترذورس الخيسي، تلميذ ذموكرتس، لم يزد هو نفسه شيئاً يذكر على تعاليم جده الأكبر بالروح.

فذموكرتس يقول قول ليفكبس أن "ليس من العدم إلا العدم"، وأن كل شيء تفسره الذرات وحركتها في الفضاء. فهذه الذرات أزلية لا متناهية العدد، وهي متجانسة مختلفة الأشكال، ملأى وغير متجزئة. ومن ثم لا تنقسم المادة إلى ما لا نهاية، ولكن ذراتها هي التي تتدانى فتنسجم وتتباين فتنقسم، لأن الأجسام كلها والكائنات الحية والأرواح والآلهة لا تختلف في الماهية. وما يختلف فيها هو إئتلاف ذراتها. أم الإئتلاف أو الأشكال التي تتخذها الذرات فمنشؤها الاتفاق وحركة "الأتوم" الثنائية، العمودية الأصلية والمنحرفة الناشئة عن تلاقي الذرات وتصادمها. والحركة تقتضي الخواء أو الفراغ. وبرهان الفراغ الذي يقدمه ليفكبس لأصحاب المذهب الإلياتي هو الحركة بالذات وتقلص بعض الأجسام وتمددها وتداخلها وغذاء بعضها ببعض، وامتصاص هذا الغذاء بالذات. ولكن الفراغ بين الذرات ليس عنصراً إيجابياً. لأن العنصر الإيجابي الفريد هو الذرة والأتوم.

هذا مذهب ليفكبس وقد أقره ذموكرتس وكمله. وفرض أن الفضاء بلا نهاية تسبح فيه الذرات وعدد من العوالم. وأن العوالم كالبشر والحيوان خاضعة هي أيضاً لغير الدهر وسنّة الازدهار والانهيار. وليست الذرة الثقيلة في نظره. ولكن الفراغ إذا زاد أو نقص في المركب أحدث الثقيل أو الخفيف وأنشأ الوزن.

وقد أضاف ذموكرتس إلى هذه النظريات الطبيعية، بعض الآراء النفسانية والماورائية والأخلاقية. وزعم أن روح الإنسان تتركب هي أيضاً من ذرات دقيقة مستديرة شبيهة بذرات النار. وفسر عملية الشعور أو الإحساس: من جهة الأشياء "بصورة مادية مثيلة" إيْذُلا، تبعثها الأجسام كجزئيات مادية إلى حواسنا، ومن جهة الحواس فسر تلك العملية بإئتلافات ذرية هي المشاعر والوجدان والفكر والعقل أو الإدراك.

وما الآلهة إلا تراكيب ذرية أقوى من تراكيب النفوس البشرية. ولذا يطول أمد حياتها. ولكنها هي أيضاً مائتة أو فانية، لأنها خاضعة لسنة الحتمية وتفكك المادة، وشريعة إلتئام العناصر وانقسامها التي تسيّر الكون.

وبالتالي لا خرافات ولا أوهام ولا مخاوف سخيفة إذ الآلهة والبشر في البلاء سواء. فلتُخلِد النفس البشرية إذن إلى السكينة والدعة، ولتحيَ مطمئنة هانئة ولتقطف أطايب الحياة في أوانها، ولكن باعتدال وفطنة. وقيل إنه كان ينبذ الزواج وحب الوطن لما يولدان من مشاكل ومتاعب. وكانوا يقابلون ذموكرتس الضحوك المتفائل بهراكلتس العبوس المتشائم.

وقد أضاف إبيكرس إلى فلسفة ذموكرتس الطبيعية انحراف الذرات التلقائي أو الذاتي. ومن هذا الانحراف تصدر ميول النفس وإرادتها الحرة. والعوالم المماثلة لعالمنا الناشئة عن إئتلاف الذرات لا نهاية لها. أما الآلهة فهي تعيش في البطالة ولا تتدخل في أمور البشر. ومن ثم لا داعي إلى الخوف منها بل يليق أن يحترمها المرء ويكرمها رغم اعتزالها في قصورها النائية.

هذه هي التعاليم التي يتبعها الشاعر الروماني خطوة خطوة، ويسكبها في قالب شعري بديع. وبعد أن يعرضها في الكتب الأربعة من ملحمته، يعود إلى إطراء أستاذه إبْيكرُس ويبالغ في مديحه ويؤلهه تأليهاً، ناسياً أو متجاهلاً أن مذهبه ليس سوى إعادة لمذهب المدرسة الذرية، وترداد ليفكبُّس وذِموكرِتُس وغيرهم من الفلاسفة ممن حذوا حذوهم ونسجوا على غرارهم. فهو يبدي حماس المهتدين حديثاً، ويندفع بكل قواه وراء تعليم يحرر قلبه من الخوف وعقله من عقال الخرافة. ولذا لم يتكلم أحد قط عند الرومان بمثل ما يتكلم لُوكْرِتْسيُس من الحرية والجرأة والصراحة عن تلك الآلهة التي يخضعها للقدر نظير كل شيء. ففلسفة ابيكرس راقت في نظر ذلك الدهري الملحد. وما ورائيته هي المادية الصرفة، إذ ينكر، بعد أساتذته اليونان، على النفس خلودها وعلى الآلهة سرمديّتها. لأن العالم والكون أداة طيعة في يد الحتمية الصماء.

ولكن شائبة تلك التعاليم وعيبها الفادح الأكبر هو سذاجتها وسطحيتها وسخفها. فمن أين الإحساس والشعور لكتل الذرات؟ ومن أين الإدراك والتمييز لمجموعة "جزئيات" ومن أين الوجدان والعاطفة والحياة لعناصر مادية كثيفة؟ وكيف ينوب القدر والاتفاق مناب العناية الإلهية العاقلة؟ وكيف تنظم الحتمية هذا النظام الدقيق الشامل؟ وكيف تفسر الآلية العمياء نواحي الحياة المذهلة، والحياة في جوهرها تتنافى والآلية كل التنافى وتتناقض وإياها أتم التناقض، لاسيما على الصعيد الفكري والروحي والخلقي؟ وهذا هو بالذات مأخذ أرسطو الكبير على المذهب الذري، وهو أنه يحاول أن يفسر كل شيء بالحركة، ولا ينبئنا عن مصدرها ولا عن كيفيتها ولا عن غايتها.

٩- لُكيْنُوس السُمَيْسَاطي (١٢٥- ١٩٥)

نشأ لكينوس في الشمال الشرقي من سورية، على ضفاف الفرات في مدينة اسمها سميساط عاصمة كُمَجِيْنا. ولما شب رحل إلى إيُنيا وقد ازدهرت فيها المعرفة على عهد الأباطرة الأنطونيين، وتثقف فيها في الفلسفة

والخطابة، ثم هبط إلى أنطاكية ومارس فيها المحاماة. ولكن لم يطل به الأمد حتى هجر تلك المدينة وتجوّل في عواصم بلاد اليونان وغالية. ثم عاد إلى أثينا وأقام فيها زهاء عشرين سنة. وقد فضلها على رومة. وكان في رحلاته قد اغتنى جداً. ولما أخذت ثروته التي حصّلها في الغرب بتعاطيه مهنة السفستيين تتقلص وتتضاءل نزح إلى الاسكندرية حيث تذكّر عهد المحاماة، وشغل منصباً مرموقاً في القضاء، درّ عليه دخلاً وافراً. وكان يأمل أن يبلغ منزلة والٍ على إحدى مقاطعات الامبراطورية الرومانية[١].

ألّف هذا الكاتب تآليف كثيرة عرفت كلها بالدعابة والمرح وخفة الروح. وسمتها الرئيسية السطحية والعبث. ومن أهم تلك المؤلفات "أحاديث الأموات" و"محاورات الآلهة" و"زفس المهرج" و"زفس المسفّه" و"عرافة الموتى" و"مينبس" و"الوصول إلى الجحيم" و"الديك أو الحلم" و"النحل الفلسفية في المزاد العلني" و"مجلس الآلهة".

ففي زمن انعدم فيه الفكر الشخصي وغدا التعليم في كل المضامير ترديداً وترجيعاً لأقوال وآراء ونظريات الأقدمين، تتجلى روح النقد في هذا الأديب السوري إلى مدى بعيد، ولكن لسوء الحظ تتناول هذه الروح عنده كل الموضوعات بالخفّة نفسها، وبكثير من اللامبالاة وعدم المسؤولية. ومع أن فكره نبيه نقاد لاذع، فهو يخلو أو يكاد من التؤدة والحصافة والعمق.

لقد انتقد أخلاق المجتمع وما تفشّى فيه من الشوائب والنقائص والرذائل، لاسيما الطمع والجشع القائد إلى الإثم، والوصولية وحب الظهور، والتهافت على الملذّات[٢]. انتقد الخطباء والسفستيين "باعة الكلام" كما يدعوهم أفلاطون أو "تجّار المعرفة" كما يسمّيهم ارسطو. أما الخطباء فقد انتقدهم لأن فنّهم أمسى مجرد منافسات ومباريات كلامية، في عصر حُرمت

٣-٩: (١) راجع له هرموتس أي المذاهب الفلسفية، وكتاب الدفاع.
(٢) أحاديث الموتى والديك.

الشعوب الخاضعة لنير رومة من حرياتها السياسية ومن حق انتقاد السلطة والمطالبة بحق تقرير المصير. فعند تلك الشعوب لم يَبق للخطابة إلا أن تشيد بحمد الولاة والحكّام والسلاطين، وتدافع عن بعض المصالح الشخصية التافهة. وفي انتقاده الفئة الثانية التي انتمى إليها ردحاً من الزمن، قد شمل "باعة الكلام" والفلاسفة الحقيقيين.

لقد جرَح السفسطيين لسخف تعليمهم ومتاجرتهم بالمعرفة واستخفافهم بالعلم وتدنّيهم الخلقي ومدالسة العظماء والوجهاء وذوي المناصب وأصحاب السلطة. وكان ذوقه وثقافته قد منعاه من اقتفاء أثرهم والنسج على منوالهم.

أما الفلسفة والفلاسفة فقد ساءه فيهم تضارب آرائهم وتناقض مذاهبهم وتباين تعاليمهم. ولذا نعى عليهم زيف الفلسفة وبطلانها وانهيارها. وادعى أنها أفلست من العلم "لتعدد مذاهبها وتشعّب مللها ونحلها وتنافر تعاليمها حتى بشأن المبادئ والغاية(٣) ". ولكثرة الهرج والمرج واللغط لا يستطيع الفكر أن يستقرّ ولا أن يختار لنفسه طريقة أو مذهباً، "إذ لابد للمرء أكثر من مشتى سنة لمجرد الاطلاع على مختلف المدارس والمذاهب الفلسفية(٤)".

وهو لا يفتأ يتهجّم على الفلاسفة ويطعنهم بلا هوادة ويهزأ بهم ويتهكّم وينعتهم بأسوأ النعوت. ففي كتاب له دعاه "إكرُمِينِبُّس أو الرحلة الفضائية"، يضع على لسان زفس وقد صعد إليه بطل رحلته ليزوره في عليائه، المديح التالي بحق الفلاسفة. وقد كان رب الأرباب يبحث شكوى القمر في محفل الآلهة: "إن ما حداني إلى استدعائكم هو قدوم ضيفنا يوم أمس. فمنذ عهدٍ بعيد كنت أبغي أن أتلو على مسامعكم بياناً بشأن الفلاسفة. واليوم فقد عزمت أن أبحث معكم هذه القضية، وعقدت النيّة على عدم إرجائها، لاسيما وأن القمر وتبرّمه يستحثني إلى ذلك.

---

(٣) المتطفل.

(٤) هرموتمس٨.

"يوجد الآن طائفة من الناس برزت إلى العالم منذ أمدٍ قريب. وهي شرذمة كسول مشاغبة مزهوّة غضوب، شرهة، طائشة، متكبّرة سريعة إلى كل ضروب العنف وعلى حد قول هُومِرُس، عبء على الأرض لا جدوى منه.

"وقد تفرق أولئك الرجال إلى نِحل. وقد استنبطوا أقيسة عقلية ملتوية، وسمّوا أنفسهم: هؤلاء رواقيّين، وأولئك أهل الندوة أو اتباع إِبِيكُرُس أو مشّائين، وانتحلوا لنفوسهم أسماء أخرى تزيد هذه مهزلة وليس هذا دأبهم فحسب، ولكنهم يتزيّون باسم الفضيلة المهيب ويقطّبون حواجبهم ويسدلون لحاهم العريضة، ويتجولون في الأسواق وهم يسترون أخلاقهم السافلة وراء مظهر جليل.

"إنهم يُشبهون كل الشبه ممثّلي المآسي فإن نزع هؤلاء أقنعتهم وألبستهم المقصّبة يعودون عضاريت استؤجروا للتمثيل بسبعة دراهم...".

ويتابع زفس، أو بالأحرى لُكْيَنُوس على لسان الآلهة، ثناءَه العاطر هذا ويبين نهم تلك الزُمرة بعد تعفّف، ودعارتها بعد تزهّد، وجشعها بعد إعراض وادعاءها الخير والإصلاح وهي منصرفة إلى البطالة، فلا تنفع لحرب ولا تفيد في شورى". وينحو باللائمة خصوصاً على جماعة ابيكُرُس القائلة بانطواء الآلهة على نفوسهم وإعراضهم عن الاهتمام بشؤون البشر، ويضيف: "إن أقنعت هذه الطغمة الناس بصحّة ادعائها، فمصيركم أيها الأرباب إلى العسر بعد اليسر، إذ من يشاء أن يقدّم لكم الأضاحي إن لم يرجِّ منكم بعد اليوم خيراً(٥) ؟"

"هكذا تكلّم ابن اخْرُونُس وأيّد قوله بتقطيبٍ من سود حواجبه(٦) ".

هذا رأي كاتبنا بالفلسفة والفلاسفة، وهو يميل خصوصاً إلى مذهب ابِيْكُرُس وإن خالفه بشأن وجود الآلهة. فإن تباينت الآراء وتناوأت إلى هذا الحد،

---

(٥) الرحلة الفضائية ٢٩ وما يلي.

(٦) الإلياذة١: ٥٢٨.

فالأفضل في نظره أن يركن المرء إلى رأي الطغام وأن يعيش عيشهم: إن خير حياة وأحكمها هي حياة الرعاع والجهّال. فاعدِل إذن عن جنون المباحث العويصة المتعلّقة بالظاهرات الفلكيّة، وعن استقصاء المبادئ والغايات. ازدرِ القياسات والأدلة العقلية العالمة، وعدَّ كل ذلك هذرا وهذيانا. ولا تعوّل في كل شيء إلا على أمر واحد وهو استعمال الحاضر. مرَّ ضاحكاً تجاه الباقي ولا تتعلق بشيء". هذه مشورة مِينْبس إثر عودته من الجحيم، وقد جذبه العرّاف تِرِسيَّس من طرف جبّته وانتحى به جانباً وأسدى إليه بهذا النصح[٧].

وما هو رأيه في الآلهة والأبطال وأنصاف الآلهة والإلهات. إنه ناقم على هؤلاء جميعاً نقمة عارمة، تبدو تارة تنكيتاً ظريفاً كله مرح ودعابة، وتارة استهتاراً سافراً وتجريحاً مستخفّاً وثورة واستنكاراً. فهو يأخذ على تلك الآلهة مخازيها وفحشها ثم قسوتها وشرِّتها، وأكثر من ذلك تفاهتها ولا مبالاتها. ويعود إلى هذا القدح والتعيير والاستهتار والاستنكار في أكثر من مؤلّف، ولا رادع في زمانه ولا وازع، وقد غدت الوثنية مهلهلة واهية متداعية. قضت عليها المذاهب الفلسفية ودكت دعائمها مفاسد الأخلاق وحيرة الأفكار والقلوب، إذ نضجت عقول الجماهير وتعطشت أفئدتها إلى تعليم أعلى وأسمى وإلى أهداف أرقى وأنقى.

فهل كان كاتبنا دهرياً ملحداً؟ لا يبدو ذلك جلياً واضحاً من خلال مؤلفاته. ولكن ما حيّر عقله ولبّه هو في زعمه قسوة القدر المهيمن على كل شيء، على البشر وعلى الآلهة، وتفشّي الشرور والمحن، لا يدفعها إله عن بريء ولا ينزلها بآثم أو مسيء. هذا ما حداه إلى رذل مثل تلك الآلهة وإلى نبذ معتقدات تقرّ كل تلك التناقضات.

فهو في حوار "زفس المُسَفَّه" يحجّ رب الأرباب ويقطع عليه مذاهبه، ويكرهه على الاعتراف بعجزه والإقرار بأن سيّد الكون هو القدر الغاشم

---

(٧) مينبس أو عرافة الموتى ٢١.

المهيمن على مصائر الجميع بواسطة ربات الأقدار والمصائر اللائي يغزلن لكل إنسان، لا بل لكل إله أحداث حياته وعواقب آخرته أو وفاته[٨].

وفي حوار "زفس المهرّج يظهر لنا سيد السماء والأرض بمظهرٍ زريّ، يستدعي محفل الأرباب وهو خائف وجلٌ، لا يدري بما يخاطب به الآلهة، وقد بدت في محيّاه علائم الرعشة والحيرة والذهول واصطكَ حنكاه وصرت أسنانه وتلعثم لسانه لأن تِمُسكِيسَ الفيلسوف الرواقيّ قد وهن أمام خصمه ذَمِيْسَ الفيلسوف الابيكُرِي. وقد هاجم هذا الآلهة وعنايتهم بالبشر وسهرهم على مسير العالم، وحاول ذاك الدفاع عنهم والذود عن عبادتهم وعن شعائر دينهم وعن اللجوء إليهم بالأضاحي والصلوات. وبعد هزيمة الأول هزيمةً مخزيةً وانتصار الثاني انتصاراً مشرّفاً، يعزّي هرِميسُ أباه زفس بكلمةٍ للشاعر الهزلي مِيْنَنْذْرُس: "لا تشعر بالسوء ما لم تعترف به". ويضيف قوله: "إذا رفض الجمهور ووافق بعضهم على زعم ذَمِيس –المتنكّر لوجودنا وعنايتنا بالكون وشعائر ديننا– فهل يشكل ذلك بلاءً كبيراً؟ إن الأغلبية الساحقة تعتقد العكس. ويؤلّف هذه الأكثرية لا طغامُ الشعوب اليونانية فحسب، بل كل الأمم البربرية أيضاً".

فيجيبه زفس في مرارة العلقم: "صحيح يا هِرْمِس... بيدَ أني كنت أفضّل أكثر بكثير أن أحرز ذَمِيس وحده كنصيرٍ ومُوالٍ، على أن أحرز عشرة آلاف مدينة كمدينة بابل".

لقد انتقد لُكْيَنُوس الفلسفة والدين عند اليونان. ولكنّ نقده كان نقداً هدّاماً، كلّه سلبيّ ما خلا الناحية الأخلاقية منه. وهو على كل حال بعيد كل البعد عن حصافة الفلاسفة الحقيقيين الذي يتهجّم عليهم، ولاسيما سقراط وأفلاطون وأرسطو، وعن رجاحة رأيهم وعن أسلوبهم العلمي النزيه السامي.

---

(٨) زفس المسفه.

١٠- الخاتمة

هذا نموذج من تنكّر الأدباء اليونان في تلك الحقبة للأسطورة اليونانية وسخف معتقداتها وهذر شعرائها الأوّلين، وما طال بها الزمان بعد ذلك حتى أضحت أثراً بعد عين من جهة الإيمان بآلهتها والتمسّك بشعائرها وفرائضها. وما عتّمت أن تضاءلت ودرست وعفت أمام المسيحية الصاعدة، إلى أن غدت مهبطاً لوحي الشعراء والأدباء في عصر النهضة الغربية وفي الأجيال الحديثة ولما كانت تعبيراً رائعاً في شتى مجاليها عن عواطف الإنسانية ونزعاتها وميولها لبثت منتجعاً شجياً ساحراً ما انقطع الغرب عن ارتياده في كل فورة من فورات فكره وكل حقبة من أحقاب أدبه.

هذا ما أحببناإثباته عن مصدر الأسطورة عندهم وعن تطوّر معتقداتهم بشأنها. ولا غرو أن قدامى اليونان، في طور بداوتهم وجاهليتهم، عاشوا في جوّ رائق خلاّب، وفي ربوع فاتنة طليقة بهية؛ تشبه أبهى ما في بلادنا من فتنة وروعة وجمال. ولذا نرى فنّهم من أروع وأبدع الفنون، في كل عصر ومصر، وأدبهم من أرقى وأسمى الآداب.

وقد قال أرسطو: "إن العامل يعمل على شبهه ومثاله". وذاك الشعب في تعشّقه الفن والجمال، أضفى على آلهته من سحر فنّه سحراً شجياً، ومن سموّ أدبه سمواً رائعاً بهيّاً. ومع أنه ألبس آلهته ضعفه البشري، فقد وشّحها أيضاً بأسمى العواطف الإنسانية وأرقى النزعات البشرية، كحبّ النظام والعدالة والميل الفطري إلى العفّة والطهارة، والتعلّق بقداسة الأسرة، وتقدير العمل وإعلاء شأنه وطموح المرء إلى الحياة وإلى الهناء والخلود. "والبشر يقول الفيلسوف كما يسوّون من باب المماثلة بين صورهم وصور الآلهة، يسوّون كذلك بين عيشهم وعيش الآلهة[١]. ويضيف فيلسوف آخر "لو كانت الخيل عاقلة لتمثّلت الآلهة بهيئة الخيل".

٣-١٠: (١) كتاب السياسيات لأرسطو١: ١: ٧.

والعقل البدائي إذ يخبر الطبيعة يميز من عناصرها شطرين، شطر المعلوم الخاضع لحواسه وآلاته وأدواته البدائية، وشطر المجهول وهو الأعظم والأضخم والأوسع. وهذا الشطر لا يطاله ولا يستطيع تكييفه بوسائله الضعيفة الأولية أو بمداركه العلمية والروحية. وعالم المجهول هذا هو عالم الرهبة وعالم التحسب والحذر والرغبة.

ولذا يحاول المرء أن يضفي عليه من إنسانيته ومن ميوله وعواطفه. وإذ يستحيل على ذلك المرء أن يعمل في ذلك العالم بقوته، فيحاول أن يجرده من رهبته، ويحيله إلى عالم أنس واستئناس، وإلى عالم ثقة يعيش فيه بدعة وهناك أو على الأقل براحة وبلا وحشة أو عناء. وهذا ما حاوله شعراء اليونان وأدباؤهم الأوائل.

وبعد أن يجرد الإنسان ولو بالفكر عالمَ المجهول من وحشته ورهبته يتمثل فيه شيئاً من الوعي والمعرفة والنيّة الصالحة. فلا يكفي بتجريده من الرهبة ولكن يندفع إليه بعامل الرغبة، ويأمل أن يكون له مصدرَ خير وإحسان وبركة. فيشخّصُ عناصر الطبيعة ويؤتيها مع الحياة الفهم والإدراك والمعرفة، ويؤلّه الجماد ويسجد له ويعبده. وبدل أن يسمو فوق المادة ليرى بارئها ومنظمّها ومبدعها، يتيه في عالم المادة بعامل الرهبة التي حاول أن يقصيه عنها. وهكذا يستعيد للخلائق بدل أن يعبد الخالق ويدع الهواجس والأوهام تسيطر عليه، ويستحق لوم الوحي(٢).

- "إن جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم، ولم يقدروا أن يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة. ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها.

---

(٢) العهد القديم: سفر الحكمة١٣: ١- ١٠ ثم ١٤: ١٢- ١٤. ثم العهد الجديد رسالة القديس بولس إلى أهل رومة١: ١٨- ٢٦.

- لكنهم حسبوا النار أو الريح أو الهواء اللطيف أو مدار النجوم أو لجة المياه أو نيّري السماء آلهة تسود العالم.
- فإن كانوا إنما اعتقدوا هذه آلهة لأنهم خُلبوا بجمالها، فليتعرفوا كم ربّها أحسن منها إذ الذي خلقها هو مبدأ كل جمال.
- أو لأنهم دهشوا من قوتها وفعلها، فليتفهموا بها كم من منشئها أقوى منها.
- فإنه بعظم جمال المبروءات يُبصَرُ فاطرها على طريق المقايسة.
- غير أن لهؤلاء وجها من العذر لعلهم ضلوا في طلبهم لله ورغبتهم في وجدانه.
- إذ هم يبحثون عنه متردّدين بين مصنوعاته، فيغرهم منظرها لأن المنظورات ذات جمال.
- مع ذلك ليس لهم من مغفرة.
- لأنهم إن كانوا قد بلغوا من العلم أن استطاعوا إدراك كنه الدهر، فكيف لم يكونوا أسرع إدراكاً لرب الدهر... واختراع الأصنام هو من أصل الفسق ووجدانها فساد الحياة.
- وهي لم تكن في البدء وليست تدوم إلى الأبد.
- لأنها إنما دخلت العالم بحب الناس للمجد الفارغ ولذلك عُزِم على إلغائها عن قريب... إذ غضب الله يعتلن من السماء على كل كفر ولم للناس الذين يعوقون الحق بالظلم.
- لأن ما قد يعرف عن الله واضح لهم، إذ أن الله قد أوضحه لهم.
- فإن صفاته غير المنظورة، ولاسيما قدرته الأزلية وألوهته، تبصر منذ خلق العالم، مدركه بمبروءاته. فهم إذن بلا عذر.
- إذ إنهم مع معرفتهم لله لم يمجِّدوه كإله ولم يشكروه. بل سفهوا في أفكارهم. وأظلمت قلوبهم الغبية.

- زعموا أنهم حكماء فصاروا حمقى.
- واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركه البلى، بشبه صورة إنسان يبلى، ودبابات وزحافات.
- فلذلك أسلمهم الله في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لفضيحة أجسادهم في ذواتهم.
- لأنهم استبدلوا حقيقة الله بالباطل، واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق الذي هو مبارك إلى الدهور".

ولقد ظهر لنا بجلاء أن بين مفكري ذلك الشعب، وبين فلاسفته من عرف وحدانيّة الله، ونزّهه عن خلائقه وعن كل مادة. وجعله روحاً محضة، وقدرة شاملة وعناية فائقة، بعيدة عن غير الزمن وصروف الدهور، قريبة إلى الإنسان رؤوفة به، قوة ثابتة غير متحولة، أزلية سرمدية، كاملة الصفات كاملة السعادة. ومن هؤلاء أَنَكْسَغُورَس وأنكْسِمينِس وأفلاطون وارسطو. وقد رأينا أن هذا العبقري الفريد يعتقد أن الله سعيد في ذاته لا في سواه. وأن قدرته تشمل الكون وأن عمله داخلي وأن الذات الإلهية تحق خدمتها قبل أي خدمة وقبل أي مهمة في الدول(٣).

وقد توخيّنا في بسط سير الآلهة، أسلوباً روائياً سهلاً، لأن تلك السير من نسج مخيّلة الأدباء والشعراء. فحاولنا أن نتعقّب خطاهم وحرصنا أن نكون أمينين في عرض ما رَووا وما اعتقدوا حِفاظاً على تراثهم ومن باب الأمانة التاريخية. ونأمل بعملنا هذا أن نخدم وطننا وأمتنا، والله الموفق إلى كل هُدىً وخير.

المؤلّف

الأب فؤاد بربارة

---

(٣) راجع كتاب السياسيات٧: ١: ٥- ٧: ٣: ٦ح١. -٧: ٤: ٦- حريصا طبعة ١٩٥٧.

البَابُ الأوَّلُ

مبادئ الكون

الباب الأول

الفصل الأول : ظهور العالم ومولد الآلهة الأولين

الفصل الثاني : سلالة أرنوس أو أبناء السماء

الفصل الثالث: سلالة أخرونس أو أبناء الزمان–

١– عند التيطان

٢– مولد زفس وحداثته

٣– صراع الآلهة في سبيل الملك

١– تطاحن التيطان والعماليق

٢– حرب العماليق أبناء الأرض

٣– زفس والإعصار تيفن

الفصل الرابع: مهد البشرية

الفصل الأول

ظهور العالم ومولد الآلهة الأولين

١- "كان الخواء قبل كل شيء، ثم بدت غِيئًا الأرض الرحيبة الصدر المترامية الأطراف... وأخيراً ظهر إرُس الحب الذي يُذبل النفس ويسيطر في قلوب الآلهة والبشر طرّا على العقل والإرادة النبيهة.

وولد الخواء إيرِفُس، مربضَ الديجور المدلهم[١] ، وولد دجنة الليل الحالك.

٢- ودجنة الليل الظلماء أنجبت الأثير والنهار من اتحادها بإيرفُس. ثم ولدت دونما زواج مُوْرُس القدر المحتوم، وكيْرَ البلاء المشؤوم وثَانَتُس الموتَ الزعاف[١]. وحملت من جديد وخلفت النعاسَ وموكب الأحلام والهزءَ القبيح والأنين والعويل والخطب الجليل. وولدت أيضاً الهِسبرِيذِه، أي المغربيات اللواتي يسهرن على تفاح الذهب في ما وراء المحيط، وعلى الأشجار الظليلة الوارفة التي تحملها.

وعادت فولدت المصائر الثلاث[٢] اكلُوثُو ولاخِسِسْ وآتْرُبُس، اللائي يَقسّمن لكل إنسان منذ مولده، الهناءَ والشقاء، السراء والضراء.

وولدت أيضاً إيكِيْرِس إلهاتِ الموت والبلى، تلك الإلهاتِ القاسيات اللائي يلاحقن أخطاء الآلهة والبشر بلا هوادة، ولا يكففن عنهم حتى ينالوا عقابهم الشديد.

١- (١) الايرفس عندهم مكان تحت الأرض يكتنفه الديجور ويقع فوق الجحيم.

٢- (١) البدل العربي يؤدي معنى الأوضاع الأعجمية عادة.

(٢) وهي التي تسمى ايميره Les parques لأنها لا تعفو عن أحد.

وولدت أخيراً غي نيْمِسِس قسمةَ الحقِ والإنصاف، ووباءَ البشر القتال[٣]. وبعدها الغَبَن والرفثَ والهرمَ والنزاع الصاخب.

والنزاع البغيض ولد بدوره العناءَ الأليم، والنسيان والجوع، والآلام مسيلة الدموع، والحروب والمعارك والمذابح والملاحم، والخصومات والنفاق والمشاجرات والبلابل ولزيماتها الكوارث، والقَسَم أكبر أرزاء البشر إن حنث أحدهم بيمينه.

٣- أما الأرض فقد وضعت ابنا لا ينقصها عظمة وجلالا، وهو أرَنُوْس جَلَدُ السماء الزاهرة، ليكتنفها كلها، ويلبث للآلهة المغبوطين مقراً وطيداً راسخاً.

ثم ولدت الجبال الشامخة، مراتع الإلهات عرائس[١] الوديان والينابيع والغدران. وأنجبت دون ارتياد الحب، بُنْطُس أيضاً، البحر العقيم يزخر بأمواجه العاتية.

٤- والبحر بُنْطُس، من افترائه بأمّه الأرض غيئا، ولد نرِفْسَ الصديقَ بكرَ أولاده. ولُقِب هذا بالشيخ لأنه صادق رفيق، لا ينسى الإنصاف والرحمة ويتمسك بسنة العدل وهو دائم الحركة دائم التقلّب، كانسياب الأمواج.

وعاد البحر فأنجب ثَقْمَاس العجبَ العجاب وفُرْكِيْسَ الشجاع وكِيتُو الوسيمة وإفرِيفِيّا الشهمة الباسلة.

٥- وخطب نرِفْسُ ودَّ ذُرِيْس ابنة المحيط أكيَنُوس، فأنجبت له خمسين فتاة دُعِين نرِئيذةٍ وهنّ إلهات البحار: أشهرهن أمْفِتْريتي وثِيتِ وغَلِيْنِي واغْلافكِي.

---

(٣) دعا هسيذس قسمة الحق والإنصاف وباء البشر لأن من قصر عنهما إثم ومن تجاوزهما إثم وجلب النقمة على نفسه، ولزومهما في كل حال هو غاية الكمال.

٣- (١) عربنا بكلمة عرائس كلمة (نمفه) المشتركة التي تطلق عندهم على إلهات الوديان والغدران.

واقترن العَجَبُ ثَقْماسُ بإلِكْتْرا إحدى بنات المحيط السحيق الغور، فولدت له إرِيْس الزاهية بألوان فاتنة، ألوان قوس قزح: كما ولدت له إيْهِارْبِيِه الإلهات الخاطفات، ذوات الشعر الجميل السابحات في الفضاء، يجارين النسيم ويتعقبن النسور.

٦- ووضعت كِتُو لِفُرْكيس العجائز ذوات الوجه الصبوح، اللواتي وُلدن والشيب يكلّل شعر رؤوسهن، وأنجبت له أيضاً الغُرْغُونِس اسثِينو وإفْرِيالي ومِذَوسَا، الساكنات وراء المحيط في بلاد الهِسْبرِيْذةٍ[1].

٦- (١) ر هسيذس: مولد الإلهة ١١٦- ٢٨٥. وقد أتينا على ذكر أولئك جميعاً من آلهة وإلهات لكي نعرف أصلهم عندما يعود ذكرهم في سياق الحديث عن الأسطورة الإلهية عندهم.

الفصل الثاني

سلالة أرَنُوس أو أبناء السماء

١- اقترنت الأرض غِيْئا بابنها أرَنُوس، فأعقبا نسل التيطان، وهم اثنا عشر، من الذكور ستة هم أكِيَنُوس(١) وكيُس واكْريُّس وهِبِرِيُّن(٢) ويَبِتُوس واخْرُونُس(٣)، ومن الإناث ستٌ هنّ ثِيَّا الإلهية ورِيئا وامْنِمُسِيني الذاكرة وفِفي المتألقة وتِئيس وثِيْمِس إلهة الحق والعدل.

٢- وأنجبا بعد التيطان أمة العمالة الكِيْكْلُبس: افْرُنْتِيْس الهدّار كالرعد واسْترُبيس الساطع كالبرق، وأرْغِيْس(١) المنقضّ كالصاعقة. وهؤلاء يُشبهون الآلهة الآخرين في كل شيء ما خلا عينِهم المفردة في وسط جبينهم.

٣- وأخيراً وُلد للأرض وابنها أرَنُوس أولاد هائلون، لا يعرف الكون لهم من مثيل: كُوتُّس المحتال وافرِيَارِئس الجبّار وغِيْئِس الفلاح. وقد أطلق عليهم اسم هِكَتُونْخِري العمالقة أصحاب "المئة يدٍ" إذ قد انطلقت من أكتافهم العريضة مئة ساعدٍ أو ذراع شديدة، واشرأبت فوق أعناق كل منهم خمسون

١- (١) هو النهر المحيط.

(٢) هو أبو الشمس أو الشمس بالذات.

(٣) هو الوقت أو الزمن. وهؤلاء الثلاثة هم البارزون في الأسطورة. بينما الإناث الست لهن مركزهن المرموق كما سنرى.

٢- (١) أولئك العمالقة الثلاثة كما تشير إليه أسماؤهم اليونانية يمثلون من قوى الطبيعة الرعد والبرق والصاعقة.

رأساً مخيفة، ومظهرهم الضخم كان ينمّ عن قدرة لا تقهر. وكانوا أقوى وأشرس أبناء أرَنُوس.

ولذا أبغضهم أبوهم منذ مولدهم، وحشرهم في أحشاء الأرض أمّهم قبل أن يصعدوا إلى النور. وارتاح لصنيعه هذا. وأما غِيئا قرينته فقد اشمأزّت من فعلته النكراء، وتململت من الضيق المحيق بها، وغضبت ثم ثار ثائرها، فأضمرت الشر لبعلها أرَنُوس، ومَضَت تحيك له مؤامرة شنيعة، تنتقم بها منه وتأمن شره إلى مدى الأحقاب.

٥- فاستمدّت من جوفها الحديد الصلب، وصنعت لنفسها منجلا كبرى، وعرضت قصدها على بنيها. ولكي تنهض عزائمهم خاطبتهم بعنف وقلبها جائش بالغضب: "هيا بني الأحباء، يا من ولدتهم لأب معتوه، إن شئتم أن تذعُنوا لقولي، فلسوف نثأر لذواتنا مما ألحق بنا من مذلة. وهو مع أنه أبوكم فقد بادأكم بعمل لا يليق".

٦- قالت. فذعروا جميعهم، ولم ينبس أحد ببنت شفة. غير أن أخْرُوْنُس ذا الجلال وصاحب الدهاء والاحتيال تشجع وأجاب امَّه غِيئا الكريمة: "يا أماه أنا أتولى هذا الأمر الخطير، وآخذ إنجازه على عاتقي، غير آبهٍ لوالد بغيضٍ، لأنه على كونه أبانا، فقد بادأنا بعمل لا يليق".

٧- قال. وغمر الفرحُ قلب الأرض الضخمة الفسيحة الصدر، فخبأت ابنها في مكمن، ودفعت المنجل المسنّنة إلى يديه، وأطلعته على تفاصيل الدسيسة. وعندئذ أقبل أرَنُوس يجرّ أذيال الليل. فعانق الأرض بشغفٍ، وتمدد فوقها من كل جانب. فنهض اخرونس من كمينه ومدّ يده الطويلة، وتناول المنجل المحددة الأسنان بيُمْناه، وبَتَر أباه أرَنُوس ورمى بعضوه إلى الوراء فسال الدم نجيعاً، وتلطّخت الأرض بقطراته، فدار الزمان دورتَه، وحملت الأرض وولدت من تلك الدماء القانئة الإلهات الثائرات، إلهات السخط

والانتقام[1]. والعمالقة الأشداء حملةَ الرماح الفتّاكة[2] ، وعرائس الوديان والجِنان فوق البطاح الشاسعة.

٨- ولما بتر أخرونس أباه، ورمى بعضوه إلى البحر، طفا على سطح المياه، وراح الموج يتقاذفه، وأرغى حوله وأزبد، فانبرت من ذلك الزبد الأبيض، إلهة فتيّة فاتنة، تتألق بهاءً ورونقاً هي الإلهة أفْرُذيتي[1]. وارفقها الحبُّ والوجد منذ مولدها، فانطلقت إلى جزيرة كِثيرا يُداعبها زَبَدُ الأمواج، ومنها إلى جزيرة قبرص. وانضمّت إلى رهط الآلهة، ينعمون بصحبتها المؤنسة، وتعطف عندهم على هَذَر الكواعب، وترتاح لبسمة الشباب، ونشوة الحب وأنّات الحنين وآهات الفراق والوصال.

٧- (١) المعروفات عندهم بلقب إرنيس، ويشرن إلى وهز الضمير الطالب الكفارة أو الانتقام.

(٢) وهم غير السابقين أبناء الأرض والسماء.

٨- (١) واسمها يعني المحفوفة بالزبد، وهي الزهرة إلهة الجمال والنقاء سابقاً.

الفصل الثالث

سلالة اخْرُونُس أو أبناء الزمان

١- عهد التِيطان

١- ولمّا جُدِع ارنوس وناله العجز من ذلك، تسلّط مكانه ابنه اخْرُونُس، وأطلق التِيطان أخوتَه إلى النور. ولم يحرّر أخوته الآخرين، العمالقة ذوي العين الواحدة، ولا أصحاب الخمسينَ رأساً والمئة يدٍ، الكِيكْلُبِس والهِكَتُونْخِرِي.

٢- واقترن التِيطان بأخوتهم، فأنجبوا منهن بنين وبنات. واتّخذ أكِئَنُوْس امرأةً أختَه تِثْيس. فولدت له ثلاثة آلاف ابنٍ هم الأنهار الزاهية الضفاف الظليلة الأرياف، وثلاثة آلاف بنتٍ هنّ عرائس الغدران والينابيع(١). ولم يكتف المحيط النهر الكامل بكل أولئك المواليد، بل أنجب أيضاً مِيْنِس المزدانة بالفهم والحكمة والدهاء، وتِيْخِي الحظ المعروف بالعماء واسْتِيكْسَ نهرَ الجحيم وديار العفاء، الذي يحلف به الآلهة ويُقسمون أيمانهم المغلّظة. واقترنت اسْتِيكْس نهر الجحيم، ببَلاس بن عمّها اكْرِبُّس.

٣- ووُلِد لهِبِرِين من أخته الإلهية افْرفِيا هِبْلِبُس الإله الشمس، وسلِينِي القمر، وإئُس السحر. وخلّف كبُس وفِيفي لِتُو وأسْتِيْرِيا. وأنجب

٢- (١) فعرائس الوديان والجنان هن بنات الأرض وأرنوس المجدوع، وعرائس الغدران والينابيع هن بنات المحيط وأخته تثيس. ومن جملتهن آسيا الرزينة وافروبا البهية وكلبسو الفاتنة.

اكْرِيُس من أخته افْرِفِيّا أسْتْرِيْئُس وبَلاسْ وبْرِسِيْس. ووُلد لِيَبّتُوس من اكْلِميني ابنةِ المحيط – ومنهم من يقول – من أسِيّا أطلاسُ ومِنِيْنِيسً وإبمِثِيفس وابْرُمِثِيْفْس.

٤– أما اخرُونُس فقد اتخذ خليلةً له أخته رِيْئَا فأنجبت له ثلاث بناتٍ هن هِسْتِيا وذِمِيْتِر وهِيْرا، وثلاثة أبناء أعزّاء هم اذِس وبُسِذُون وزِفْس.

وتنازل له أخوانه التيطان عن السيادة، على أن لا يعقب نسلاً. وقد تدخّلت أمّهم غِيئَا في النزاع، وفضّته على ذلك الوجه. وكان اخْرُونُس قد سمع أيضاً أن أحد أبنائه، إن أقام هو ذريّة لنفسه، سيستولي على العالم ويخلعه عن العرش، فعكس فعل أبيه أرَنُوس، وأخذ يبتلع كل أولاده، ويُواريهم في أحشائه.

٢- مولد زِفْس وحداثته

١– فشقَّ الأمر جداً على قرينته رِيْئَا. وتمنّت لو بقيت عقيمةً، ولا أن تفقُد أبناءها بعد مولدهم، على تلك الصورة المفجعة. وصعب عليها خصوصاً أن تُحرَم من ثمار أحشائها، وأن يكون والدهم هو الذي يجني عليهم بضراوة ما بعدها ضراوة. وقد ازدرد هكذا هِسْتِيا وذِميتِرْ وهِيْرا وآذِسْ وبُسِذُون.

٢– فعمدت إلى أبيها أرنوس ووالدتها الرؤوم غِيْئا وهي حامل بابنها زفس، والتمست منهما العون لتحمي جنينها عند ولادته. فنصحا لها أن تقصد جزيرة كريت وتلد ابنها في مغارة عميقة، تحت جبل اغيئس وفي ظلال غاباته الكثيفة. فصارت إلى هناك ووضعت ابنها المحبوب زِفس، فتقبّلته جدّته غِيئا وعهِدت بتربيته إلى اثنتين من عرائس الوديان: أذْرَسْتي وإيْذا.

٣– أما رِيئا فقد أخذت صخرةً ضخمة، ولفّتها بلفائف وقمط، ولكي تخفي على بعلها أمر فلذة كبدها، قدمتها له باكيةً، على أنها المولود الجديد،

كي يزدرده على عادته. فتناول اخرونس الصخرة الصلدة، وابتلعها في شره ونهم، ولم يخامره ريب في ما دُبر له.

٤- ومضت أذْرَستي وإيذا بزفس الإله الرضيع، إلى جبلٍ من جبال كَرِيت، وأوعزتا إلى كهنة غِيئا[١] بالرقص أمام الإله الصغير، وإثارة الجلبة والضوضاء حوله، كي يحجبوا صوت بكائه عن أبيه. وكانت العنزة أمَلْثيئا[٢] تقدم للطفل حليبها ويأتيه نسر بالعنبر عطر الآلهة وأكُلِهم، وسربٌ من الحمام بالنكْتار، مشروبِ الآلهة في مآدبهم.

٥- فنشأ زِفس وترعرع، ونجا من شراسة أبيه ومن غير الزمان وصروفه. ولما كبر وتشدّد، أراد أن يعيد إخوته إلى النور ويأخذ الملك من أبيه، ويجزيه جزاء أعماله، ويعاقبه بشنيع فعاله. فاستوحى ابنة عمّه المحيط مِينِس ذات الفهم والدهاء، فقدّمت لاخرونس مقيِّئاً، فقاء الصخرة التي ازدردها، ولفظ الآلهة أبناءه وأعادهم إلى الضياء والنور. فشدوا إزر أخيهم زفس، فدحر بقوته الهائلة أباه الزمان الطاغية، وطرده من أعالي السماء، وأغلق عليه في أساسات الكون، في المتاهات المنبسطة عند أطراف أقاصي الأرض وقعر البحر القاحلة. ولما استتب له الأمر، عاد ونفى أباه الزمان إلى أبعد بقاع الكون، حيث ينعم بغبطة السعداء يغمره هنالك سبات هنيء. وهكذا تمّت بحقه نبوءة القدر المشؤوم.

٦- وعندئذ أعتق أعمامه السماويين، العمالقة الأقوياء والجبابرة الأشداء، فأهدوه اعترافاً بفضله هدية سنيّة فائقة، الصاعقة المحرقة والرعود المزمزمة والبروق اللامعة. فسيطر بها على الكون.

٤- (١) كانوا يعرفون عندهم باسم كريتس وكرينتس وذاكتلي.

(٢) وقد كافأها زفس عندما استولى على الكون. وجعلها برجاً من أبراج السماء مع جدييها الصغيرين. وأعطى أحد قرنيها لحاضنتيه اذرستي وإيذا، فغدا لهما قرن إخصاب يفيض لهما كل خير تشتهيه نفساهما.

٣- صراع الآلهة في سبيل الملك

١- تطاحن التيطان والعماليق

١- عزّ على التيطان أن يروا أبناء أخيهم اخْرُونُس يملكون مكان أبيهم ويستأثرون بالعرش لنفوسهم. مع أن المعاهدة بينهم وبين أخيهم اخْرُونُس قضت بأن لا يُعقب نسلاً، وبأن لا يرث الملك من بعده وارث. وها هو ذا قد أنجب ذرية، وقد زُحزح عن عرشه واستولى أبناؤه على الكون. فثار ثائرهم وتنادوا للعراك، ما خلا أٍكَينُوس.

٢-وتحصّنوا على جبل اثْريْس، ومنه شنّوا على أولِمبُس مقرِّ الآلهة الجدد، حملات وغارات شعواء. فلم ينالوا مأرباً ولا بُلِّغوا الهدف،وبقي المرمى عزيزاً. مع أن حربهم الضروس دامت زُهاء عشرِ سنوات، ولم تُسفِر عن نتيجة حاسمة.

٣- عندئذ تدخّلت الجدة الكبرى، وانحازت الأرض إلى أحفادها. وأشارت على أبناء ريئا كريمتها المحبوبة المفضلة، بأن يطلقوا سراح العمالقة: الرعد والبرق والصاعقة، وأخوتهم الثلاثة الآخرين الذين أخافوا أباهم ارنوس فحشرهم في دياجير تارترس، مكبلين بسلاسل الأسر، يئنون ويهدرون. وبيّنت غيئا لأحفادهم أن أولئك الصناديد إذا صاروا إلى النور، وناوأوا إخوانهم التيطان، غدا النصر مؤكداً وفاز الآلهة الألمبيون بأعدائهم الأشداء.

٤- فانحدر زِفس إلى تارترُس، إلى قرارات الجحيم، وساوم أعمامه العماليق ذوي العين الواحدة، الجبابرة الأقوياء، وأعمامه الآخرين الأشداء أصحاب الرؤوس الخمسين القائمين على مئة قدم والمتسلحين بمئة يد، ذوي البأس والجبروت. فوجه إليهم هذا الكلام: "اسمعوا لقولي يا أعمام، أيها الآلهة النبلاء، أبناء الأرض والسماء، اسمعوا ما جاش بصدري: منذ عهد بعيد طويل، نحن في صراع رهيب مع التيطان أبناء أرَنوس. وقد هبّوا بجموعهم

علينا ينازعوننا السؤدد والسلطان. ففي هذا الاشتباك العنيف، أبدوا الآن بأسَكم الفريد، وبطش سواعدكم القاهرة. اذكروا عهد المودة التي حبيناكم بها، وكيف أطلقناكم إلى النور بعد ضنك أسر مرير، وبعد عذاب شديد عسير".

٥- قال، فهرعوا جميعاً إلى الوغى بنفوس عاتية وهمم عالية. والتحم الفريقان في صدام هائل، أبناء اخرنوس وأبناء أرنوس. وتطايرت الصخور في الجو تصدع الرؤوس والصدور، وعج البحر عجيجاً وضجت السماء ضجيجاً، واشتد النزال واحتدم القتال. وعلا الصراخ إلى أوج السماء. وزلزلت الأرض إلى رؤوس الجبال وانبرى زفس من أعالي أولمبس، يرسل بروقه بلا انقطاع، ويدوي برعده يصم الأسماع، ويرشق بالصواعق قلوب الأعداء. فاندلعت النيران في الغابات وامتد لهيبها إلى الهضاب وانساب منها على الوديان. فقهر التيطان وهزموا، وأغلق عليهم في أعماق الأرض، في دياجير التارترس الرهيب وقام العمالقة الأقوياء في قصورهم المتاخمة لتلك الأرجاء، على حراسة المهزومين من أبناء أرنوس الأشقياء. وفاز زفس بنصر مبين.

٢- حرب العماليق أبناء الأرض

١- بعد انتصار أبناء اخرونس على أعمامهم التيطان، صفا الجو لعميدهم أبي الآلهة والبشر زفس، فترة من الزمن طويلة انقادت له فيها مقاليد الأمور. فساس شؤون الكون بدراية، وثمل برحيق الحياة في ديار الغبطة والهناء، وولد له بنون وبنات، بعضهم من إلهات، نظير اثنا وابولن، وهكاتي وهفستوس وآرس، وبعضهم من نساء فانيات، نظير ذيونسس وهركليس[١].

١- (١) ستأتي في الباب الثاني والثالث على ذكر هؤلاء جميعاً وعلى تفصيل سير حياتهم وأعمالهم عند كلامنا عن آلهة السماء والأرض.

٢- ونشأ من دماء أرنوس القانئة، بعد أن جدعه ولده أخرونس، سلالة جبابرة أشداء، وعمالقة عنيفين أقوياء، ذوي سحن مخيفة شنعاء، وجذوع أشبه بجذوع التنانين والثعابين الرقطاء. وأولئك العماليق حملة الرماح والتروس والمذاريق والفؤوس، برزوا من الأرض بذلك الشكل المهيب والمنظر المخيف الرهيب، وأمعنوا في خيلائهم وفي شرهم وخبثهم ودهائهم. وقد تقدم فيهم برفرين والكينفس.

٣- وقف هؤلاء جميعاً من الصراع الأول ومن تطاحن التيطان موقف الحياد، وقد صور لهم وهمهم وزينت لهم كبرياؤهم أنهم قد يفوزون بأكاليل تلك المعارك الحامية، ويتذوقون ثمارها الدانية، إذا تضعضع الفريقان وبطش الواحد بالآخر. ولكنهم لما رأوا سيطرة زفس الكاملة، وأنه قد توازع السيادة على الكون هو وإخوته وبنوه، قرّوا مدة طويلة كي يعملوا في المناوأة فكرهم ويستجلوا فيها حذقهم ومكرهم. ولما أنعموا النظر دفعهم البطر والأشر إلى مقارعة أبي الآلهة والبشر.

٤- فشمروا عن سواعدهم المفتولة وهاجموا أعالي الأولمبس مقر الآلهة أبناء أخرونس. وكي ينالوا منه مرمى، كدسوا الجبال فوق الجبال، اطواد أوسا على بليون. وزعزعوا قمم الرواسخ ورؤوس الراسيات الشوامخ. وراحوا يقذفون قصور الآلهة الثابتة، بهضاب بنغي وتلال إيتا. فانبرى لهم الخالدون الأبطال، وتنادوا جميعهم للطعن والقتال، أخوان زفس وما أنجب من أنجال، ماعدا شقيقته ذميتر، إلهة الزرع وربة الغلال، وقد أبت خوض غمار الحرب والنضال.

٥- فتصدى أبلن لافيالتس، ووقع بيلرس وميماس تحت ضربات آرس الشديد البأس. وأوقعت هكاتي وهفستوس بالعملاق الجريء أكليتس. وتعقب الإله بسذون الجبار القوي بلفتيس، ورماه بجزيرة نسروس وأغرقه في قاع بحر بنطس.

٦- وبعد هذا البراز العنيف، لصدّ الجبابرة الغضاريف، لم يحظ الآلهة الخالدون بظفرٍ إليه يخلدون وبهناوته يسعدون. وذلك أن القدر قد أنبأ بأن أولئك العمالقة الأشداء لا يقهرهم قاهر سوى البشر. فاستنجد زِفْسَ بابنه هِرَكْلِيس، كما استنفر ابنه ذِيُونسُس.

٧- فنازل هذا الأخير العملاق الجبّار رِيْتُس، وانبرى هِرَكْلِيسُ للوحش أَلْكِيْنِفْس. لكن البطل القدير الجبار، كلّما صوّب للوحش ضربة تلقاها خصمه بدون اكتراث. وعندئذ أعلمته أثِنا أن الوحش لا يُعمل فيه الطعن والقذف ما لبث في أرض موطنه. فأجهز عليه هِرِكَلِيس، وأخذه بين ذراعيه وحمله خارج حدود أرضه وقضى عليه بالخنق.

٨- وهبّ بُرْفِرِيُّن لثأر أخيه، فأغراه زِفس بهوى هِيرا. ولمّا انقضّ على الإلهة رماه هِرَكْلِيس بسهم قتّال. وحاول عبثاً بَلاَس وإِنْكِلاَذِس أن ينالا من منعة أثِنا. لكن الإلهة القادرة صرعت هذا وذاك بنار السماء. واتخذت الإلهة من جِلد بلاس درعاً حريزة واقية، ودحرت الجبار إِنْكِلاَذِس وكبّلته تحت جزيرة صِقِلِيّة. ولذا إلى يومنا هذا، تميد تلك الجزيرة كالسكرى كلما تلوّى تحتها الجبّار. وعقب تلك الواقعة لُقّبت أثِنا باسم خصمها بَلاَس.

٣- زِفْسُ والإعصارُ تِيْفُن

١- ظفر الآلهة ظفراً أكيداً وأحرزوا انتصاراً سعيداً مجيداً. وظنّوا أنهم سينعمون على الدوام بطيب الهناء وغبطة الصفاء، لا يعكّر عيشهم كدر ولا يوجل قلوبهم حذر، إذ قد أمنوا شرّ من غدر، وارتاحوا من غائلات القدر.

٢- غير أن جدّتهم غِيئا، وما برحت تحنو عليهم وتحميهم في النائبات الجسام، تولاها الأسى هذه المرة لا لاندحار أبنائها البررة، بل لما نالهم من شديد العقاب. ولما عصف بها اليأس أثارت على معشر الآلهة الإعصار الرهيب تِيْفُن.

٣- وقد وُلد تِيْفُن لعتيقة الأيام من اقترانها بالهاوية تَارْتَرُس. وبدا ذلك الهولُ المعروف بالحول والطول وحشاً ضارياً رهيباً، وكائناً عجيباً غريباً، ذا جثةٍ مذهلة هائلة وقامةٍ شامخة طائلة. يفوق مداها قمّة الجبال. ويرى الناظر فوق كاهليهِ مئة رأس تنينٍ هجين، تتدلع من أشداقها السنة سوداء، دونها أسنّة الرماح، وقد غشّى الريش بدنه وتشابكت الثعابين حول فخذيه وتطاير الشرر من عينيه.

٤- فلما انقض ذلك الهول على مقرّ الآلهة، هالهم رأسه الكبير المكسو بوبر مجعّد، وخلع قلوبهم منظره المخيف، فلاذوا جميعهم بالفرار وقطعوا البراري والبحار حتى بلغوا بلاد مصر.

٥- ولكن زِفس أبا الآلهة خشي العار والشنار وأبى مذلة الفرار، ولبث في حصن الأولِمْبُس. فهاجمه الإعصار العنيف وبهره بالشرر المتطاير من عينيه، فلم يستطع زِفس أن يتناول الصواعق ليرشق بها خصمه الصنديد، فانسابت من جسم الوحش التنانين والثعابين، وطوّقت ربّ الآلهة الرعاديد، فأسره الإعصار العنيد وكبّله بالسلاسل والقيود، وقطع أعصاب ساعديه ورجليه، وسباه إلى غوره السحيق في متاهات كيليكيا.

٦- غير أن ابن زِفس هِرْمِبْس، رسول الآلهة وعدّاءهم السريع، خطف من قصر أبيه الصواعق والبروق الساطعة، وجاء بها أباه زِفس. وفي سكرة من سكرات تِيْفُن وغفوةٍ من غفواته العميقة، شدّ أعصاب أبيه وناوله صواعقه الساحقة. فصوّب أعنفها إلى الإعصار وقضى على ذلك الوحش الجبار وعلى ذلك المقاتل المغوار. وأحرز إلى مدى الأدهار إكليل الغلبة والانتصار. وغدا الوحيد الغالب القهّار، لا يقاوم سلطانه مناوئ ولا يجلب أحد عليه المساوئ.

الفصل الرابع

مهد البشرية

١ §- أصل البشر

١- ولدت أكلميني ابنة المحيط، للتيطان يبتوس أربعة أولاد. ولما اشتركوا مع أبيهم في شق عصا الطاعة على الألمبيّين، عاقبهم زِفس في عصيانهم فرمى بمنيتيس في هاوية الإيرفس. وقضى على أطلاس أن يدعم بكتفيه قبة السماء، عند جنان المغرب في أقاصي الأرض.

أما أبرمثفس المتبصر في الأمور، وابمثفس الغير المتيقظ لها، فلم يخوضا المعركة بصورة سافرة. لا بل مال الأول إلى زفس أبي الآلهة، لما رأى كفته راجحة. وقبل هكذا في مقر الخالدين وديار السعداء المغبوطين.

٢- ولكن الضغينة كانت توغر صدره على الألمبيين، لأنهم قضوا على أبناء جنسه. ولذا انحاز إلى البشر ومالأهم وأحسن إليهم. ولعل ميله هذا أعمق. مما يظن، إذ ادعت بعض التقاليد القديمة أنه هو خالق البشر ومكون جسم الجدين الأولين. فقد اتخذ من الأرض تراباً وجبل منه بدموعه طيناً وأعطاه شكل إنسان، ونفخ فيه روحاً، فدبت في خلاياه الحياة وجرت في أوصاله ومفاصله. وغدا بشراً سوياً. وعاد أبرمثفس المدرك القدير وصنع له امرأة بإزائه[١].

---

(١) راجع التوراة، سفر التكوين٢: ٧.

ويقال إن أثِنا لما رأت الإنسان ورأت جمال تكوينه، عرضت على أبرمثفس جولة في أرجاء السماء، ليختار ما يحلو له هدية للبشر. فصعدا معاً في جنبات الفضاء وبعد تردد طويل وقع اختياره على النار الإلهية. فاستمد جذوة من الشمس وحملها إلى البشر كهدية بهجة سنية.

٢ §- عصور البشرية الأربعة

١ – العصر الذهبي

١ – بيدَ أن التقليد الأصح، فضلاً عن أنه الغالب الأعم، يرد البشر والآلهة إلى أصل واحد، إلى الأرض الجدة الكبرى ووالدة الجميع. ولذا نرى البشر المعاصرين للآلهة الأوائل. فهم الذين يعطفون على زِفس، ويحوطون في كريت مولده الخفي، ويسهرون عليه في نعومة أظفاره. وتغنّى بِنْذَرُس الملهم بذاك الاعتقاد حيث أنشد:

"نحن والآلهة من أرومة واحدة، وإنّا مدينون بنسمة الحياة الجائلة منا في الصدور لأم وحيدة هي الأرض".

٢ – فقد كانوا معاصرين لأُخْرُونُس، يتمتعون في عهده، وهو عهدهم الذهبي، بكل صنف من الخير وبكل أنواع الهناء. وقد وصف لنا هِسيُذُس تلك السنين السالفة والعصور الغابرة فقال: "كوّن الخالدون السلالة البشرية الأولى وأضفوا عليها طبيعة النضار(١)". ولا يعني أن أعضاء تلك السلالة وخلايا جسمها ركبت من ذهب. بل إن مزاياها وأخلاقها تسامت وصفت وازدهت صفاء الذهب الإبريز النقي إذا قيس بغيره من المعادن.

٢– (١) ر هسيذس، الأعمال والأيام.

٣- عاش أولئك الناس في زمن أُخْرُونُس بن ارنوس، طيلة عهد تسلطه على الكون فكانوا يحيون حياة الآلهة، لا ينخر قلبهم همّ ولا غمّ، ولا ينالهم عناء أو شقاء. لا تهددهم الشيخوخة ولا يخشون كرّ السنين. يسرحون ويمرحون على أرض طيبة. نشيطين مسرورين لأنها تؤتيهم من خيراتها كل ما طاب ولذّ، وما اشتهت نفوسهم. لا ينتهون من وليمة حتى يصلونها بأفخر منها. لا يمسهم أذى ولا ينتابهم داء أو سوء. وبعد عمر مديد هنيء، ينتقلون إلى حياة أفضل، وما موتهم غير سبات عميق.

٤- وبزوال عهد اخرونس زالت معه تلك السلالة الكريمة الفاضلة السعيدة. واستحالت بعد انقراضها، وبعد أن غطتها الأرض بالزهور، إلى أرواح طيبة هي أرواح الجن الطيبين، يقيمون في الأرض يرعون الصالحين ويغدقون الغنى على الناس ما داموا لربهم طائعين. ذاك هو امتيازهم خصهم به الخالدون.

٢- العصر الفضيّ

١- بعد انقراض السلالة الذهبية، عاد الآلهة وكوّنوا سلالة أخرى وأضفوا عليها طبيعة الفضة. فبانت عن الأخرى كلّ البون، وانحطت عنها منازل ومنازل، في بهاء الصورة وجمال الروح. أمة عاجزة بلهاء، لا تبلغ المراهقة والكهولة حتى تقضي ضحية الغباوة والكفر.

٢- فالغلام فيها يظل رضيعاً فترة من السنين لا تقل عن المئة. وطيلة هذه المدة كلها كان يلزم الأحضان لا يريم، بسيطاً ساذجاً كالطفل الفطيم. وعندما يبلغ البنون أشدهم ويغدون شباناً يافعين، يستسلمون للأشر والبطر وينساقون للخصومات وللنزوات والكبرياء. لا يؤدون فروض العبادة ولا يضحون ضحية لإله ولا يكرمون أرباب السماء كما يجب على الأتقياء.

٣- فحنق زفس ابن اخرونس على أولئك المردة الحمقى إذ أهملوا شعائر الدين والتقى فحمقهم من الأرض محقاً. وبعد أن درسوا وواراهم الثرى، غدوا هم أيضاً من جماعة الجن، يحوطهم البشر بشيء من الإكبار، لأنهم ينعمون في جحيم الأخيار.

٣- العصر النحاسيّ

١- عقب زوال السلالة الفضية، كوّن زِفْس أبو الآلهة، سلالة بشرية ثالثة، وأضفى عليها طبيعة الشبه فعُرِفت بسلالة النحاس.

٢- وقد أنشأها من شجر الدردار، فبرزت أمة عنيفة عاتية، رجالها كبار أشداء، تخلقوا بالخشونة والجفاء. ولم يميلوا إلى السلام بل إلى الحرب اللهام وإلى صنوف الحرام. وابتنوا بيوتاً من نحاس، وسننوا سلاحاً من نحاس، وقست قلوبهم كالنحاس. فانقضوا بعضهم على بعض فلفهم البلى والفناء، وانحدروا إلى دار الشقاء إلى الجحيم مقر العفاء، حيث يُحجب النور والضياء.

٤- العصر الحديدي

١- هذا العصر هو العصر الأخير من عصور البشرية الفانية. فبعد اندثار السلالات الأولى، عَهدَ زِفْسُ إلى ابُرمِثِفس، أن يجبل إنساناً آخر، يُعقِب نسلاً على الأرض. فكوّنه ابْرُمِثِفْس وأضفى عليه طبيعة الحديد. وآتته أثِنا نفساً حية. وعمل له الآلهة امرأة بإزائه. فتكاثر البشر وانتشروا في أرجاء المعمور. وكثر أيضاً شرّهم وفسادهم، واختلط لهم الهناء بالعناء، ومازج صفاءَهم الشقاء.

٢- لأن قلوب الناس في هذه السلالة أيضاً قد خامرها الخبث والفساد فلم ينهج الابن نهج والده، وما عزّ الضيف على مضيفه، ولا كرم الخليل لدى صاحبه، وما أخلص الودّ أخ لأخيه.

٣- وحقّروا والديهم، وأساؤوا إلى ذويهم، ولم يحترموا شيوخهم، ولا صانوا لهم حرمة أو كرامة، ولا بادلوهم الخير بالخير، بل استخفّوا وأهانوا شيبتهم، ولم يخشوا في هذا كله سخط الآلهة ونِقمتهم.

٤- ولم يقدّسوا الحقيقة والحق، وحنثوا بأيمانهم وأقسامهم، ولم يرعوا جانب العدل ولا مالوا إلى البر والإحسان. بل انقادوا للزيف والبطلان وجنحوا إلى الخزي والهوان، وإلى السعاية والوشاية، وإلى الضلال والكذب والبهتان. فتجلبب الإنصاف والوجدان بجلبابٍ أبيض ناصع النقاء، وانطلقا يشقّان عنان السماء، هاجِرَين أرضنا إلى مقرّ السعداء. فلم يبق للبشر سوى البلاء وكلّ صنفٍ من صنوف الأسواء.

٣ §- بندورا جالبة النقم

١- ساد التفاهم والوئام بين الآلهة والبشر في عهد اخْرُونُس كله. إذ ذاك كما يعلمنا هسّيذس، تتاهد الآلهة والأنام وأولموا الولائم الضخام، وعقدوا المجالس الحافلة وتبادر الطرفان بالإكرام.

٢- ولكن لمّا تسلّط زِفْس أراد السيطرة على الإنسان. وعقد الأرباب الخالدون وبنو البشر المائتون مؤتمراً خطيراً في مِكوني – وقد غدت الآن سِكيوُني، ليحدّدوا ما يعود للخالدين من أضاحي المائتين.

٣- وعهدوا بالقسمة إلى ابْرُمِثفس، فقسّم الضحية قسمين، وجعل اللحم الفاخر والأحشاء والدهن من جهة والأكارع والعظام والشحم من جهة وإجلالاً لمقام زِفس دعاه أولاً للاختيار. وكان يعرف حيلة ابْرمثفس، فأخذ الحصّة الثانية، واستشاط غضباً وغيظاً.

٤- ولكي يقتص من البشر استرد النار الإلهية. ولكن الداهية ابرمثفس صار إلى جزيرة لِمْنُس، وخادع هِيِّستُس الحدّاد، وأودع قَبَساً من النار في

قصبة وجاء به جنس الأنام. وقيل إنه صعد إلى الشمس وأضرم من إحدى عجلاتها مشعَله.

٥- فعاد زفس وحنق من دهاء ابرمثفس ومن اختلاسه النار الإلهية، وأراد الوقيعة بالبشر، فعهد إلى ابنه هِيْفِستُس، وهو الشهير بحذقه، أن يكوّن جسم امرأة من التراب والماء الزلال، فيؤتيها فتنة العذارى ويُسبغ عليها جمالاً ساحراً، ويهبها الحياة والنشاط، ويزيّنها بصوت شجيّ. وشاء رب الآلهة والبشر أن يُسهم الأرباب بزينة تلك الفتاة الحسناء، فأغدق الآلهة عليها الهبات، وبدت ساحرة البهاء، ودعيت كاملة المواهب.

٦- إلا أن هِرَكْلِيس المغوار، بإيعاز من أبيه زِفس، وهب تلك العذراء البهية، مع الغنج والدلال شيئاً من الاحتيال، ومن الهذر وفاتن الأقوال، مما يدهى بعقول الرجال. وقدّم لها زفس نفسه وعاءً من ذهب محكمَ الإغلاق، وبعث بها إلى ابْرُمِثِفس النبيه.

٧- فلما قدمت بصحبة هِرَكْلِيس، تنبّه ابْمثفس لِخدعة زِفس، ومع كل إغراء الفتاة ردّها إلى صاحبها القدير. لكن هِركليس الجبّار مضى بها إلى إِبِمِثِفْسَ الغبي. فقبلها هذا بفرح وسرور ولم يتنبّه لإيعاز أخيه، بأن لا يقبل من زفس شيئاً، لئلا يجلب على البشر شراً.

٨- فرح إِبِمِثِفْس لمقدم الحسناء، واتخذها له حليلة، فولدت له ابنة دعاها بِرّا. وشاءت امرأته بنذورا أن تعرف محتوى الوعاء النفيس، المصنوع من ذهب ابريز، هدية رب السماء زِفس. وكانت قد مُنِعت عن فتح الوعاء عندما أهدي إليها، فأخذته بين يديها وجاهدت فاستعصى عليها. وأخيراً بعد عناء طويل تمكنت من رفع الغطاء.

٩- وما كاد يرفع الغطاء، حتى انتشر على وجه البسيطة سحاب كثيف من الأرزاء وضباب كالح من الأسواء. فذعرت بنذورا لذلك المشهد وأسرعت فغطت الوعاء فعلق على شَفاهُ الرجاء.

٤ §- الطوفان

١- ومع هذا كله لم يهدأ غضب زِفس، نظراً لازدياد الشرور، وما لقي من منافسه المتستّر ابْرُمثفس، الذي كان يحنو على البشر ويشملهم بعطفه. ولذا عزم زفس من جديد أن يمحو البشرية، ويُغرقَها تحت خضم من المياه.

٢- ولكن ابرُمثفس كان يسهر على جبلته، فنبه ابنه ذِفْكلِيُن إلى الشر المستطير. وقد كان يملك على ثِسَلِيّا هو وقرينته وبرِّا، ابنة أخي ابْرُمثِفس. وأوعز إليه أن يصنع فلكا وأن يأوي إليه هو وامرأته.

٣- فعمل ذِفكَلِين بإشارة والده النبيه، وبنى له فُلكا ودخله هو وامرأته. فهطلت الأمطار وما انفكت عن الانهيار حتى غطت الأمصار، وأهلكت الصغار والكبار. ولم ينتج من طوفان المياه إلا ذِفْكَلِين وبرِّا. فقد لبثا عائمين بفُلكهما على وجه الغمر تسعة أيام وتسع ليال. وفي اليوم العاشر حطّ بهما الفلك فوق جبال بَارْنَسُس.

٤- فخرج ذفكلين من الفلك، وقدم ذبيحة لأب الآلهة. فداخلت الرحمة قلب زفس، وتنسم رائحة الضحية بانشراح، ورضي عن مقدمها بلطف، ووعده بتحقيق أولى أمانيه. فرغب ذفكلين في الحال أن تبعث البشرية من جديد[١].

٥- فأمره زفس بالانطلاق إلى المدينة المجاورة وهي مدينة ذلفي الشهيرة. ليستشير الإلهة ثميس. فأجابت الإلهة الملك وقرينته بأن يعتمّ كل منهما وأن يحلا منطقتيهما وأن يرميا وراء ظهرهما عظام جدتهما الأولى.

٦- فذهل كلاهما لهذا المعمى. وبعد التفكير والتأني الطويل. عصب كل منهما جبهته وحلا المنطقة على خصريهما، وراحا يتناولان الحصى

٤- (١) راجع الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين ف ٧ و٨.

ويرميان بها من فوق الكتف. فالحصى هي عظام الأرض جدّةِ الجميع. فما رماه منها ذفكلين استحال رجالاً، وما رمته برَا استحال نساء. وازدهى جنسنا وازدهر. واعتبر الهلين أبرمثفس أباً لسلالتهم، وأول من شاد المدن ورفع عماد الهياكل.

٥ §- عذاب ابرمثفس

١- ومع اصطلاح الحال بين زفْس والبشر، فهي لم تصطلح بين ابن اخرونس وابرمثفس. وبقي زفس يخشى سطوة خصمه المتستر وبطشه. لاسيما وقد اطّلع ابرمثفس الماهر المتوقد الفؤاد على سر خطير يتعلق بمصير الآلهة والبشر.

٢- فأوعز زفس إلى ابنه القدير هيفستس، وإلى البأس والجبروت ابني استيكس الهائلة، أن يكبلا ابرمثفس على جبل الكوكاز. وسلط زفس عليه عقاباً، ينهش كبده في آناء النهار. وما نهش منها الطير الجارح يعود ويتكون في أثناء الليل.

٣- بقي ابرمثفس يعاني آلامه المبرحة ثلاثين ألف سنة لم ينِ طيلتها ولا وهنت عزيمته. بل لبث مصعر الرأس، متمرداً عاتياً، يقذف زفس بحمم غيظه ولاذع سخطه، يتهدده ويهجوه هجاء أليماً، ويتوعده وعيداً غامضاً، بأرهب العواقب وأسوأ المصائر.

٤- فَلان زفس أخيراً، وخشي شر المنقلب، وفوض إلى هركليس ابنه البطل أن يفك ابرمثفس من عقال أسر طويل ويخلصه من هول آلامه. وحينئذ أطلع ابرمثفس ابن عمه زفس على سره الخطير. وصده عن اتخاذ ثيتس ابنة نرفس الفاتنة، قرينة وحليلة له إذ قد تنجب له ابناً من شأنه أن يخلعه عن العرش.

٥- فعدل زِفس عن مغازلةِ ثِيتس، ابنة نِرفْس، وخوّلها الاقتران ببِيْلِفْس، أبي البطل الصنديد أخِلّفْس. أما ابرُمثفس فلم يُمكّن رغم ذكائه واقتداره، من استيطان ديار الآلهة. وكان عليه أن ينيب منابه أحداً في ديار آذس إله الجحيم.

٦- فبعد أن جُرِح الكِنْتَفْرُس خِيْرُن، ويئس من التئام جرحه، قبل أن يحلّ محل ابرمثفس في الجحيم، وأخلد هذا إلى الراحة الدائمة، في مصاف الآلهة المغبوطين. ونظراً لما أسدى للبشر من خير عميم، أقام له الأثينيون هيكلاً في حدائق الأكاذمية وأكرموه كأب للعلوم والفنون.

البَابُ الثَّانِي

آلهة السـماء

الأكابر والأصاغر

الباب الثاني

الفصل الأول : في ديار الخلود

الفصل الثاني : زفس أبو الآلهة والبشر – يُوبتّر عند الرومان–

الفصل الثالث : هيْرا شريكة زفس في الملك – يُونُو عند الرومان–

الفصل الرابع : أثنا إلهة الطهر – منِرفا عند الرومان–

الفصل الخامس: ابولّن إله النور والفن – فِيبُس عند الرومان–

الفصل السادس: أرْتِميْس إلهة الصيد والسحر – ديَانا عند الرومان–

الفصل السابع : هِرْمِيس ساعي الآلهة ورسولهم

الفصل الثامن : آرِس إله الحرب – مارس عند الرومان–

الفصل التاسع : هيْفِسْتُس إله الصناعة – فُلْكانُس عند الرومان–

الفصل العاشر : الزُهَرَة أفْرُذِيتي إلهة الأنوثة والجمال – فِيْنُس عند الرومان–

الفصل الحادي عشر: بُسِذُون إله البحار – نِبْتُونُس عند الرومان–

الفصل الثاني عشر : هِسْتِيا إلهة الموقدة – فِسْتا عند الرومان–

الفصل الثالث عشر : آلهة السماء الأصاغر

الفصل الأول

في ديار الخلود

١ - مقر الآلهة

١– لما انصرم عهد اخْرُونُس، وتقاسم أبناؤه بالقرعة أرجاء الكون، نال آذِسُ الهاوية وأعماق الأرض، فامتدت سيطرته على الجحيم. ونال بُسِذُون البحار الزاخرة، المتلاطمة الأمواج. وبسط زِفس سلطانه على الفضاء والأثير وأجواز السماء. وأجمعوا على أن يبقى أولِمبُس مقام الآلهة ومقر الخالدين.

٢– وتمتد جبال أولِمبُس على ساحل بحر إغِيْئُس، وتُتاخم بلاد مَكِذُنِيا شمالاً، ومقاطعة ثسَّلِيا جنوباً. وتنحدر نحو الشمال انحداراً وئيداً، في سلسلة مترابطة من الهضاب والغابات. وأما نحو الجنوب فتهبط تلك الجبال في أغوارٍ سحيقة ووديان عميقة، تتساقط فيها الشلالات من أعالي تلك الجبال وتحفر في الصخور تجاعيد كثيرة، فتظهر بشكل أرداف أرديةٍ ضافية، وشّحت الآلهة بها جدران قصورها الشامخة المنيفة.

٣– وتبدو قمم الجبال المرتفعة إلى أكثر من ثلاثة آلاف متر، المكللةُ بالثلوج الأبدية، عروشاً متألّقة ساطعة، يتربّع فيها الأرباب الآلهة العظام. فيرى الرائي ذلك المنظر السحري، ويوحي إليه مشاعر الجمال ومشاعر الجلال، تمازجها المهابة والخشية والرهبة، فيؤمن دون ريب أن تلك القمم

هي هام البسيطة، ويذكر كيف احتفر زفس وادي تَمْبِي، في حربه مع التيطان ليفصل بين معقله أوْلِمبس وبين أوسًّا معقِل الأعداء.

٤- ويصفو الجو فوق تلك الجبال، وتصعد فيها غيوم قطنية زاهية تنعكس عليها أشعة الفجر وأنوار الأصيل. وتنساب في وديانها الظليلة الوارفة غدرانٌ وأنهار رائقة، تترقرق مياهها برخاء، كوثرية منعشة صافية. ففي تلك الأجواء البهية اصطفى الآلهة سكناهم الأزلية، وأقاموا فيها على السعة والرخاء، في أعالي الجبال وفي كبد السماء.

٢- منهج حياتهم

١- يرتع الآلهة في مقر الخلود، وينعمون بمباهج الحبور، في عيش رتيب وئيد. لا يخلو مع ذلك، بين الفينة والفينة، من المتاعب والمشاكل. إذ تحتدم فيهم المشادات، وتقوم الأحن والخصومات، ويصطرعون صراع البشر، ويغتصبون ويتحزبون.

٢- والآلهة مراتب ودرجات، قِمّتها زِفس والأحد عشر الكبار معه: بُسذون وذِميْتِر وهيْرا، وأفْرّذِيتي وهِسْتيّا وهِيْفِسْتُس، وهرمِيْس وآرِس وأبُوْلُون، وأثِنا وأرْتِمِيْس. وفي منزلة ثانية بعدهم: ثِمِيس وإيُوس وهيلِبُس، وسلِينِي ولِيْتُو، وذِيُونِي، وذُيُونِسُس.

٣- أما حاشية الألمبيين وأعوانُهم ومنفذو أوامرهم، فهم الساعات والأقدار وقسمة الحق(١)، والإلاهات الأناقة واللطف الكواعب الناعمات، وإلهات الشعر الغانيات، وإيْرِس الزاهية وهِيْفِي الفتّية وغنِميذِس. أما آذِس شقيق زِفس فقد اعتكف مع بْرِسفُوني وهكاتي في غياهب الجحيم، وأقام فيها معتزلاً لا يَريم.

٣- (١) تلك الحاشية معروفة عندهم باسم هوره وميره ونيمس.

٤- وإذا خطر ببال هؤلاء أن يتمردوا أو يتآمروا أو يتألبوا على زفس مولى الجميع، يقمعهم بعنف وقسوة ويبطش بهم بشدة. وهو ينتهرهم أحياناً ويحذرهم بصراحة:

"ألا فليذعن الأرباب لمشيئتي... وإلا قبضت عليهم ودحرتهم إلى ظلمات التَارْتَرُس. ومن شاء أن يمتحن قوتي فليحاول. أيها الآلهة والإلاهات خذوا سلاسل من ذهب وجرّوا زِفس ما شئتم، فلن تحدروه إلى الأرض، ولكني إذا شئت أن أسحبكم بدوري، أجذبكم جميعاً مع الأرض والبحار والجبال، وألف سلاسل الذهب على قمم أوْلِمْبُس، وأدع الكلّ معلّقاً في الفضاء".

٥- ولكن هنالك من يعنو له الجميع حتى زفس نفسه، ولا سبيل لمعاكسة تدابيره أو مخالفة مراسيمه. وذاك المهيمن هيمنةً مطلقة دونما قيد أو شرطٍ، هو مَوْرُس القدر المحتوم. فهو كأمه دُجْنةِ الليل، يتخذ تدابيره في الظلام ويبسط سيطرته على الكون. وزِفس كأحقر البشر ينقاد لأحكامه صاغراً، ولا يفكر قط في العصيان، لأنه في حكمته السامية، يعرف تمام المعرفة أن الخروج على القدر معناه تشويش نظام الكون، وقد كلف هو بحفظه. ولذا لما دهم البلاء سربذون أحد بنيه، لم يحاول درءه عنه، بل استسلم للقدر وخلّاه يجري مجراه.

٦- والآلهة يفضلون البشر، بأجسام ضخمة قد تتجاوز مئتي متر وأكثر. فهيرا من أعالي الأولمبس تمس الأرض بيد والبحر بالأخرى. ويجري في شرايينهم نجيع أكثر ميوعة من الدم البشري، يؤتيهم حيوية دائمة ومنعة تامة. وإن كانوا قابلين الجراح، فأجسادهم تشفى أبداً مهما كانت الطعنات بليغة، وتحفظ بلا انقطاع نضارة الشباب وريعانه.

٧- ومن مميزات الآلهة أن يتخذوا من الأشكال ما يشاؤون، وأن يبدوا بهيئة البشر أو الحيوانات وحتى الجماد. ويتخلقون بأخلاق البشر وينحرفون

انحرافاتهم. وهم عرضة لأهوائهم وميولهم وغرائزهم، من حب وبغض وغضب وكبرياء، وخوف وحسد وما إلى ذلك. وإذا نقموا على أحد صبّوا عليه جام سخطهم. وإن حظي في عيونهم غمروه بالعطف والخير.

٨- وفي سمائهم الألمبية يجلسون على عروش عسجدية، صاغها لهم هيفستس الحاذق. ويقضون أيامهم في الولائم يتذوقون العنبر والنكتار، ويشمون روائح الذبائح والأضاحي التي يقدمها لهم البشر. ويستمتعون بألحان أبولن يعزفها لهم على القيثار، ويطربون بأنغام الشاديات، إلاهات الشعر والفن وتدور بهم هيفي إلهة الشباب، تسقيهم رحيق الحياة، فيرشفونه في كؤوس من الإبريز. وعندما ينحدر الكوكب على الأفق، ويميل نحو الأصيل، يغادرون ردهة الاحتفال، ويأوي كل إلى منزله وقد شاده لهم الإله الحداد بمهارة منقطعة النظير.

الفصل الثاني

زفـس

أبو الآلهة والبشر

١- يُشير اسم زفس، حسب أصله السانسكريتي، إلى النور وإلى ضياء النهار. وقد كان في البدء إله السماء والظاهرات الجوية. فهو يأمر الرياح ويتحكم بالسحاب والضباب، ويرسل الأمطار ويرشق بالصواعق. مقره الأثير ومشارف الأرض. إنه الإله العلي المتعالي. وقد كانوا يكرمونه فوق التلال وفي قمم الجبال، كالهكطون في فيتيا، وأولمبس في مكذونية، وهيمتس في الأتكي، وإيذا في جزيرة كريت.

٢- وعظم زفس مع الأيام في نظرهم، واكتملت شخصيته الأدبية، وغدا في نظرهم الإله الأسمى يعلم كل شيء ويبصر كل شيء، ويقدر على كل شيء، إذا تقيد بسنة القضاء والقدر. وهو مصدر كل عرافة، يجيب سائليه مباشرة كما يفعل في ألمبيا من أعمال إليس، وفي ذذون من أعمال إيبرس، حيث أكرموه وذيوني، ابنة المحيط عمه وتثيس عمته.

٣- إنه مفيض النعم وباعث المساوئ. يقتص بشدة من الأشرار، ولكنه صالح رحيم، ميال إلى الشفقة والإحسان. وهو يدفع الشرور، ويحمي البائس والمسكين، ويجير الملهوف والمشرد والمسبي. يسهر على الأسر والعيال، ويبارك الزواج والصداقة، ويتعهد الضيوف والغرباء، ويحافظ على نظام المجتمع. فهو إله اليونان وصائن ديارهم وبلادهم.

٤- ومع أنه حارس الأسر وصائن الأزواج، فقد خاض قبل زواجه الرسمي بهيرا، مغامرات غرامية لا تحصى مع الإلاهات والجنيات والبشريات. ولم تنته بعد اقترانه بها-

١ § - مغامراته مع الإلاهات

١ - اقترن زفس لأول مرة بميتس الحكمة والدهاء، ابنة أكئنوس عمه وتثيس عمته. وكانت ميتس تعلم كل شيء، ويفوق علمها علم الآلهة والبشر معاً، فأشار عليه جده أرنوس وجدته غيئا بأن يبتلع قرينته لئلا تنجب له، بعد الابنة التي كانت تحملها، إبناً يفوقه فهماً واقتداراً، يقصيه عن العرش ويستبد بالآلهة والبشر. فلما قرب حين الولادة، جعل يتودد إلى ميتس حتى أغراها بمعسول الكلام وابتلعها هي وجنينها وواراها في أحشائه. وهكذا تلافى شراً مستطيراً، وازدرد ذات الفهم والحكمة، ليعرف منها الخير والشر. فحقق لنفسه غنماً مضاعفاً.

٢- وعاد زفس فاتخذ خليلة له عمته ثيمس إلهة العدل والإنصاف، والنظام السائد في عالم المادة وعالم الروح. فأنجبت له إفنميا الشرع الصالح، وذيكي العدل والحق، وإريني السلام العادل، وأخيراً ولدت له الساعات، المتدفقات رونقاً وشباباً. وتسهر تلك الإلاهات على تعاقب الأيام والفصول والدهور، وتفتح أبواب السماء لتبعث السحاب أو ترده، وتفيض الغيث في أوانه، وتراقب سير القوانين، وترعى الطفولة والشباب، وقد حدبت على طفولة ذيونسس وهرميس.

وبعد اقتران زفس بهيرا، لبثت ثيمس في الأولمبس عزيزة مكرمة، تعاون زفس وتسدي إليه النصح. وتلك هن بناتها الأخوات الاثنتا عشرة[١].

٢- (١) المعروفة عندهم باسم هوره وكانت ثلاثاً: ساعة الربيع وساعة الصيف وساعة الشتاء ثم انضمت إليها ساعة الخريف، ثم أضحت اثنتي عشرة عندما وزع النهار إلى اثني عشر جزءاً والليل إلى أجزاء مماثلة.

٣- وبعد ثيمس تزوج زفس بعمّته الذاكرة امنمسيني ذات الشعر الطويل الجميل، فأقام عندها تسع ليال. ولما آن الأوان، ولدت له ربات الشعر والفن التسع، اللائي يبهجن ولائم الآلهة ويطربن بجوقتهن مآدبهم. ومقامهن المفضل قمم أولمبس أو ذرى هلكون، أو مشارف بارنسس. وتلك الإلهات يعنين بالشعر والرقص، والتاريخ والفنون الجميلة، وهن يؤلفن فرقة فنية رائعة، يديرها أبولن، وأشهرهن إفتيربي وأكليو وملبميني. وتلك الإلاهات هن الأخوات التسع.

٤- وشغف زِفس بحب أخته ذِمِيتِير. ولما امتنعت عنه استحال ثوراً وغشيها. فولدت له كُورِي أو برْسِفُوني. وعَلقَ أيضاً إفْرِنُومي ابنة عمه أكِئَنُوس وعمتِه تِثِيس فأنجبت له ربات الأناقة والنعومة الثلاث: أغْلَئِي الساطعة وثَاليا الزاهية وإفْرُسَيني المبهجة المشرقة.

كانت تلك الإلهات توعب القلوب فرحاً وحبوراً، وتضفي اللياقة على الحفلات، والأناقة على المعاملات، وتزيد بكياستهنّ وأدبهنّ، مباهج الآلهة والبشر، رونقاً وذوقاً وعذوبة. وهي تصحب رباتِ الفنون، وتشاركهن في صوغ الروائع وإبداع الآيات الخالدات. وقد أكرمن خصوصاً في الساحات العامة والمنتديات، وسُكبت لهن السكائب في بدء الولائم تلك هي الأخوات الثلاث.

٥- وأخيراً اقترن رب الأرباب بأخته هيرا، على زمن أبيه اخْرُونُس، وقبل أن يغتصب الملك لنفسه، وذلك أن أخته الصغيرة عُهد بها إلى حاضنة اسمها مَكْرِيس، في جزيرة إيْفْيا الممتدة على ساحل الأتّكي الشرقي، فقصدها زِفس ذات يوم، وحملها إلى جبل كِثِرُون على تخوم فِيُتِيّا والأتكي، واقترن بها هناك. ومنهم من يقول إن زواجه بها قد تمّ في أقصى المغرب في جنائن الهِسْبِرِيْذِة، ومنهم من يقول إنه تزوجها قرب نهر ثِيْريس بجوار مدينة اكْنُسّوس.

٦- ويروي بَفْسَنِيَّس ذلك الخبر رواية مختلفة. هام زفس بأخته هيرا، ولكنه خشي ألا تبادله المحبة. فأتاها أيام الشتاء في هيئة بلبل جميل ترتجف فرائضه من شدة البرد. فرمقته الإلهة برفق وضمته إلى صدرها في حنان، وراحت توليه آيات عطفها وتداعبه كل مداعبة. فمثل أمامها عندئذ كما هو، وأبدى لها شغله ووجده. فمازالت الإلهة تصدّه حتى وعدها بالزواج. وتمّ اقترانه في محفل الآلهة بأبهة وحفاوة بالغة.

٧- ولم يمنعه زواجه الحافل، في ديار الآلهة، من متابعة مغامراته، ومواصلة خديعة زوجته، وملاحقة الإلهات والغانيات، ولكنه أخفق مراراً ولم ينل دوماً منهن مأربه.

فهكذا قد صده ابْرُمِثِفس عن مخالطة ثِيْتِس ابنة نِرِفْسَ، خشية أن تنجب مولوداً يفوقه قدرة وجبروتاً. وهكذا لم يُوفَق مع أسْتيريا ابنة عمّه كِيُس وعمته فيفي. ولما ضايقها كثيراً، تحولت إلى سمّنة وطارت، ومن إعيائها سقطت في البحر، فاستحالت إلى جزيرة طافية على وجه الخضم. فاستحضر زفس سلاسل من ماس وشدها إلى قعر البحار. وسمّيت تلك الجزيرة أرْتغي أو جزيرة ذِيْلُس اللامعة.

٨- غير أن أختها لِتُو لم تبد كل هذا الإجفال، وسايرت ابن عمها أبا الآلهة، فأغضبت هيرا قرينته الشرعية، وأوغرت صدرها حنقاً وحقداً. فانبرت ابنة أخْرُوْنُس القديرة تلاحقها وتضايقها وتضطهدها بلا هوادة، ولم تجد لِتُو الناعمة البهية، إلا بعد متاعب جمة وتنقلات كثيرة، موضعاً تضع فيه مولودَيها الإلهيّين: أبُوْلُن الفاتن وأرْتمِيْس الرشيقة القدّ.

أما مَايَا ابنة أطْلاس ذات الضفائر الجميلة، فقد تجنبت ببراعة حسد هيرا وسخطها، إذ اعتزلت مقر الآلهة وأوت إلى مغارة عميقة، وهناك أخفت مودتها لرب الآلهة والبشر. فكان يرتاد كهفها ليلاً، بعد أن تستسلم زوجته هيرا البيضاء المرمرية الجسم، إلى سبات هادئ عميق، لا يخامرها شك

بأمانة زوجها. وأنجبت مايا لزِفس ابنه السريع هرْميس ساعي الآلهة. وولدت له أختها إلِكْتْرا، ربة الأنغام والانسجام هِرْمُنِيّا الأنيقة الهادئة، وذارْدَنُس.

١٠- وأحب زفس بنتاً ثالثة لابن عمّه أطْلاس كانت تدعى تَفْيِيْتِس. وحاول إغراءها طويلاً، ولكنها صدته بجفاء وتهربت منه بلا انقطاع، حتى طاردها مرة فعطفت عليها ابنته أرْتمِبْس وأحالتها ظبية. ثم بعد فترة طويلة أعادتها إلى شكلها الأول. فوقفت تَفْيِيْتِس للإلهة غزالة وطلت قرنيها بماء الذهب. وادعى بعض الاسبرطيين أن تَفْيِيْتِس استجابت دعاء رب الأولِمْبُس. فأنجبت له ابناً وسمّته لَكذِيْمُن، وملك على بلاد اللكونيّين، وأسس المدينة التي تدعى باسمه.

٢ §- مغامراته مع الجنيات

١- لقد أحب زِفْس من الجنيات، بنتي آسّبُس إغِيْنِي وأنْتِيُبِي. أما الأولى فقد استحال إلى نسر وخطفها. - ومنهم من قال إلى لهيب ولكن الأمر يبدو عسيراً - وأخذها وطار بها إلى جزيرة غنُوْبِيَا، فولدت له ابناً سمّته إْبِيكُس، ملكَ فيما بعد على جزيرة إغِيْنِي. ولكن أباها آسبس، وهو النهر الذي يجري بلجبٍ في شمال جزيرة بِيلُبْس، استفقدها فلم يجدها. فجدّ في البحث عنها واتجه إلى مدينة كُوْرِنْثُسْ. فهداه سِيْسِفُس إلى خاطفها، ودله على الطريق. ولما بلغ وباغت زِفس، صوب الإله إليه صواعقه وأكرهه على العودة إلى مسيله.

وزعم بعضهم أن سِيْسِفُس قد فاجأ زِفس على حين غرّة، فبُغت رب الأرباب وذهل، وحوّل معبودته إلى جزيرة واستحال هو إلى صخرة صماء. وتُرى تلك الصخرة حتى هذه الأيام، فوق جزيرة إغِيْنِي.

٢- تلك قصة زِفْس مع إغِيْنِي. أما أَنْتِيُبِي أختها، فقد لقيها زِفس في جولاته الرعوية، مستلقية مغرقة في النوم، على ضفة ساقية صافية في أحد

الوديان الجميلة فاستحال إلى صَطَرٍ بشع[1]، وخالط الفتاة البهية فهربت إلى مدينة سِكِيُوْنِي، حيث اقترنت بملكها.

ورُوي أن أباها نِكْتِفْس، انتحر عندما سمع بخبرها. وأوصى ابنه لِيْكُسَ، قبل أن يقضي نحبه، بأن يثأر للشرف المفقود. فحاصر لِيْكُسُ سِكِيُوني وقتل ملكها إِبُبِفْس واسترد أخته أسيرة. فوضعت ولدين توأمين، عُرِضا على جبل كِثِرُون، وأصبحا بعد ذلك من أشهر أبطال ثيفة، وهما أَمفِيُّون وزِيثُس.

٣- عاشت عروسة الوديان كَلِسْتُو، ابنة لِكَائُن ملك أرْكَذِيّا مع الإلهة أرتِميْس، ونذرت أن تعيش بصحبتها عذراء[1]. فلمحها يوماً أبو الآلهة وسباه جمالها الخلاب، فلقيها مرة في إحدى الأجمّات، تستريح من ملاحقة الطرائد. ولكي لا تجفل منه وتهرب، وقف بها في زيّ أرْتِمِيس. فقبلته بترحابٍ وسرور. ولما عرفته في حقيقته كان قد فات الأوان. وحاولت إخفاء أمرها. لكن سيدتها أرتميس تبيّنت ما حصل لها، بينما كانت تستحم وإياها. فشاءت أن ترميها بسهم، لكن زفس حوّلها إلى دبّةٍ كي يخيف أرْتِميس إلا أن الإلهة الباسلة رمتها بوابل من السهام وأماتتها كعاهرة. فنقلها زفس إلى الفَلَك وغدت في الدبّ الأكبر.

٤- ويقال في ذلك قول آخر، وهو أنّ هِيرا علمت بخيانة زوجها وشقّ الأمر عليها جداً. فبعد أن ولدت كَلِسْتُو، وسمّت مولودها أرْكَاس وهو معمّر مقاطعة أرْكَذِيّا، أحالتها هِيرا إلى دُبة رهيبة. وملك أرْكاس مكان جدّه على عرش أرْكَذِيا. وبينما كان ذات يوم يصطاد في إحدى الآجام، طلعت عليه دُبّة كبيرة، وراحت تتأمله بوداعة وترمقه بنظرات حانية، كأنها نظرات الأمّهات. ذلك أنّ كلِسْتُو قد عرفت ابنها الحبيب، وأبدت كل حنينها إليه، وعجزت عن

٢- (١) الصَطَر كائن أسطوري له رأس إنسان ويداه وجسم تيس من المعز.

٣- (١) سنرى أن الإلهة العذراء هي أَثِنا ابنة زفس. وهكذا يتأكد المرء أن في البشر نزعة سرية إلى النقاء العذري وإلى الطهارة والبتولية.

التقرّب إليه واطلاعه على سرّها الخفيّ وسرّ حبها وعطفها عليه. أما الولد الحائر الداهش فلم يعرف أمّه الرؤوم، وتنكّر لهذا الوحش الوديع وحار طويلاً في أمره. ولكن الخوف تغلّب عليه وتناول سهماً ورام أن يُرديه. وعندما همّ وتناول القوس، تحنّن زِفس على الأم البائسة، وأشفق على لوعتها اليائِسة، وأحال ابنها أيضاً إلى دب صغير، ونقلهما إلى فلك السماء، فأمست فيه الدبّ الأكبر وأصبح ابنها الدب الأصغر.

هذا، ومغامرات رب الأرباب مع الإلاهات والجنيّات لا حصر لها ولا تعداد. وليس من شعب عندهم لا ينحدر جسده الأول من زفس أبي الآلهة والبشر.

٣ §- زِفس والآدميات

آ) ١- أولى من أحب زِفس من بنات البشر نِيُوبي ابنةُ فُرُنِفْس وعروسة الوديان لَئُذكي فولدت له آرغُس. فأسس المدينة التي تُدعى باسمه.

ب) ٢- وكان لأبيها إله النهر إنَخُوس، ابنةٌ جميلةٌ سمّيت إِيُوْ، تَكْهَنُ في هيكل هِيْرا بين مِكِيْنِي وتيرِنْثُس، في شبه جزيرة بيلبس. فشغف بها أبو الآلهة واستحال إلى غمام ليغشاها. فلاحظت هِيرا احتيال زوجها وأبدت له استياءها. فأنكر وحاول أن يتنصل. ولكي يهدّئ خاطر قرينته الظنونة، حوّل الحبيبة إِيُو إلى مهاة بيضاء.

٢- غير أن غيرة هيرا لم تهدأ، لبهاء تلك المهاة ورونق شكلها. وتظاهرت الإلهة بالارتياح. وفي كثير من الدلال، ألحت على قرينها الفاسق واستهدته تلك المهاة. وادعت أنها أولى من غيرها بامتلاكها، لأن البقرة كانت كاهنتَها سابقاً. فاستجاب زِفس امرأته وأهداها المهاة. فأخذتها وأقامت على حراستها في غابات مِكيْنِي، عملاقاً مخيفاً يُدعى آرْغُس، ذا سحنة غريبة فيها مئة عين، إذا نام أغمض خمسين منها وسهرت العيون الأخرى. وهذا الجبار

اليقظ قد قتل إيْخِذنَا الضخمة، الحيّةَ الغليظة الرقطاء بنتَ تَارْتَرُسْ وغِيْئَا، كما أهلك ثوراً وحشياً ضارياً، عاث في أرْكَذِيّا فساداً.

٣- فشقّ على زِفس أن ينغلب لآرغُس بعد أن استكان لهيرا. ولم يشأن أن يصرعه بصواعقه المتلظية. ولكنه أراد أن يتخلص من ذلك الجلف الغليظ بحيث لا يشعر أحد بتدخل رب الآلهة. فاستدعى ابنه هِرْمَيْس وعهد له بهذه المهمة الخاصة.

فتنكر هرميس وتزي بزي رعاة البلاد، وأخذ مزماره ودنا متحفظاً، وراح ينثر في أرجاء الغاب، أعذب الألحان وألطف الأنغام، وأطرب الجبار بغنائه الشجي. فشجي آرغس وطابت له الألحان، وثمل من نشوة الطرب، فنام ملء عيونه كلها، واستسلم لسبات عميق، لم يعرف في حياته مثله.

٤- وعندئذ ازدلف هرميس ورمى عنقه بضربة قاصمة، وخلص إيو من حارسها الشنيع. غير أن هيرا تنبهت للأمر، وذرّت عيون العملاق على ذيل الطاووس طائرها المفضل، فازدهى من ذلك الحين بتلك الألوان الزاهية. وفي اضطرام غيظها سلطت على إيو قمعة هائجة قاسية تلسعها وتؤلمها وتجفلها إجفالاً. فأطلقت تلك المهاة البائسة ساقيها للريح، تصعّد نحو الشمال وتنحدر نحو الجنوب، تتسلق الجبال العالية، وتغور في الفجوج السحيقة، في البرد والحر والثلوج والعواصف، ولا تزداد إلا ضنكا ولا تجد سلوى أو راحة. فجابت البلاد كلها، صرودها وجرودها وسهولها ووديانها، وبلغت ذرى الكوكاز، حيث كبل التيطان الجبار ابْرُمِثِفْس بنيابِتُسْ. فلما رآها رثى لحالها، وبكت هي أيضاً عليه. وتنادما مدة طويلة وتبادلا التعزية والمؤاساة وأنبأها الجبار باقتراب الفرج.

٥- ودّعت المهاة صديقها الكبير، ومضت تتابع سيرها المضني. وقطعت سباحة مضيق البسفور[١]، ومرت بآسيا وفنيقيا وأمعنت في متاهات

٥- (١) فسمي المضيق باسمها، لأن كلمة فسبرس باليونانية تعني ممر أو مضيق الثور والبقرة.

سيناء، حتى انتهت إلى ضفاف النيل، فتصالحت هيرا مع زوجها الطائش، وطردت القمعة عن ضحيتها إيو. فلامس زفس ظهر البقرة فاستعادت شكلها القديم. ولكنها ما عتمت أن ولدت لزفس مولوداً أطلقت عليه لقب إبَفُوس.

٦- فعاودت هيرا غيرتها، ونقمت من جديد على إيو، وأوعزت إلى كهنة رِيئا في جزيرة كريت، بأن يخطفوا المولود الصغير. ولما نفّذوا أمر زعيمة الآلهات، رشقهم زفس بصواعقه المبيدة، ومضت إيو مرة أخرى، تجوب الدنيا وآفاقها النائية، تفتش عن ابنها الضائع إبفوس. وبعد لوعة وعذاب مرير، لقيته أخيراً في سوريا، ثم اقترنت بملك مصر تِلِيغُنُس، واستقرت هي وابنها نهائياً هناك، وأسس إبفوس مدينة مَمْفِيس في شمال مصر وجنوب الجيزة.

ج) ٧- كانت ذنائي ابنة أكريسيس ملك آرغس، وإفرذيكي ابنة لئميذن ملك اطروادة. وبعد أن ولدتها أمها انحبست أحشاؤها عن الولادة. فسأل أبوها العرافين فقيل له: ستنجب ابنتك ذنائي نجلاً كريماً من أصل كريم، فتموت بيده قضاء وقدراً، ويملك مكانك على عرش أجداده. فما سمع الملك ذلك أنشأ تحت الأرض سرداباً، صفحه بصفائح الفولاذ، وحين بلغت ابنته سن الزواج أغلق عليها في ذلك السرداب.

٨- ورآها زفس وأحب نعومتها ونقاءها، فتردد عليها أولاً بشكل مطر من ابريز، ثم كشف لها عن حقيقته وآنسها في سجنها وهوّن عليها مكارهه ودار الزمان دورته وأنجبت نجلاً من رب الآلهة. ولما علم أبوها بالأمر، خاف أن يقتل الغلام، فأخذ سفطاً محكم الإغلاق، أودعه ابنته ورضيعها، ورمى به إلى البحر.

٩- فعام السفط وراكباه، وتقاذفتهم الأمواج، والطفل نائم على ذراع أمه. تهدهده وتناغيه وتناجيه بحنان: "واحسرتاه عليك يا ولدي، واحرَّ قلباه من هذا المركب الحرج... ومع ذلك فأنت ترقد يا بني رقاداً هادئاً هنيئاً، في

هذا المسكن المريع، المصفد بمسامير النحاس، إنك ترقد في حضني يكتنفك وإياي ديجور رهيب. والغمر يتلاطم فوق رأسك وأنت لا تأبه لصخبه، وتزخر العواصف حولنا وأنت غير مكترث لها، تسند هامتك الساحرة إلى وسادة من أرجوان. فلو كانت الأهوال تذعرك لأنصت بحذر لأقوالي، واسترعى أذنك الغضة أنيني وراعك همس تحسري الشجي. نم يا حبيبي أغف ونم. ولينم عنا الخضم بهوله، ولينم عنا خطبنا الذريع. يا زفس أباه يا رب الآلهة، ليتك تردّ عنا أحكام القدر، وإن كنتُ في دعائي أفرطت في القول، فسامحني يا إلهي بحبك ابنك هذا الطفل الرضيع(١)".

١٠- ومازالت الأمواج تتقاذفهم حتى أرسى السفط في جزيرة سيرنس. وهناك عثر عليه ذيكتس وبلذيكتس ملكا الجزيرة، فأضافا الام وابنها وحوّطاهما بالإكرام والمودة. وبعد فترة من الزمن ثبت للملك بلذيكتس أنها يحبها، وحاول عبثاً أن يخطب ودّها. فأبت وبعد صروف خطيرة مرت عليها وعلى ابنها برسفس، عاد بها ابنها إلى أرض الاجداد. وملك على مكيني وتيرنثس.

د) ١١- لقد كان زفس أبو الآلهة يعبث بسخط هيرا قرينته وبما يجر من عواقب وخيمة على البائسات الضعيفات، ممن أشقاهن القدر وأحظاهن في عينه.

وهذا ما وقع لسميلي. كانت ابنة لكاذمس، ملك ثيفة في فيتا، ومؤسسها وشقيق أفروبي، حَظيّةَ أبي الآلهة. أحبها زفس بعد أن خطف إفروبي عمتها، وعلق يرتاد قصرها ويتمتع بلذة صحبتها وأنس مجالستها ورفيع أدبها.

١٢- فشقّ الأمر على هيرا وتنكرت بزي فروثي، حاضنة سميلي ووصيفتها، ولاطفتها كثيراً ثم أوحت إليها بلطف وتودد، أن تلتمس من عشيقها الإلهي أن يبدو لها في سناء مجده وضياء قدرته وجبروته. فطلبت

٩- (١) هذا النشيد لسمنيذس الكيسي.

الحبيبة من حبيبها أن يتجلى لها بكل عظمته. وعبثاً حاول زفس أن يردع معبودته عن ذلك المطلب الوخيم العاقبة. وكان قد حلف لها بإيمان مغلظة أنه يؤتيها سؤلها. وأقسم بنهر استيكس، نهر الجحيم الرهيب أنه يفي بما وعد. وإذ أصرت في الطلب حزن جداً واضطر أن يظهر لها وسط البروق والصواعق واللهيب المتأجج. فأذاب الوهج كل شيء، القصر والحدائق وكل من فيها. غير أن زِفْس أخذ جنين سِمِلي وحشره في فخذه، حتى يحين أوان وضعه وهكذا انتمى ذِيُونسُس مرتين إلى أبيه. وأحصي في مصف الآلهة.

هـ) ١٣- عنّ لزِفس أبي الآلهة أن يتجول على سواحل فنيقيا فبلغ مدينة صور وهناك على شاطئ بحرها اللازوردي، نزل عند الأصيل سرب الفتيات كأنه سرب من الحمام. وراح في هرج ومرج يسرح ويمرح على الرمال، يتسبح تارة ويستريح أخرى. وبدت بين النُهْد الكواعب إفروبي ابنة فِيْنِكْس أو أغِيْنُر ملك فنيقيا.

تأمّل زِفس تلك الأميرات وسباه حسن إفْرُوبي وبياضها الناصع الفتان ورونق محياها ورشاقة جسمها، وعقد النيّة على امتلاكها. فتقدم بهيئة عجلٍ حوليّ، وانضمّ إلى قطيع أغِيْنُر الذي كان يرعى بقرب الساحل.

١٤- ولاحظت إفرُوبي هذا العجل الوديع. فدنا منها بهدوء وظرف وشرع يداعبها بلطف. فأنست الأميرة واستحلت نصاعة جلده ومرونة وبره الكثيف. وانحنى العجل أمامها كأنه يدعوها بلسان حاله، لامتطاء ظهره العريض. وعلت الأميرة الثور فراح يَرهو بها نحو الموج. وما إن خاض في الماء، حتى انطلق كالسفينة السريعة، يشق بها عباب البحر. وإفروبي على ظهره الوثير تتلفّت في حيرة وذهول، حتى بلغ جنوب كريت.

١٥- وولج زفس نهر لِيْثِي بقرب مدينة غُرتِني، ونزل على ضفاف النهر وتجلّى لإفروبي الحبيبة. وما انفك يرعاها ويستعذب جوارها حتى أنجبت له مِيْنُس ورذامَنْثِس.

وأعجب أستيْرِيُس ملك الجزيرة بجمال إفروبي، وتمنى أن تشاركه السيادة على المملكة، فرضي زفس عن ذلك الزواج، وعاشت أميرة صور عزيزة مكرّمة، وبعد الممات رفعوها إلى مصفّ الإلهات. وعقب اختطافها بقليل انطلق أخوها كَاذْمُس يبحث عنها في أرجاء أوربا، فأوعزت إليه عرافة ذلْفي أن يكفّ عن البحث، وأن يبني مدينة ثيفة عاصمة فِيُتِيّا. فبناها وملك عليها.

و) ١٦- ولم يتورع زِفس صائن الزواج وحامي قداسته، عن هتك حصانته وعن دوس كرامته. إذ لم يكتف بإغواء العذارى، بل أمعنى في غيّه وغازل المتزوجات واتخذ أشكالاً كثيرة لينال منهن وطرا.

فقد رأى مرة لِيندا، امرأة تِنْذِارِس ملك إيْلِبُنْ، تستحم على ساقية صافية وبشرتها أنقى من الكوثر المترقرق. فأغرم بحبها وارتمى بين ذراعيها، في شكل تَمّ بديع، هارب من نسر يطارده. ذلك أن أفْرُذِيتي التي استحالت إلى إحدى الجوارح، قد تواطأت مع رب الأرباب لتنتقم من تِنْذَارِس في شخص امرأته. لأن الملك في إحدى الذبائح المقدسة للآلهة، كان قد سها ولم يقتطع حصة أفرذوتي. فحنقت وحدت زِفس إلى الاعتداء على زوجته، ولم يكُ زِفس بحاجة إلى حافز لتلبية ذاك الطلب الوخيم.

١٧- وفي الليلة نفسها عرفها زوجها، فوضعت في حينها بيضتين، إحداها من زفس الطائر الولهان، وقد حوت كاستر وبلذيفكس. والأخرى من تِنْذارِس وقد تضمنت هليني واكلتمنيسترا. فأحصي الأولان بعد حياة مجيدة حافلة بالخير، بين عداد الآلهة، ورفعا إلى السماء حيث أمسيا برجين من الأبراج السماوية، التي ضج تاريخهم بذكرها.

١٨- وهو زفس أيضاً ملكة ثيفة الفاضلة ألكميني، امرأة أمفترين. ولما خشي الإله فضيلتها، وخاف أن يبوء معها بالفشل، اتخذ هيئة رجلها وأتاها بشوشاً مستأنساً، فتقبلته بارتياح وأبدت كل غنج ودلال. فلزمها فترة طويلة ثم

قبلها وارتحل. وبعد انصرافه بقليل أقبل زوجها الحقيقي، فدهش من أعراض قرينته وإحجامها عن ملاطفته. ولما أبدى استياءه لها، استغربت أنه نسي بسرعة قصوى ما غمرته به من دلائل الحب، منذ برهة قصيرة. فاستدعى العراف ترسيس واستطلعه حقيقة الأمر، فأوضح له العراف أن زفس أبا الآلهة والبشر أراد أن ينجب من قرينته ألكميني بطلاً صنديداً يذود عن المائتين والخالدين. ووُلد المولود ودُعي هركليس.

١٩- أخيراً عرف زفس آلهات وجنيات وبشريات كثيرات جداً، خالطهن في هيئات شتى إذ استحال هكذا إلى فرخ حمام وإلى حصان أو أحد السباع. وأنجب هكذا من الأبطال تانتلس وبرسيفس وبان وتيتيس، وغيرهم عدداً لا يحصى. إذ تنافس رؤساء الشعوب ولفقوا الأحاديث لينموا أصلهم إلى رب الآلهة بالذات، الذي دعي لذلك أيضاً أبا البشر.

وربما كانت قصص كثيرة من قصص زفس تعبيراً شعرياً عن تفاعلات العناصر والظاهرات الطبيعية، ونزعة ساذجة عند كثيرين لإحراز ألقاب شرفية أثيلة.

الفصل الثالث

هيرا

شريكة زفس في الملك

١- هيرا هي أيضاً في الأصل إلهة من آلهة السماء. وما اصطراعها وزفس على ما يبدو، إلا اصطراع عناصر الكون، التي كانت تمثلها هي وزوجها إله النور.

وقد عبدوها في البدء على المشارف وقمم الجبال نظير قرينها. وغدت مع الأيام مثالا أسمى للمرأة، وقد أضفيت عليها هالة الألوهة. وتمثلوها جليلة مهيبة، تحمل الصولجان يعلوه هَزَارٌ، إشارة إلى ظروف اقترانها، وتصحبها ابنتها هيفي إلهة الشباب في ريعانه، وربات الأناقة الثلاث، والأخوات الناعمات الاثنتا عشرة.

٢- وقد شادوا لها معابد، خصوصاً في المدن الشديدة النظم كآرغس ومكيني وإسبرطة. وقد كانت تكره شعور آسيا وتحالف أعدائهم، وقد غدت إلهة مكرمة عند الرومان، ودُعيت باسم يُونو. ومن الأضاحي التي تقدم لها، الأغنام الحولية والخنازير، وامتنعوا تماماً عن تضحية البقر لها، لأنها في حرب العماليق هربت إلى مصر واستترت في إهاب بقرة.

٣- وُلدت هيرا على ما يزعم أهل سامُس في جزيرتهم، وقد عطفت الفصول أو الساعات إهُوْرِه على طفولتها. وترعرعت في جزيرة إيفيا.

حيث لقيها أخوها زفس وخطب ودّها كما رأينا. وعقدا إكليلهما في قصور أولمبس بأبّهة عظمى وحفاوة ما بعدها حفاوة. فوضعت على رأسها تاج السيادة، وجلست على عرش عسجدي متألق كالشمس واشترك الآلهة طراً في الاحتفال.

إلا أن هيرا لم تلقَ السعادة الكاملة، إذ ما ونى زوجها يخونها، مع كل أمانتها وسحر جمالها الخارق. وأنجبت له أربعة أولاد آرس إله الحرب، وهيفستس إله الصناعة، وهيفي الغضّة إلهة الشباب في أصفى رونقه وروعته. وإليثيا ربة الولادة وأوجاع طلقها. وكل سنة كانت هيرا تقصد ينبوع كانثس بقرب نفبليا أو نابلي الحالية من أعمال رومانيا، وتستعيد بها بكارتها.

٤- ولو شاءت الانزلاق وركب مركب الهوى، لما خانتها الظروف أو فاتتها الفرص. لأنها أحرزت من الفتنة مقداراً كان يسبي عقل رب الآلهة نفسه. إذ ما انفك يقول عندما كان يتأمل مدّهنة معطرة مزدانة: "ما استأثر الحب بمشاعري، ولا سيطر الوجد على شغاف قلب في هوى إلهة أو هوى فانية، سيطرته عليّ عندما أشاهد بهاء هيرا شريكة حياتي".

وقد دعي إكسُين ملك اللابثه ذات يوم إلى مأدبة عند الآلهة، ولما رأى هيرا وجمالها الفائق، فُتن بسحرها وخُلب لبّه، فرام معانقتها، فكوّن زفس إزدراء به غمامة بشكل هيرا ودفعها إليه. فلما شاء مخالطتها في جنون هيامه، ربِط بدولاب ملتهب وقُذف به وإياه في أرجاء الفضاء، جزاء قحته ومحاولته الآثمة.

٥- ولما كانت شديدة الأمانة، تسهر على قداسة الزواج، وتنفر من تفكك الأخلاق، احتدم الخلاف بينها وبين زفس بعلها الخليع، في بدء حياتها الزوجية، واشتد النزاع مرة فهجرته وعادت إلى الأرض إلى بلاد طفولتها. فاحتال عليها أبو الآلهة ليعيدها إلى أولِمبُس، واصطنع تمثالاً بهياً وأمر أن

يُطاف به وأن يذاع في كل مكان، أن هذه خطيبة جديدة لزفس أبي الآلهة. وخُدعت هير بألعوبة زوجها، ودنت من العربة حاملة التمثال، وراحت بغضب متقد تمزق ثياب الضرة الغاشمة، التي تجرأت على منافستها وعلى احتلال مكانها. ولشد ما كانت دهشتها حينما تبينت غلطها، فقفلت راجعة إلى السماء.

٦- ولما رسخت قدمها، وتوالت خيانات زوجها، عقدت النية على خلعه ودفع سلطانه إلى آخر بمؤازرة بُسِيذون وأثِنا وأبُولن، وكبّلته بالسلاسل وقضت على سلطته نهائياً، لولا أن تِثِيْس عمته أسرعت وانتشلته من تلك الورطة واستدعت افْرِيارِئُس -أو كما يسميه البشر إغيْئُس- إلى نجدته[1] ونصرته. فجاء ذلك الجبار مختالاً مسيطراً، وجلس إلى جانب زفس رب الآلهة، الذي قمعته هيرا واذلته. فلم يعد أحد يجرؤ على مناوأة زفس أو التطاول عليه.

٧- وحسبت هيرا مولد أثِنا من رأس زفس إهانة شخصية لها. فوطدت العزم على أن تلد هي أيضاً مولوداً قديراً، دون مخالطة زوجها. فابتهلت إلى السماء والأرض وسألت التيطان المحبوسين في دياجير تَارْتَرُس، أن يؤتوها هذه البدعة. فأوتيت طلبها وأنجبت وحدها تِفُونَ، ذلك الثعبان الرهيب الذي جرّ على البشر ويلات كبرى وحسرات.

٨- وقد جرت محاولات التمرد تلك على هيرا عقوبات شديدة. فقد انهال عليها زفس يوماً باللكم والضرب، فأشفق عليها ابنها هِيْفِسْتُس، وانبرى ليدفع عنها زوجها الثائر. فأخذه أبوه برجله وقذف به في الفضاء من ذروة أولِمبُس. فسقط على الأرض وتهشمت ساقاه، وبقي أعرج مدى الدهور. واقتص زفس مرة أخرى من قرينته، فربط يديها بسلسلة من ذهب، وشد إلى قدميها سنداناً ثقيلا، وعلقها على ذلك الوجه في السحب.

---

(١) راجع١: ٢: ٣ ثم ١: ٣ ٣- ٣.

٩- فارتدعت هيرا عن ثوراتها، ولكنها صبت جام غضبها على البائسات المائتات اللائي حظين بمودة قرينها. فقد اضطهدت إيُو، وأحرقت سمِيلي. بلهيب زوجها المتجلي، وبلت إنُو شقيقة سميلي بلية كبرى، لأنها حنت على طفولة دِيُونسُس الذي خرج من فخذ أبيه أبي الآلهة والبشر.

ولم يقتصر حقد هيرا على حظيات بعلها، ولكنه تعداهن إلى كل منافس أو مناوئ لها. فقد أحالت شعر أَنْتِغُوني ابنة لَئُمِذُن إلى حيات، لأنها افتخرت وفضلت شعرها على شعر ربة السماء.

١٠- وقد ضربت ابنتي ابْرِيْتُس ملك آرغس بالجنون والبرص، لاحتقارهما تمثالاً لهيرا مصنوعاً من خشب. ولم تنالا الشفاء بعد أن طافتا أرجاء المملكة ترتديان أطماراً بالية، إلا بعد تنازل أبيهما للساحر ميِلَمْبُس عن ثلثي مملكته. وقد نكبت بلداً بأسره لأن باريس قد مسّ خيلاءها عندما أعطى الأفضلية للزهرة أفْرُذيْتِي، في مباراة جمال، جرت بينها وبين الزهرة وأثِنا.

الفصل الرابع

أثنا

إلهة الطهر

١- هذه الإلهة هي ابنة زِفس المفضّلة(١). وقد أثار مولدها الغريب دهشة أهل السماء، وأثار عطف زِفس عليها ورعايتها لها، غيرةَ بعض الآلهة ونقمتهم الخفيّة المكبوتة. كما أثار سخط هيرا، فشاءت أن تلد هي أيضاً مولوداً عظيماً تنفرد في إنجابه، فوضعت هولةً ووباء.

٢- لما تخوّف زِفس من إنذار الجدّين الأوّلين الأرض والسماء، وتحسّب لغير الدهر وصروف القدر، ابتلع قرينته ميُنِس، وازدرد هكذا الفهم والذكاء والحكمة والدهاء. ودار الزمان دورته وآن الأوان الذي كان يُنتظر أن تضع فيه قرينتهُ المبلوغة مولودها، فشعر أبو الآلهة والبشر، بصداع أليم لا يطاق، واستدعى ابنه هِيفسْتُس وشكى له حاله وقال: "تشدّد يا بني ولا تخف أن تنفّذ ما آمرك به. خذ فأسك وشق رأسي، فعلّي أرتاح من ألمي المبرح ووجعي الذي لا يطاق".

٣- ذعر الإله الحداد من ذلك المطلب، وظنّ أن والده يتربّص به شراً ويدسّ له دسيسة. فرفض وانقلب راجعاً إلى مصنعه، فاحتدم أبوه

---

(١) وتدعى عند الرومان منرفا.

غيظاً ولما عرف مخاوفه، طمأنه من جديد وألح في الطب. ولما انفلق رأس زِفس برزت إلهة ساطعة كأنها نجمة الصبح، ممشوقة القد بديعة المحيّا، يتلألأ ناظراها كفرقدين في السحر، تحمل الدرع والمذراق، وثيابها ناصعة منمّقة في منتهى الفن.

٤- بدت تلك الإلهة على ذلك الوجه الخلاب، فضمّها أبوها بكل حنان وجعل يقبّلها بكل حب. ولما شاهدها الأرباب سطا سحرها على القلوب وخلبت مفاتنها الألباب، فزلزل أولِمبس من بزوغها وارتجّت الأرض والسماء، واندفعت الأمواج من مرابضها إلى قلب الفضاء. ولما رآها آرس بسلاحها، خشي في شخصها منافسة عنيدة. وبعد فترة من الزمن، اشتد الحسد في قلبه لاسيما بعد أن عرف بأسها الشديد، وجعل يقرّع أباه قائلاً: "لقد أنجبت ابنة حمقاء، همّها التخريب والإساءة، وهي ممعنة في العصيان والجسارة، بينما ننقاد نحن لكل إشارة وأنت موافقها على غيّها، ولا تردعها في كبيرةٍ أو صغيرة".

٥- اشتهرت أثِنا عندهم بالبطش والقوة، وقد أدّت لأبيها في حرب العماليق أخطر الخدمات وأجلّها. مما زادها حُظوة في عينيه، وضاعف حبها في قلبه. فقد أجهزت على بَلاس، أحد الجبابرة الصناديد الذين نازعوا أباها الملك وسلخت جلده، واستمدّت منه درعاً واقية. وحملت بمركبتها وجيادها الأربعة على العملاق أنْكِلاذِس، وفتّت في عضده وكبلته بسلاسل الخزي تحت جزيرة صقلية. وانبرت لآرس إله الحروب، مختالة على مركبة ذِيُمِيذِس وصرعته بضربة رمح، لما عادت أهل اطروادة وناصرت شعوب اليونان.

٦- وإذ اشتهرت بالفروسية والمفاخر الحربية، فقد ذاع صيتها لمهارتها في الصناعة والحياكة وبعض العلوم أو المعارف المفيدة. فقد اطلعت أهل القيروان على فن ترويض الخيل وبينت لأرٍخْثُونِيُس كيف يشدّ

الخيل إلى مراكب الحرب، وأشرفت على بناء سفينة أرْغُو، وركّبت دولاب الخزاف، وصنعت الأواني الأولى، وعلّمت النساء الغزل والحياكة. وقد لجأت إليها هيرا لتطرز لها ثوباً بديعاً فاتناً. فقد كانت مغرمة بفنها هذا ولا تقبل فيها منافساً.

ويُحكى أن فتاة من لذيّا اسمها أراخْني -أو عنكبوتة- مهرت في ذلك الفن، وفاقت كل فنانة أخرى، حتى تحدّت أثِنا نفسها. فظهرت لها الإلهة بهيئة عجوز وحرّضتها على العدول عن تحدّيها الذي لا يليق. ولما أصرّت الفتاة على موقفها، بدت لها الإلهة كما هي، وقبلت مباراة الفتاة. فرسمت أراخني موضوعاً دقيقاً، يتناول غراميات الآلهة ومضت تطرّزه بإتقان. ولما فرغت من عملها الفني عرضته على نِدّتها أثِنا. فأكبت الإلهة تنعم النظر فيه ولما تأكدت أنه لا عيب فيه، حنقت وأحالت أراخني إلى عنكبوتة، تُفرز الخيطان من جسمها وتحيكها في حركة دائمة.

٧- وقد عزوا إليها اختراع المزمار. وذلك أن الإلهة أثِنا بعد أن قتَلت الغرغوانة مِذُوسا، أرادت أن تصوّر زفير الهولة القتيلة. فاستنبطت تلك الآلة السمجة. وانبرت في محفل الآلهة تنفخ فيها بحماس. ولما رأى الآلهة خدودها منفوخة علقوا يهزؤون ويسخرون. فحنقت أثِنا ونرفزت ورمت بتلك الآلة البشعة. ولما التقطها الصَطَر مَرْسيَّس اقتصت منه الإلهة بشدة.

ويقال أيضاً إن أثِنا بعد قتل الهولة مِذُوسا، تلقّت دماءها في وعائين، وأهدتها لأسْكْلِبيُوس. دم الوريد الأيمن في وعاء، ودم الوريد الأيسر في وعاء، لأن الأول يعيد إلى الحياة والثاني يورد مورد الموت. وقد أحيت هكذا المهندس امْنِسِكْلِبس بعد أن رفع من شاهق، وهو يشرف على بناء الأروقة التي تجمل هيكلها في أثِينا.

٨- وعطفت أثِنا على المدن كما عطفت على الشعوب. وكل شعب حوى تمثالاً لها أو لصديقتها المحبوبة بَلاس، كان لا يقهر في الحروب. ولهذه

التماثيل الصغيرة روايات، منها أن أثِنا ذات يوما كانت تلاعب بَلاس ابنة مربّيها أتْرِتونيُس، فقتلتها دون ما تعمّد. وشق عليها الأمر كثيراً، فنحتت في جذع شجرة تمثالاً لحبيبتها الراحلة، يمثّلها أفضل تمثيل. ووضعت التمثال أمام زِفس، فألقى به زِفس على أرض إيْلِيُن. وبنى له إيْلُسُ هيكلاً، فكان حرزاً ووقاية منيعة للبلاد. ولم يستطيع اليونان أن ينالوا من عزّة اطروادة، حتى سرق اذِسّفْسُ وذيُمِبذِس ذاك التمثال الغالي، فانخلع قلب أهلها، وسطا عليهم اليونان ونكبوهم أيّة نكبة.

٩- أحبت أثِنا اليونان، وفضّلت منهم شعب أثينا. فهي إلهتهم المعبودة وشفيعتهم المشفّعة، وباسمها دعيت مدينتهم. ومن أفضالها الكبرى عليهم هبتها لهم شجرة الزيتون. وذلك أنها تنافست ذات يوم هي وبُسِذُون إله البحار، وطالبت أمام كِيْكْرُبْس، أول ملك على أثِنا، بحماية الأتِكي كإلهة خاصة وشفيعة، فضربت الصخر برمحها وانبتت شجرة زيتون. وأما يُسِذُون فأخرج من الأرض برمحه المشعب جواداً شامساً. فنصرها الآلهة، لدى التحكيم، على خصمها. وغدت هكذا أثينا شفيعة محبوبة ونصيرة.

١٠- وهي في نظرهم، إلهة الحرب وإلهة السلام العادل أيضاً. إنها إلهة الذكاء والفهم، وطائرها المفضل هو البوم، لأنه يخترق الليل بنظره الحاد، كما يخترق الذكاء ظلمات المجهول وديجوره. وهي علاوة على ذلك إلهة العمل كما رأينا. وإلهة الفلسفة والفنون الجميلة والآداب. وفوق هذا كله فهي عندهم الإلهة العذراء الطاهرة. وقد دعوا هيكلها في رأس مدينتهم البَرثنُون أو هيكل العذراء شاده لها ابن هِيْفِسْتُس إرِخْثِفس، عندما تبناه كِبْكْرُبْس وأضحى ملكاً على أثينا، اعترافاً بفضل الإلهة التي حدبت عليه وربته واعتنت بأمره.

١١- وقد أقام لها أعياداً، أشهرها الأثِينئا. وقد نظّمها بعده ثِسِفْس، وأطلق عليها اسم بَنْاثِيْنِئا، أي أعياد أثِنا الحافلة، يشترك فيها كل الأثينيين في

تطواف فخم، وألعاب مختلفة فروسية ورياضية، وحفلات أدبية روائية وشعرية وموسيقية. وكانت هذه الأعياد الكبرى تقام كل أربع سنوات، وتجري فيها مباريات ومنافسات في الرياضة والرواية على تعدد أنواعهما. ويهبون المنتصرين فيها جوائز مختلفة، من جملتها أكاليل من ورق الزيتون. وقوارير من الزيت المقدس.

١٢- ويزفّون للإلهة في تلك الأعياد البِبْلُس الشهير، وهو رداء فضفاض جميل وثمين جداً، تعنى بحياكته وتطريزه فتيات شريفات في أثينا مدة أربع سنوات، ليكون جاهزاً في أعياد أثنا الحافلة. وبعد إنجازه كنّ يضعنه على سفينة سحرية، تموج على اليابسة بجهاز سري. وغبّ عرضه على تلك السفينة ليرى الجميع مآثر الإلهة مُطرّزة عليه، ويقرأوا أسماء الأبطال الذين حمتهم، ومشاهير الرجال الذين أغاثتهم، يحملنه من الكِرَمِكُوس وهو محلّة كبرى في أثينا، مزدانة بالهياكل والأروقة الجميلة والملاعب والمسارح، يأخذنه إذن ويصعدن به في موكب فخم على البَرْثِنون في قمة المدينة، وهنالك يقدمنه للإلهة العذراء.

١٣- وكما خصت الشعوب برعايتها وعطفها، خصّت الأبطال أيضاً بعونها وحمايتها. وقد دافعت عنهم، لأن هيرا قستهم وتحاملت عليهم، كما قست أمهاتِهم وتحاملت عليهن. فلمّا باشر هِرَكليس بن زِفس وألْكْمِيني أعماله المجيدة، لزمته أثئنا وناصرته وبلّغته الهدف. فهي التي أعطته صنوجاً من نحاس زجر بها طيور بحيرة اسْتِيْمفلُس. وهي التي رافقته إلى الجحيم عندما قمع فيها كلبها الشرس وحارسها كِيْرفِرُس، وجاء به إلى الأرض. وهي التي في نهاية مطافه، استقبلته على أعتاب السماء ودخلت به محفل الآلهة. ولذا اعترف البطل بفضلها وقدّم لها كآي شكرٍ وإكرام ومحبة، تفاح الذهب الذي جناه من حدائق المغربيّات في أقصى المغرب.

١٤- وحمت أثِنا برْسِفس بن زِفس ودَنَاءي، في حملته على الغُرْغُونسٍ، ولما حوّل نظره عن الهولة لئلا يستحيل إلى حجر، سدّدت أثنا يده ليحزّ عنق العجوز البشعة، ويقطع رأسها الثعباني. وقد أهدى في ما بعد الرأس المخيف إلى ربّته ونصيرته، فوضعته على ترسها لتجمّد وتيبّس كل من ينظر إليه.

وأصل العداء بين أثِنا ومِذُوسا إحدى العجائز الثلاث، إن هذه خلافاً لأختيها كانت على شيء ساحر من الجمال، فأحبها بُسِذُونُ لبهائها ورونق شعرها الطويل. فاستحال على عقاب وخطفها. ووقع بها في أحد هياكل أثنا وعرفها هناك. فاشمأزت الآلهة صاحبة المقام، وفي سخطها على انتهاك قداسة المكان المقدس، جعلت سحنة مِذُوسا مُنْكرةً شنيعة هائلة. وأحالت شعرها الجميل إلى حيايا زافرات.

١٥- وساعدت أثِنا فِلرُفُونَ عندما وطّد العزم على قتل خِيْمِرا، تلك الهولة الضارية التي لها من الأسد رأسه ومن تيس المعز جسمه، ومن التنين ذيله. وهي ترمي بالحمم من فيها والشرر من عينيها. فأهدت الإلهة البطلة لجاماً من ذهب، ليمتطي به بِيْغَسُس، ويُجهز على الوحش المفترس.

وأخيراً درأت المخاطر عن أذِسفْسَ في عودته من اطروادة على إثاكي موطنه. ولما تاه في البحار زمناً طويلاً، ومضى تِلِيْمَخُس في طلبه، بدت الإلهة في هيئة مِنْتُرَ الحكيم، وسدّدت خطاه إلى مقر أبيه المفدّى.

١٦- ولم تُبدِ أثِنا لأصدقائها من البشر تلك العناية وذلك العطف إلا لكرم أخلاقها وطيبة قلبها. ولم تنسق إلى ذلك بعامل الهوى أو الشهوة المنحرفة المسيطة على الآلهة والبشر. لأنها وحدها بين سكان السماء أغرِمت بالطهارة كما أغرم غيرها بالعهارة، وحافظت على البتولية بكل حرص محافظتها على أنفس الكنوز وأكرم الجواهر وأقدسها.

ولذا بينما كانت تستحم ذات يوم مع وصيفة لها من الجن في إحدى البحيرات، مرّ بها اتفاقاً العراف تِرِسِيَّس. ولما أبصرها بلته الإلهة بالعمى، لغلطةٍ لا تعمّد فيها. وعبثاً تدخّلت الجنية خرِكْلُو في الأمر، وطلبت العفو عن العراف البائس، فلم تلن الإلهة ولم ترجع عن قرارها، ولكن نظراً لحسن نيته منحته روح العرافة: فغدا مكفوف البصر مرهف البصيرة.

١٧- وشُغف هِيْفِسْتُس بأثنا أخته وراودها كثيراً وحاول جرها إلى مأربه. ولكنها كرهته واشمأزت من مناوراته. وذات يوم قصدت مصنعه والتمست منه بعض الأسلحة، فأمسك بها وشاء اغتصابها. فهربت مُغضَبَة مهدّدة صاخبة، وأبدت له كل ازدراء ونفور. لكن الإله الأعرج لحق بها وكاد يكرهها. فدافعته ومنعته أخيراً ولم يقض منها وطرا، بل أفسد على الأرض الجدّة الكبرى، فولدت له في الأوان إرِخْثُونِيس. فأخذته أثِنا وعهدت بتربيته إلى بنات الملك كِكْرُبْس. لكن الإلهة دفعته إليهن في صندوق، وأمرت البنات الثلاث أن لا يفتحن الصندوق. فتقيّدت واحدة بالأمر، وأما الاثنتان فحداهما الفضول إلى فتح الوعاء. ولما رأتا ثعباناً ملتفّاً حول الرضيع اعتراهما الجنون فطّوحتا بنفسيهما من أعلى الحصن في رأس المدينة. وأما الولد قد شبّ وترعرع وملك بعد كِكْرِبْس على أثينا، وحوّط إلهته المحبوبة وحامية طفولته، بالتجلّة والعبادة والإكرام.

الفصل الخامس

آبـولـن

إلـه النور والفن

١ً - مولد أبُولُن وتأسيس هيكله في ذلْفِي

١- لا يُعرف بالضبط شيء من أصل اسم هذا الإله. وهو عندهم أبهى الآلهة وأكثرهم ضياء ورونقاً وإشعاعاً، ولا عجب لأنه إله النور وضياء الشمس، ولا اختلاط له بجرمها أو امتزاج، لأن الشمس كنجم أو فرقدٍ سماويّ إلهٌ خاص، يدعى هِيْلِيُس، يركب مركبته ويجوب أجواز الفضاء وينير الأرض والسماء.

وبما أن أبُولُن إله الضياء، فهو الإله الذي يميت ويحيي، مرسلاً سهامه كأشعة الشمس. وهو إله الزرع والضرع ينمي النبات ويحمي القطعان: إذ يقتل الجرذان والحشرات الضارة بالزرع، ويقصي الوحوش الضارية الفاتكة بالضرع.

إنه إله العرافة خصوصاً والإنباء بالغيب، وأشهر معابده في جزيرتي ذِيْلُس وتِيْنِذُس، وفي مدينة اكْلارُس، من أعمال إيُنيّا، وبَاتَرا في لِكيّا، وتلَّة بَلَتِيْنُس في روما، وكِيْمِي من أعمال كَمْبَانيا وذِلْفِي من أعمال فُكِيْس.

٢- ففي تلك المعابد كلها، ولاسيما في معبد ذِلْفِي، كانوا يستشيرونه ويستمدّون منه العون والتأييد، لمباشرة أعمالهم الخطيرة، من رحلات وحملات واستعمار أرض، وبنيان الصروح والعمارات، ووضع الشرائع

والقوانين. ومن ثم فقد عدوه إل البنائين وإله البحار، وعلاوة على ذلك كله، فقد كان إله الموسيقى، وإله الطرب والغناء، يضرب على القيثار أو الناي، ويبهج مع جوقته مجالس الآلهة وولائمهم.

٣- ويزهو أبُولُن بين الآلهة بجماله الرجولي، كما تزهو أثِنا أو أفْرُذِيتي بالجمال الأنثوي. تصوّروه بهيئة شاب بهيّ الطلعة نقيّ المحيا، أجرد ذي شعر طويل يداعبه النسيم، وتمثّلوه تارة عارياً وطوراً مرتدياً جلباباً موشّى، والقيثارة بيده أو إلى جانبه. شاراته الرمزية القوس والجعبة وعصا الرعاة والقيثار. وحيواناته المحببة التَمُّ والباز والعقاب والغراب، والديك والصرّار والذئب والأفعوان. أما النباتات التي تسره فهي الدِلْفة والزيتونة والنخلة والطرفاء.

٤- أمه لِتُو البيضاء ابنة كِيُس وفِيْبي، وقد عاشرها زفس وصاحبها قبل اقترانه بهِيرا أم الخف العسجدي. هذا ما زعمه هِسِيُذُس وهُومِرُس ولكنهم صوروها في ما بعد كسريّة لزِفس، وقد نكّلت بها هيرا تنكيلاً ولاحقتها واضطهدتها.

فلما حملت لتُو بعد مخالطة زفس، ودنا وقت وضعها، رامت لها محلاً لائقاً لتضع ابنها الإلهي. فسألت بقاعاً كثيرة الواحدة تلو الأخرى واستأذنها بذلك. لكنها كلها رفضت على رحبها واتساعها، تحسّباً من سخط هيرا. وهكذا لا الأتّكي ولا إيفيا ولاثْرَاقية ولا جزر البحر قبلت أن تؤويها. ولم يوجد أخيراً غير أسْتيْرِيا أختها لتجرؤ على ضيافتها. وذلك أنّ أستِيريا عندما لاحقها زفس، استحالت أولاً إلى سمّنةٍ ثم على جزيرة جميلة.

٥- قرّت عصا الترحال بلِتُو في جزيرة ذِيلُس العائمة على وجه الغمر، ولكن صعوبة كأداء كانت تعترض ولادتها. لأن هيرا أقسمت بنهر استِكْس، أنّ منافستها لن تلد إلا في الظلام. فنصب بُسِذُون مياه البحر كقبة فوق الجزيرة، ودعم الجزيرة بأربع أعمدة، إذ ما برحت تموج حتى بعد أن شدّها زفس إلى القاع بسلاسل من ألماس.

ولم حُمَّ الأوان حضر الآلهة ليساعدوها في الولادة، وتخلفت هيرا وحدها واستبقت عندها قابلة الآلهة إِلِيْثيا، تسعة أيام وتسعَ ليال. ولتو تعاني في تلك الغضون آلام الطلق المبرحة، حتى أشفق عليها الآلهة، فانطلقت إيرِس سفيرة الخالدين وصديقة هيرا ووصيفتها، ونجحت في وساطتها، وأحضرت القابلة المتخلفة. "وعندئذ أمسكت لتُو بجذع شجرة، ووطئت بركبتيها المرج الأخضر وابتسمت لها الأرض تحتها، وطفر أبُولّن إلى النور. فصاحت الإلاهات من الفرح، وأخذت فِيبُس المتألق، وغسلته بماء مترقرق في صفاء البلور وألبسته ثوباً ناصع البياض، وشددن خصره بحزام من نضار[١] وبعدما وضعت مولودها الذكر، عادت وأعقبته بأختٍ له هي الإلهة أرْتِميس أو ديانا عند الرومان.

٦- بعد مولد أبُولّن وأرْتِميس، خافت لتُو مكايد هيرا الثائرة، فهربت إلى بلاد التْرِميت، في لِكيّا إحدى مقاطعات آسيا الصغرى إلى جنوبها الغربي. ولما أفضت إلى ضفاف بحيرة صافية الأديم، وقد بلغ منها الضنى والتعب كل مبلغ جلست على شاطئ البحيرة، في ظل شجرة وارفة والتمست من رعاة هبطوا بقطعانهم إلى البحيرة، قليلاً من الماء تروي به غليلها. فما اكتفى الأوغاد بالرفض، ولكنهم أقبلوا على المياه العذبة يعكرونها ويثيرون أوحالها الراكدة. وعندئذ استشاط غضب الإلهة، فأحالتهم وقطعانهم إلى ضفادع حقيرة تنق في الغسق على ضفاف البحيرة.

٧- وأبولن في صغره، لم ترضعه أمه، خلافاً للأطفال الآخرين. لأن ثميس جدته مسحت شفتيه الناعمتين برحيق العنبر، وأطعمته النكتار طعام الآلهة. فرمى بقمطه جانباً، وأحرز قوة اليافعين من الرجال، وما عتمّ أن استعملها في قتل بثون تلك الأنثى الرهيبة من الثعابين، وقد ولدتها غيئا الجدة الأولى، لتحضن تِيفُن التّنين الضاري.

٥- (١) من نشيد يعزى لهومرس.

كانت هيرا في اتقاد غضبها قد قررت أن تغتال لتُو عدوتها الكبرى، فأطلقت بِثُون من جحرها لتهجم على لتو وتنفث سمها في أعضائها الغضة، وتميتها وتقتل معها ولديها. ولكن بُسذُون حماها وطفليها، فارتدت الحية إلى سفح جبل بَارْنَسُس، فاشلة خاسئة هي والتي أرسلتها.

٨- وما كاد أبولن يبلغ اليوم الرابع من عمره، حتى تشدد وترعرع فهب كالشبل وانطلق يبحث لنفسه عن مكان يشيد فيه هيكلاً ليعبده الناس. فتسلح بما سن له هيفستس من سهام، واندفع يجوب الآفاق ويقطع البحار، حتى بلغ اكْرِسّا. وهناك أشارت عليه جنية اسمها تلفوسا، رامت المحافظة على مقاطعتها، بأن ينحدر في فجّ بارنسس الموحشة، كانت تأوي إليه الحية بثون. وعندما رأت الأفعى الضخمة الإله، انقضت عليه بضراوة. ولكنه بسرعة البرق رشقها بأحد سهامه المحرقة، فصعقت في مكانها. ولما استعادت شيئاً من القوة، انسابت إلى أجمة قريبة، وجعلت تتلوى من الألم الكاوي، وما عتّمت حتى لفظت أنفاسها القذرة، وسط نهر من الدماء. فجاء الإله الطفل وركسها برجله، قائلاً: "افطسي الآن حيث أنت يا لئيمة، لأنك تحاملت على من لا ذنب له. فليهلك مثلك كل رجس شرير".

قال ثم اعتزل في وادي تمبي، في مقاطعة تسليا، ليكفر عما لحقه من نجاسة، في مقتل الأفعى بثون. ولما قضى سنة التكفير عاد مظفراً يواكبه رهط من كهنة الأرض، إلى مقامه المفضل إلى خليج ذلفي. وقد مثلوا انتصاره وتكفيره، في عيد سبتيريا. وقد أقاموه كل تسع سنين.

٩- ولما اختار تلك البقعة الوادعة، بنى لنفسه مذبحاً في غابة ظليلة مقدسة. ثم علا هضبة وراح يسرح بصره إلى طرف الأفق، فوق اللجة اللازوردية، المتألقة بأنوار الأصيل، المشربة من ضيائه العسجدي. وإذ لم يكن له من يشرف على هيكله وشعائر عبادته، رأى على الغمر السحيق، مركباً يتهادى فوق اللجة. فدنا أبولن من السفينة، بهيئة ذلفين وديع، وارتمى على جسرها بين النوتية. فلما رأى البحارة الحوت الصغير بينهم "جزعوا

وأخذهم الذهول. وقفز الحوت إلى البحر، ولم ينقد المركب بعد للقبطان، بل شرع يسير وراء الذلفين، إلى أن بلغ الشاطئ. وحينئذ تجلى لهم أبولن بجماله الإلهي، وأقامهم سدنة لهيكله، وكهنة يشرفون على عبادته. وكرّمهم إكراماً وأسبغ عليهم فيضاً من الخير والنعم.

١٠- وخصّ بعنايته كاهنته العظمى، التي دعيت باسم بئونسا نسبة إلى الأفعى بثون. لأنه بعد مقتلها، سلخ جلدها ولفّ به منصباً، كانت تجلس فوقه كاهنته العرافة. وقام هيكل أبولن في ذلفي، إلى جوار كهف مشقق، عميق الشقوق جداً. وبين الفينة والفينة كانت الأبخرة تصعد من تلك الشقوق، فتجلس بئونسا فوق منصبها، ويستولي عليها روح العرافة، وتأخذ تتنبأ في سيل من الكلام الغامض المتقطع، يلتقطه الكهنة ويضمون أطرافه، ويؤدونه جواباً لمن يسألهم عن الغيب، من الحجاج والزائرين.

٢ً- بطولة أبولن

ومقامه السامي بين الخالدين وعبوديته

١- عرف أبولن بمآثر جليلة ومفاخر كثيرة. فإذا رمى الهدف بنباله فهو لا يخطئ. وتطاول مرة إفيالتس وأخوه أوتس على هيرا وأرتميس، وعزما على اختطافهما للاقتران بهما عنوة. وجددا محاولة التيطان، وقصدا فتح أولمبس وشرعا ينقلان الجبال إلى الجبال، ويركمان التلال فوق التلال. وإذ شعر الخالدون بذلك، انبرى أبولن للعاتيين الفاحشين، ورشق كلاً منهما بنبل قتال، فأحبط المؤامرة الجريئة، وصد الجبارين عن قصدهما. وعلم أبولن ذات يوم، أن العملاق تينيس تجاسر على والدته لتو ونال من شرفها، فأجهز عليه في ثورة غضبه، وأعدم السفيه الحياة.

٢- وسطا على ممر يؤدي إلى ذلفي جبار شديد اسمه فُرْفاس، ما انفك يسلب الحجاج زادهم، ثم يدعوهم إلى المبارزة، فيصرعهم وينكّل بهم ويقتلهم.

فتصدى له الإله بهيئة مصارع، وقضى عليه بلكمة على أنفه أفقدته النسمة. واشتبك يوماً أبُولن مع هِرَكليس، لأن البطل المغوار سأل العرافة عن أمر فلم تستطع تبيانه. فحنق ابن زفس وحمل منصب العرافة ومضى به. وبينما هو في الطريق، عارضه أبولن، ورام انتزاع كرسي النبوءة. وحميت المعركة بين أبولّن وخصمه القهّار، حتى تدخل الوالد في الأمر وراضى هذا وذاك وأمّن الصلح بينهما.

ولما اعتدى أغَممْنُن تحت أسوار إيْلِيُن على كاهنه أخْرِيْسِس، سلّط أبولّن نباله مدة تسعة أيام على جنود أغممْنُن، وأنزل منهم فيالق إلى دياجير الجحيم.

٣- ونظراً لكماله السامي وجماله السابي العقول، احتلّ أبُّولن في السماء مكانة مرموقة عالية، وعطف عليه أبوه زِفس، وحوطه بدلائل الإكرام فإن دخل مقرّ الآلهة، نهض له المحفل كله، وأقبلت عليه لِتُو أمّه، وانتزعت منه الجعبة والقوس، وعلقتهما بأسطوانة العرش. وبش له أبو الآلهة وقدم له بإكبار، العنبر ورحيق النكتار، في كأس من الذهب النضار.

إلا أن رب الأرباب فرض على ابنه المحبوب عقوبة قاسية شديدة في ظرفين أليمين، تمرّد فيهما أبُولّن وعصا أوامر القدير.

٤- ذلك أنّ أبُولّن تحزب لعمّته هيرا، لمّا نقمت على زوجها لإمعانه في الخيانات، والبت عليه الآلهة. فقضى زفس على بُسذُون وعلى ابنه أبُولّن، أن يخدما مدة عام ملك اطروادة لَوُمِيْذُن. فكُلّف إله البحر ببناء الأسوار، وعُهد إلى الإله الراعي برعاية القطعان. ولما انصرم زمن الخدمة، امتنع الملك لَوُمِيْذُن عن أداء الأجرة المستحقّة. فسلّط أبُولّن وباء على رعية الملك، وسلّط بُسِذُون تِنيناً على الحيوان والبشر، فهلك أناس كثيرون في جشع ملكهم الشرير.

٥- وغضب أبو الآلهة زفس، من ابنه أبُولّن لأنه قتل العمالقة الثلاثة الهائلين، أرِغيْسَ وافْرُنْتِبْس واسْتِرُبِيْس، أي البرق والرعد والصاعقة انتقاماً لابنه اسْكْلِبْيُوس. ذلك أن أسْكْلِبْيُوس برع ولمع في الطب، وأتقن كلّ فنونه،

حتى شفى الكثيرين، وأقام الأموات أنفسهم. فخشي زِفس حفيدَه، وخاف أن يلبث البشر مخلّدين على الأرض، فلا ينحدر منهم أحد إلى هاوية الجحيم، فتقفر مملكة أخيه آذِس. فأمر العمالقة الثلاثة بصنع صاعقة خفية رشق بها أسْكْلِبْيُوس، ولمّا انتقم أبُولّن، نفاه أبوه في حنقه وأخضعه لملك فِرِيْة. فاخلص الإله الخدمة وساعد الملك آذْمِتُس، وسهل اقترانه بألْكِسْتِيس، ابنة بِلِيْس أحد ملوك ثِسَّلِيّا، إذ علمه كيف يروض الوعل والأسد، ويشدهما إلى عَجَلة، وهذا هو الشرط الذي فرضه الملك أبوها على من رام خطب ودّها.

٦- وفي زمن عبوديته عند الملك آذْمِتُس، كان أبُولّن يجلس في الغابات ويلعب بقيثاره، فيسبي السامعين بسحر فنه، فيقبلون نحوه يصغون إليه بكل انشراح، من البشر كانوا أم من الحيوان. فتتجمع هكذا حوله وحوش الغاب، ويخالط النمر الغزال، والأسد وعول الجبال. وبينما هو على تلك الحال ذات يوم، انبرى له الصَطَرُ مَرسِيَّس، ورام مباراته بمزماره، وقد التقطه بعد أن رمت به أثِنا، وأتقن العزف به وبرز. فحُكّمت إلاهات الموسيقى وبعض أصحاب الفن والطرب، ومن جملتهم ملك افْرِغيّا مِيْذَس. فحكم الجميع لأبُولّن بالتفوّق، إلا مِيْذَس وقد حكم لِمَرْسِبّس. فبدّل الإله أذني الملك بأذني حمار، وعلّق الصَطر المكابر بجذع شجرة وسلخه حياً عليها.

٣ً- غراميات أبُولّن

١- لقد أحبّ أبُولّن نظير أبيه جنيات كثيرات من عرائس الغدران والوديان، وبشريات كثيرات من بنات الملوك والأميرات. ولا يعرف له قرينة خاصة، لأنه كان شاباً طائشاً، يقتفي آثار والده تهتّكه ومجونه. ولم يمتنع عن حبّ الشباب أنفسهم.

اعتاد أبُولّن أن يصطحب ربات الشعر والموسيقى، الأخوات التسع بنات زفس وامْنمُسِينِي. وتلك الأخوات مع الساعات كن يؤلّفن جوقة أبُولّن في

حفلات الآلهة. فأنجبت له كَلِيُبِي ربّة الشعر القصصي والفصاحة ولدين، ورزق من ثَلِيّا ربة الشعر الهزلي الكُرِيْفَنْتِس، وهم كهنة رِيِئَا ابنةِ غِيِئَا الجدة الكبرى أي الأرض. وولدت له تِرْبْسِخُوري ربّة الشعر الغنائي والرقص لِيْنُس، واضع أصول النغم والإيقاع. وتصدّى يوماً لِيْنُس لأبيه في فنّه، فقتله ونصبوا له تمثالاً على جبل هِلِكُون، وكرّموه إكرامهم إحدى ربّات الشعر والفن.

٢- وبعد هؤلاء ولد لأبُولّن مواليد كثيرة من الجنيات. ولكن عرائس الوديان أو الغدران لم تكن جميعها تنقاد له على جماله الأسمى. وقد مانعته هذه أو تلك ممانعة جافية عنيفة.

ففي أيام عبوديته عند آذمنس، لقي ذات يوم على ضفاف نهر بَنِيْئَس جنية بديعة. ففتنه حسنها ورام أن يصادقها ويقترن بها. فقالت له: "إن النهر أبي قد خطبني لرجل شريف اسمه لِفْكِبُس، ولا سبيل أن آخذك". ولم تكن ذَفْنِي ابنة نهر ثِسَّلِيّا، تحب سوى ذلك الإنسان. فشق الأمر على أبولّن وعزم على الاقتران بها عن محبة أو قهراً فتوقع مجيئها إلى إحدى الغابات وأقبل نحوها مشغفاً. ولما شعرت بمقدمه أجفلت وفرّت كالنسيم. ولكن الواله المستهام ما عتّم أن لحق بها، وكادت يداه تلامسها.

٣- وفي ذلك الضيق الشديد. دعت من أعماق كيانها أمها الأرض، فانفتحت أمامها وتوارت، فأنبتت الأرض في مكان اختفاء ابنتها، شجرة دائمة الخضار. ودعيت تلك الشجرة ذَفنِي، أو دِلْفة، باسم حبيبة أبولّن، فدنا الإله من الشجرة المسحورة، وأخذ منها غصناً وعقده على جبينه إكليلا. ومن ذلك الحين جعل أبطال الألعاب الألمبية والبيئية يتكللون بأكاليل الغار أو الدلف، وأخذ الناس في زمن الأوبئة، يضعون أغصان الدلف على أعتاب بيوتهم تيمناً بأبولّن، والتماساً لحمايته من الأمراض والأرزاء.

٤- وشاهد الإله مرة من المرات، وهو يتجول في إحدى الآجام، مشهداً غريباً مدهشاً. شابة ممشوقة رائعة من الجنيات تصارع أسداً غَضَنْفراً. فهو

يصول عليها ويزمجر زمجرة الرعد. وهي تثبت له بسالة وتلقي ساعديها حول عنقه وتحاول خنقه. فلما رآها أبولّن على تلك الحال، رشق الأسد بسهم جانبي مزق به جنانه، وأقبل على الفتاة يطري شهامتها ونبلها ورواء طلعتها، ثم نقلها على عجلة عسجدية إلى ليبيا، فأنجبت له أرِسْتِفْس.

وعرف أبولن من البشريات خِيُوني فولدت له فِلِمُون. وصاحب ذيُوني ابنة مِيْتُس فأنجبت مِيْلِتُس، مؤسس المدينة المشهورة بفلاسفتها الفزيائيين. وأحب ابنة ملك أرْغُس، فولدت له ابْسَمِثِي طفلاً دعته لِيْنُس وعرضته في غاب خوفاً من أبيها اكْرُتُبُس، حيث افترسته الذئاب. ولما علمت بذلك حزنت حزناً عميقاً، فضحت به حالها، فحكم عليها أبوها بالموت. وضرب الإله مدينة أرْغُس بطاعون فتاك، لم ينفك عن البلاد شره، حتى نفي الملك الظالم.

٥- ولأبولّن مع كَرُونِي مغامرة أليمة كلها شجو وأسى. فتلك الأميرة ابنة ملك ثيبة رآها أبولّن تلعب في مرج مع وصيفاتها، فأحبها وعاشرها وتوثقت أواصر المودة بينهما، إلى أن حبلت بابنها أسْكْلِبيُوس. وتعرفت كُروني على أمير من أركذيا، وقبل أوان ولادتها بقليل، تزوجت من ذلك الأمير. فأسرع الغراب وأخبر أبولن. فلعن الإله رسول الشؤم، فاسود ريشه من ذلك الحين، وأصبح للبشر نذير سوء. وعهد الإله إلى أخته ديانا أن تقتص من خليلته الخائنة، فقضت على كروني وزوجها، ونضدت حطباً للمحرقة وأصعدت جثتيهما فوقه. ولما أخذت كروني تحترق، جاء أبولّن وانتشل الجنين، وعهد به إلى الصطر خِيْرُن، فأقام عنزة لترضعه وكلباً ليسهر على حراسته فنما الرضيع وتعلم خصائص الأعشاب والنباتات، وغدا أكبر طبيب عندهم، ونُقل إلى مصف الآلهة.

أما افْلِغِبّس والد كُروتي. فقد زحف بجيشه إلى مدينة ذِلْفي، وأحرق فيها هيكل أبولن. فرماه الإله بنباله المهلكة، ودهوره إلى ظلمات تارترس، حيث علق فوق رأسه صخرة ضخمة رهيبة، تهدده دائماً بالسحق والسحل.

٦- كانت اكْرِنُوسا ابنة إرِخْثِفس. فخرجت يوماً إلى حديقة في جوار الأكْرُبُولِس، وانصرفت إلى قطف الزهور. فلاقاها أبولّن وخلا بها في مغارة. ولما رزقت ابنها إيُّن. أوعز أبولّن إلى أخيه هِرميس، بأن يحمل الصبي إلى هيكل ذِلفِي، ليربى هناك ويكهن للإله.

وتزوجت أمّه في تلك الأثناء، اكْسُوُتس بن هِلِّين. ولبثا عقيمين زمنا. فقصدا معبد ذِلفي وسألا العرافة: "هل ينجبان أولادا؟ فأجابتهما: "أول ولد تلقيانه لدى خروجكما من عندي يكون ابنكما. فلما خرجا وجدا إيُن الصغير على مدخل الهيكل، فعانقه اكْسُوُثس وتبناه. أما اكْرِئُوسا فلم تقبله ولا استلطفته، بل حاولت تسميمه، ولكن البِثُونسّا العرافة تدخلت في الأمر وعرفت الأميرة على ابنها من أبولّن. وأنبأت اثنا ابن هِلِّين أنه سيولد له ولدان ذُوْرُس وأخِيُئُس، فيمسيان مع إيُن آباء الشعوب اليونانية.

٧- وصاحب أبولن أميرة اسمها ثِريئا، فأنجبت له ابناً دعاه ككنس. وصادق ككنس رفيقاً له كان يخرج معه إلى الصيد. ثم أعرض فيليُس عن خليله ككنُس فارتمى هذا في بحيرة واختنق. ولما رأته أمه على تلك الحال، زجت بنفسها في البحيرة وماتت. فأحالهما أبولن إلى تمين جميلين، وعرف ذلك الطائر عندهم باسم ككنس.

وأغرى أبولن كريني، فولدت له إذمون وهو أحد الذين اشتركوا في رحلة السفينة أرغو. وخصه أبوه بروح العرافة، كما خص بها ابنه بامس من خليلته إفذني، فأصبح أصل سلالة اليميذه في ألمبيا.

٨- ومن الأميرات الصغيرات اللائي مال إليهن أبولن كسّانذرا ابنة ابرييمس ملك اطروادة، وقد ضاهت بجمالها أفرذيتي. ففي حداثتها تركت مرة في هيكل أبولن، فالتفت الحيات حول جسمها، وجعلت تلحس لها أذنيها، ولقنتها لغة الآلهة ولغة الحيوان والنبات. وبعد أن شبت الأميرة، هام بها الإله أبولن، ولكنها هي لم تمل إليه. وأغراها بروح العرافة فضلاً عما تعرف من

لغات عجيبة. فوعدته حينئذ بنفسها ولكنها أخلفت بالوعد. واكتفى الواله المتيم بأن يحظى منها بقبلة لا غير، وفيما هو يقبل فاها سحب منها قدرة الإقناع. ومنذ تلك القبلة المشؤومة عدها الناس معتوهة، ولم يصدقوا قط إنباءها بالغيب، ولا تحذيرها من وقوع البلايا(١).

٩- واستمال أبولن جمال الفتيان. وله معهم شؤون وشجون. فلقد شغف الإله بكبارسس. وكان لهذا الفتى وعل فقتله عن غير تعمد، وحزن عليه حزناً شديداً. فأحاله الإله إلى سروة.

وعلق أيضاً هياكنثس ابن ملك لكنيا أمكلاس. وكان غلاماً لطيفاً ناعماً، أحبه فريئس ريح الشمال، كما تودد إليه النسيم زيفرس. ولما رأى كل منهما أن أبولن قد استأثر بالفتى، ملأت الغيرة قلبيهما. فبينما كان أبولن يلاعبه ذات يوم ويعلمه رمي القرص، حوّل الشمال اتجاه القرص، فضرب صدغ الغلام المحبوب، وسقط صريعاً يتخبط في دمه ومن النجيع المهراق على الأرض نبتت زهرة فاتنة فريدة، دعيت باسم الفقيد الغالي، الذي رُفع إلى رتبة الخالدين. وفي بلاد لكنيا كانوا يقيمون عيداً سنوياً، لذكرى الإله وحبيبه المعبود، يقضون اليومين الأولين منه في الحداد وتقديم ذبائح الموتى، واليوم الثالث يقضونه في الفرح إشادة بانتقال هياكنثس إلى الملأ الأعلى وعالم النجوم. وكأنهم رمزوا بذلك إلى أن الموت فترة عابرة، تليها حياة البقاء والخلود. وفي حفلات اليوم الثالث كانت الفتيات الشريفات يركبن العربات المزينة ويشتركن في المآدب الفاخرة.

---

(١) راجع سيرتها في الإلياذة.

الفصل السادس

أرتميس

إلهة الصيد والسحر

أرتميس إلهة من آلهة الحقول. وتتلاقى في ذلك وأخاها أبولن. فهي ربة الصيد وإلهة الغابات. وحيوانها المفضل هو الدب. وهي إلهة النور والضياء، ضياء القمر في الليالي القمراء.

وتحمل القوس والجعبة نظير أخيها، وترسل نبالها الصائبة المهلكة. ولكنها تغمر بالخير والإنعام كل الذين يكرمونها. وبالإضافة إلى امتيازاتها فهي مع إليثيا الإلهة القابلة، تسهل ولادة من يدعوها من النساء ويستغيث بها.

وبينها وبين أرتميس الأفسسية إلهة الخصب والتوالد بون شاسع. كما أن بينها وبين أرتميس الثراقية إلهة القمر والسحر وعالم الموتى بعض الاختلاف.

٢- تكرم أرتميس في أركذيا خصوصاً. وقد عبدوها في كل بلاد اليونان، لاسيما في اسبرطة وكريا وأثينا وألمبيا وذيلس. وخصص لها الرومان يوماً من أيام الأسبوع دعوه باسمها. وهو الاثنين أو يوم القمر عندهم. وهذا معنى الكلمة اللاتينية التي تقابل الاثنين عندنا[١]. وقد تمثلوها بشكل عذراء فتية، ممشوقة القامة نحيلة الخصر ذات محيا ناعم القسمات، وشعر مضفور ملتف حول رأسها، يحدق بها شيء من الجلال، يضفي على جمالها رونقاً ومهابة.

٢- (١) Lundi أو Lunae die أي يوم القمر.

وترتدي أرتميس ثوباً قصيراً مشدوداً على الخصر، لا يتجاوز الركبتين. وتحتذي خفاً يشبه البوطين، سموه كوثُرنس. أما أرتميس الأفسسية فقد لفوا جسمها كله، ما خلا الرأس واليدين، بجبة ضيقة وُشحت برؤوس الحيوانات: من أسود ووعول وثيران، وبرزت أثداؤها الكثيرة، وتتجاوز الستة عشر. فهذه إلهة الخصب، وتلك إلهة عذراء انصرفت عن الشؤون الزوجية إلى الصيد.

٣- اعتقد بعضهم أن أرتميس هي ابنة زفس وذميتر، أو ابنة زفس وبرسفوني، أو كريمة ذيونسس وإزيس. ولعل هذه الرواية تنطبق على إلهة الخصب وإلهة التوالد.

أما أرتميس الإلهة القانصة فأبوها زِفس وأمها لِتُو. وقد ولدت يوماً واحداً قبل مولد أخيها أبولّن في السادس من شهر ثَرْغلِيُون، أي شهر أيار، وهو من أجمل شهور السنة في الربوع الشرقية، ولم تدع جزيرة أُرتِغِي ذِيْلُس إلا بعد أن أضاء أبُولن على الجزيرة، فسميت ذيْلُس المشعة.

٤- ولما علمت أرتميس بعد أيام بنكبات أمها وبقصتها مع بِثُون الأفعى الرهيبة، التي أطلقتها هيرا في أعقابها، لتقضي عليها وعلى توأميها، ثارت لمحن أمها وابتغت الأخذ بأثرها في صحبة أخيها الجبار الرضيع. فحملت معه على التنين الرهيب وشاركته في قتله وسلخ جلده ورافقته أيضاً في غربته إلى مقاطعة ثِسَّلِيَّا لتقضي معه زمن التكفير.

وبعد تلك الفترة، انتحت أرتميس أرجاء أرْكَذِيَّا، في وسط شبه جزيرة اليونان، وانقطعت فيها إلى حياة ريفية صرفة. ففي تلك الجبال الوعرة، وفي تلك الصرود والوديان، استسلمت الإلهة الفتية إلى الصيد. وقد مهرت فيه جداً يصحبها ستون جنية من بنات أكِئَنوس، وعشرون فتاة من عرائس الغدران، يسهرن على ثَلّة[(١)] الكلاب، ويعنين بها ويطعمنها، ويقسمن بينها الطرائد والغنائم.

٤- (١) الثلة بالفتح الجماعة الكبيرة من الغنم، والثلة بالضم الجماعة الكبيرة من الناس. ويقال عمن لا يفرق بينهما: "فلان لا يعرف الثَلة من الثُلة".

٥- وإذا فرغت الإلهة من عناء الصيد ومشقته، راحت ووصيفاتها تتنعم بلذة السباحة، في الجداول العذبة المنسابة بين الإجام، أو البحيرات الرائعة في الغابات. ولم تستسلم أرتميس إلى ملذات الجسد، كغيرها من الآلهة والإلاهات، ولا تمتّعت بأطايب الحياة الزوجية. ولكنها اصطفت لنفسها شظف الحياة، وآثرت التبتل والطهر بعد ما رأت من مكاره أمها، وفرضته سنة على من رغب في صحبتها، كما فرضته على كهانها وكاهناتها. وقد ذهبت هكذا كَلِسْتُو ضحية نزوات زِفس، وانزلاقة في حمأة الشهوات. فلم ترحمها أرتميس وقضت عليها بوابل من النبال.

٦- تتلمذ حفيد كاذْمُس للصَطَر خِيْرُن، فدرّبَه على أصول الصيد، واقتنى لنفسه مئة من الكلاب من ذكور وإناث، وانقطع إلى تلك الهواية. وإذ ألحّ يوماً في مطاردة ظبي، بلغ ضفاف بحيرة جميلة، فوقع نظره على مشهد فتنه، وراح يتأمل الإلهة أرتميس، تستحم في تلك المياه، وتستجمع قواها بعد شدة العناء. فأبصرته الإلهة العذراء وأغضبِت لتماديه وجسارته، فأحالته إلى وعل ضعيف. وأقبلت ثَلة كلابه تعمل فيه العض والنهش، حتى غدا أثراً بعد عين.

٧- ومالت أرتميس إلى جبار عنيد يدعى أرِيُن وصادقته وأحبته. وكان ذلك الجبار قد ولد من جلد بقرة، بال عليه زفس وبسذون وهرميس. فإذا مشى في عمق أليم، برز فوق الماء رأسه. وقد كان صياداً بارعاً، وسباحاً فريداً، وإنساناً شهماً، ذا فتنة وجمال. ولعل الغيرة نشهت قلب أبولن لما رأى أخته العذراء تحنو إليه، وتخصه بالألفة والمودة.

وإذ استسلم ذات يوم لهوايته المعتادة وراح يسبح في عرض البحر، أقبل أبولن على أخته أرتميس وقال لها: "يا أختي الحبيبة هل لك أن تصيبي بسهم من سهامك التي لا تخطئ، ذلك الهدف البعيد، المائج على وجه الغمر؟" وما كان من الإلهة إلا أن راشت سهمها، وضربت الهدف العائم على سطح البحر، وهي تجهل ما تفعل. فأصابت صدغ أرِيُن، وأردته قتيلاً. ولما بان لها الأمر جزعت جزعاً مريراً ونالت من أبيها أن يغدو برجاً من أبراج السماء هو وكلبه سِيْرِيُس.

٨- ويقال أيضاً في خبر موته، إنه تطاول مرة على الإلهة وهو يصطاد معها في جزيرة خِيُس، فأثارت من الأرض عقرباً قتالاً يشول بذنبه، لسع كاحل أرِين فأماته. واتهم بعضهم أبولن أنه دهم أخته على مذبحها وفي هيكلها بذيلس. وليس ما يثبت هذا الادعاء... وقد أجهزت مع أخيها أبولن على العملاق تيتيس عندما تجاسر وغشي أمها لِتُو. كما يحكى أنها هي التي قتلت ابني أَلُئِفس عندما أرادا اختطافها هي وهيرا قرينة زفس. فاستحالت إلى ظبية ووقفت بينهما. ولما قصدا طعنها بالحراب، تطاعنا كلاهما وقضى كل على رفيقه. وغلبت الحيلة حيث لم تُجدِ الحيلة.

٩- وأحبت أرتميس، نظير غيرها من الآلهة، أن يحوطها عابدوها بدلائل التجلة والإكبار، وأن يبادروها ببوادر التبجيل والإكرام. وإن قصّر مستهتر عن أداء الواجب وتغاضى عن التفخيم والتعظيم، وتمادى في غلوائه وكبريائه، ونافس الإلهة أو تتطاول، ألحقت به فوراً شديد العقاب.

أنجبت خِيُوني ابنة ذِيْذَلُس لهِرمِس نجلاً، ولأبُولن نجلا آخراً ودعت الأول أتُولكُس، ودعت الثاني فلمُون.. وتباهت يوماً أمام النساء وفضلت نفسها على أرتِميس، لأن الإلهة بقيت عاقراً، وولدت هي ابنين رائعين. فلما سمعت الإلهة كلام الساخرة، راشت سهماً من سهامها النافذة، وأصمت المكابرة قتيلة.

١٠- زُفّت نيوفي ابنة تانْتلُس وشقيقة بِيْلِيْس على ملك ثيبة أَمفِيُن، فرزقت منه سبعة بنين ورزقت أيضاً سبع بنات. وزهت نِيُوفي لكثرة بنيها، وتكبرت على الإلهة لِتُو، وبلغت الخيلاء بها مبلغاً حقّرت معه الإلهة الناعمة، ورامت أن تخصَّ دونها بالعبادة. فساء الأمر نجلي الإلهة. واستسلم أبناء نِيوفي إلى هوايتهم المعهودة، وأخذوا يتبارون على متون الخيل وفيما هم على تلك الحال، إذا بنبالٍ خفية تنهال عليهم وعلى خيلهم، وترديهم جميعهم صرعى على الأرض. وإذ علا العويل والصياح، وأسرعت الأخوات يندبن عليهم، أصماهّن خفيّ النبال، وسقطن يتضرّجن في الدماء. ولبثت الجثث سبعة أيام،

ونيوفي الشقية في ذهول شديد، ودمعها ناضب لفرط الأسى فأشفق الآلهة على ثكلها القتال، وأحالوها إلى صخرة صمّاء، تتفجّر منها مياه الشقاء.

١١- ونسي آذمِتُس في حفلة الزواج، أن يسكب السكب للإلهة أرتميس. فلما همّ يدخل مخدعه، راعه حفيف الأفاعي، ولم ينج منها حتى استدرك أمره باستغفاره الإلهة، والتكفير عن إهماله. ولما فات انفسَ ملك كِلذُون، من أعمال إتِليّا، أن يقدم بواكير غلته لأرتميس، سلطت على أرضه هِلوفاً ضارياً، عاث في الأرض فساداً، وهلكت أسرة الملك في تعقبه ومطاردته.

ولم تكف الإلهة عن مقاومة أغَمْمنُن، لأنه رام منافستها في الصيد فحصرت أسطوله في مرفأ أفِليْس، ولم تطلق سبيله حتى ضحّى لها بابنته إفِغينيا لكن الإلهة وقت الذبيحة، اختطفت الفتاة إلى تَفْرِيس، لتكهن لها هناك، واستعاضت عن الفتاة بظبية. وفي ذلك المعبد النائي، كانت ابنة الملك تشرف على ذبائح الإلهة من الضحايا البشرية. حتى قدم أخوها أريْستِس وتعرف عليها بعد جهد طويل، ولم تنجّه من الموت المحتوم، إلا بالهرب معه إلى الوطن العزيز.

١٢- وعند الفرار مع أخيها، حملت تمثال الإلهة أرتميس ووضعته في أحد أحياء الأتِكي، المعروف باسم افْرَفْرُون. ثم نقل من هناك إلى معبد في الاكْرُبُولس، حيث أكرموا الإلهة ولقّبوها باسم ذلك الحي، الإلهة الفْرَفرُنيّة. وحيوانها المفضّل هو الدب. وقد روضوا أحد الدببة وأطلقوه في أحيائهم. لكنه اهتاج ذات يوم، وكاد يمزق شابة. بمخالبه، لو لم ينجدها ذووها ويجهزوا على ذلك الحيوان الكاسر. فغضبت أرتميس لدبّها وسلّطت الوباء على البلاد، ولم ينج سكانها منه حتى وقفوا بناتهم الصغيرات للإلهة أرتميس. أحيوا تلك الذكرى الأليمة، مرة كل خمس سنوات، بعيد افْرَفْرُونيا الجميل، حيث كانت فتيات أثينا من الخامسة إلى العاشرة، يرتدين ثياباً بلون الزعفران، ويطفن شوارع المدينة إلى هيكل الإلهة في رأس المدينة، بقرب حصن الأكُربُولس.

١٣- وعندما يكفهر القمر، ويكمد لونه ويصفر، ويخطر في الغمام ويمرّ، كان الرعب يستولي على البشر، لأن الإلهة أرتميس تفقد صفاء محياها إذ ذاك، وتستحيل إلى إلهة السحر وإلهة الشعوذة والتعاويذ، وتغدو إلهة رهيبة، تضرب عن بعد بالسهام وتبلو بالعقم والوباء. ولذا سميت في تلك الحال، الإلهة هكاتي ذات الوجوه الثلاثة: الفرسِ والكلبِ والخنزيرة، أو الثورِ والكلبِ واللبؤة. وسميت أيضاً إلهة الطرقات، حيث تَتيه العقول وتخاف. وكانوا يسترضونها بضحايا بشرية، أبدلها لِكُورغُس بأضاحي حيوانية من الكلاب والظباء والمعز.

١٤- وتوهّم بعضهم أن أرتميس الأفسسية، هي إلهة واحدة وأرتميس أخت أبولن الإلهة الصيادة. غير أن الإلهة الأفسسية إلهة الخصب والتوالد، وهي نظير ذميِتر او برِسفُوني تمثّل الأرض بعطاها وخصبها وجناها. وهي إلهة كفكازِية الأصل، جاءت بها وبعبادتها أمة الأمَزُون، عندما أسست مدن اسميرْني وايْفسُس وكيمي ومرِيني وبافُس. وتألقت تلك الأمة من النساء فقط، ولم تكن تقبل بين ظهرانيها جنس الرجال. بل كانت تنطلق مرة في السنة نحو أمة مجاورة تقطن غَارغَرة، وتضاجع الرجال فيها ثم تعود، ولا تحتفظ من المواليد إلا بالبنات، يُنَشّأن منذ نعومة أظفارهن على الرياضة والصيد وركب الخيل، وكل أنواع الفروسية والمبارزة والمقارعة.

وقد اجتاحت تلك الأمة الباسلة المقاتلة بلاد اليونان على عهد سِثِفس لأنه اختطف الأميرة انتيوبي، شقيقة الملكة هبُليتي. واعتاد الأثينيون أن يقدموا الأضاحي كل سنة، لأرواح تلك النسوة الغازيات الباسلات. ونازلت في لكيا من مقاطعات جنوب آسية الصغرى هركليس الجبال فقتل ملكتهن هبُليتي. ولا ريب أن بسالة الأمزونيات وطباعهن الخشنة هي التي حدت اليونان على تسمية إلهتهن الكبرى باسم أرتميس، أخت أبولن المشعة اللامعة.

الفصل السابع

هرميس
ساعي الآلهة ورسولهم

١- خصائص هِرميس وامتيازاته.

١- أحب اليونان إلههم هِرميس، لأنه في نظرهم إله الخير واليمن. وإله الرفق والتوفيق، وإله المعروف والإحسان، لا يستثني منهما أحداً. ولقد كان مقرباً إلى كل الآلهة فهيرا نفسها عطفت عليه وأرضعته بكل حنان، مع أنه ابن غير شرعي لزِفس.

فهذا الإله الفَلَق عند انبلاج الصباح، وإله الغسق لدى إقبال الليل. فهو ينهض قبل الفجر ويبشّر بقدوم زِفس إله النهار، وبمقدم فيْفُس الساطع يشع بشمسه. ومن ثم فهو ساعي الآلهة ورسولهم ومعتمدهم في المهمات، يبلّغ مشيئاتهم إلى البشر، ويمهّد لهم السبل لتنفيذ مآربهم السامية أو السافلة، المشرّفة أو الشائنة.

٢- وإله الصباح هذا هو ربّ التجار والتجارة، ومبدع اللهجات واللغات التي تلم شمل المجتمع، ومن ثم إله البيان والبلاغة. إذ يحتاجها الناس في صِلاتهم المختلفة. ولذا قدّموا له في ذبائحهم لسانات العجول والديوك. وهو إله المرابح والمغانم المشروعة والمحرّمة، بما فيها لعب القمار، آفة الآفات الخلقية الموبقة. لأنها تجرّ إلى كل رذيلة. وهو إله البراري

والطرقات، يقطعها بلا انقطاع ويمرّ فيها مرّ النسيم. وقد خصّوه بمنعطفات الطرق ومفارقها، تقوم له فيها تماثيل نصفية، ذات أوجه عدة، كل وجه ينظر إلى مفرق، ليهدي المسافرين سواء السبيل ويرشد الضالّين. وهو أول من صنع قيثارةً بخباء سلحفاة وأهداها لأبّولن. وأول من مارس الرياضة وعلّم البشر ألعابها، ليؤتي أجسامهم رشاقة ورونقاً وبهاء. وإليه بالذات تعزى الملاكمة والسباق. وهو أخيراً إله الرعيان والقطعان.

٣- تلك خصائص هرْميس كإله للصباح. وله خصائص أخرى كإله للمساء. منها أنه يرعى اللصوص، ويسهل لهم ارتيادهم المنازل، للخطف والسلب والنهب. وهو الذي يرافق الأرواح بعد الحياة الدنيا، إلى مقرّها الأخير في دياميس الجحيم وظلالها. وهو الذي يواكبها في عودتها أحياناً إلى النور، إذا سمح بذلك الآلهة.

ولكي يقوم هِرميس بكل ذلك النشاط وكل تلك المهمات، حمل بيده عصا عسجدية، وجعل على كاحليه جناحين، ومثلهما على منكبيه، ومثلهما على نقرتي جبينه الصبوح أو على قبعته التي كان يحمل مثلها المسافرون. وقد تمثلوه فتى بهياً ذا قوة ونعومة، شعره كثّ مكزبر، وجسمه رشيق منوّر، ذا رأس لطيف ووجه نحيف، ينمّ عن العطف والمودة والرفق.

٢- مولد هِرميس ومسلكه.

١- قام على جبل كّيني في شمال أرْكَذيّا المتوسطة شبه جزيرة اليونان، كهف كبير عميق ارتادته ميّا ابنة اطْلاس، لتلاقي فيه حبيبها ربّ الآلهة. وفي ذلك الكهف المنفرد ولدت لزفس ابنه هِرْمس.

وما كاد الإله يرى النور، حتى انساب خلسة من سريره إلى خارج الكهف، وطار إلى جنوب مَكِذُنِيّا إلى جبال بِيريّا حيث كان أبولّن يرعى قطعان آذمِتُس، ويبيت معها في سفوح تلك الجبال. فاختار خمسين بقرة جميلة مكتنزة. وساقها أمامه وهي تمشي إلى خلف كي لا يُعرف اتجاهها. وقد

اصطنع لأقدامه الناعمة خفّاً غليظاً من فروع الآس والطرفاء أو الأثل، واجتاز بها في ليلته تلك بلاد اليونان حتى بلغ ضفاف أَلْفِئُوسَ في مقاطعة إِيْلِس. فخبأها هنالك في حظيرة، واصطفى عجلتين حوليتين، وقسمهما إلى اثنتي عشرة شقة، وقدمهما للآلهة العظام الاثني عشر، وهو من جملتهم.

٢- وفي تلك الغضون انصرف أبولّن إلى اللهو والعبث، بصحبة ربات الفنون وعرائس الجبال والوديان. ولما عاد إلى قطيعه، وجده ناقصاً. فعمد إلى رُقْيته ليعرف السارق وتبيّن له في الحال صاحب السرقة. وكان هِرميس قد تسرب إلى سريره كنسمة الخريف أو كالبخار الخفيف. فوقف به أبولّن وأخذ يشاجره ويستدل منه على مخبأ البقر. وإذ أنكر الرضيع وأصرّ يشكو من فعلة هِرمِيس. فقهقه زِفس وأغرق المحضر كلّه في الضحك. وأخيراً أمر زِفس نجله الطفل بأن يعيد ما سلب.

٣- ووجد هِرْميس إبّان رحلته سلحفاة كبيرة. فأخذ إزميلاً ونحت خباءها وعمل منه قيثارة ومدّ عليها أوتاراً. وعزف عليها أنغاماً شجية. وإذ لاحظ أن أبولّن لا يفتأ يتنكر له وينظر إلى آلة الطرب برغبة، جعل يضرب عليها ضرباً مطرباً، حتى أنس إله النور واستفزه اللحن البديع، فنهض الإله الصغير وقدّم له تحفته الموسيقية. فطاب قلب أبولّن وأهدى هِرميس عصاً من نضار، وعهد إليه برعاية القطعان، وأضحى هو ربّ الغناء والطرب. وتوثّقت عرى الصداقة بينهما، وتولى هِرميس رعاية أولاد أبولّن عند مولدهم، وحضن هكذا أرِسْتِفْس وإيُّن وأسْكلِبْيُوس.

ولقي ذات يوم حيتين في قتال محتدم. فأدنى منهما عصاه فالتفّت كلتاهما على العصا وصارتا من ذهب. فغدت تلك العصا السحرية رمزاً للسلام.

٤- ولم يكتف هِرميس بتلك اللعبة التي لعبها على أخيه أبولن. بل لعب أيضاً لعبات مماثلة على الآلهة أو الإلاهات. فقد انتشل لهذا زناره ولذلك سيفه ولآخر أدوات الحدادة ولإله البحار خُطّافُه المثلث. فنفاه زِفس

من السماء، وجاء هِرميس يسلي أبولّن في غربته. وقد عبدوا هذا الإله في أرْكَذِيّا خصوصاً على جبل كِليني، وفي كريت ذات الحضارة العريقة والتجارة الواسعة.

٣- خدمات هِرميس وأشهر أولاده.

١- لقد أدّى هذا الإله الصالح خدمات جلّى لأبيه وأخوته الآلهة وأبناء أبيه الأبطال وإلى البشر عموماً، إذ كان نشيطاً هماماً، ذا مكر ومهارة ودهاء.

ففي حرب العماليق اعتمّ بقبعة آذِس، وهي قبعة الأخفى، واحتال على هِبُولِتُس الرهيب وقتله. ولما أمسك تِفِيئُس رب الآلهة، وقطّع أعصاب يديه ورجليه، خفّ هِرميس إلى إسعافه ووصل ما تقطع من أوتار وأعصاب، وأطلقه من سجنه المظلم. وهو الذي ألقى على آرغُس السبات وفك عقال إيُو حبيبة أبيه، وذبح حارسها اليقظ الجبار. وبعد مولد ذِيُونِسُس هو الذي حدب على طفولته، وحمله إلى إنُو شقيقة سِمِيلي البائسة، إلى مدينة أرخُمِني.

٢- ولما أسر أبناء أفُئِفس إله الحرب آرس، واختفى أثره مدة ثلاثة عشر شهراً، اكتشف هِرْميس مخبأه وأطلق سراحه إلى النور. وهو الذي وجد عند طَانْطَلُس ابن أبيه من أبْلُتُو الأقيانسية، الكلب الذي سرقه بَنْذَرِفس من قصر زِفس.

وقد ساعد هِرَكليس في انحداره إلى الجحيم، وشجع بِرسِفس على قطع رأس الغُرغُونة، وقد ألقى بعصاه السحرية سباتاً عميقاً على معسكر أغمَمْنُن، وأتاح هكذا لأبرِيَمُس أن ينتشل جثة ابنه المحبوب هِكتُر. وأعطى أذِسِّفس عشية سرية قاوم بها رُقى كِيْرْكِي الساحرة، ابنة الشمس، فأحبته واستسلمت لسعادة العيش بألفته سنة كاملة. وأخيراً هو الذي أعاد روح بِيْلُبس إلى جسده،

عندما طبخه أبوه طانْطَلُس، وقدمه في مأدبة للآلهة. ورافق أرْفِفس في بحثه عن عقيلته إفْرِذيسكي، وقاده إليها في دياميس الجحيم، حيث تتبعته الأرواح "وهي تصوي كأنها خفافيش الظلام، ليبلغها إلى مروج الزنابق، فتستقر هناك بعد متاعب الحياة". ولذا دعوه هادي الأرواح.

٣- ولد لهذا الإله كغيره من الآلهة مواليد كثيرة. ولا يروون له مغامرات إلا مع الإلاهات برْسِفُوني والقمر هِكاتي والزهرة أفْرُذيتي. ولكنه أمعن في مغازلة عرائس الغابات والغدران، فأنجبن له بنين وبنات اشتهر منهم ذَافْنِس راعي صقلية الجميل، وبان إله الحقول في أركَذِيّا.

إبّان منفاه في أرْكَذِيا أحب هِرميس ابنة مولاه اذْرَيُبْس. فولدت له ابناً ذا قرنين، ووبرٍ كوبر المعز، ورجلين كأرجل الوعول. فاشمأزت منه أمه وأهملته في إحدى الأجام. ولفه أبوه بجلد أرنب، وأتى به محفل الآلهة. فسروا بذلك المنظر وداعبو الإله كثيراً، وهنأوه على هذه السلالة المباركة. ويُروى أن بان وُلد لهِرميس من أنسية تدعى بِنِلُوبي كان الإله يراودها بهيئة تَيسٍ.

وأحب هِرميس من البشر أكَكَليس بنت مِينُس وأختها خِيوني، محبوبتي أبولّن. فأنجبت له الأولى كِيْذُن مؤسس مدينة كِذُنيّا، وأنجبت له الثانية أفْتُولِكُس، أكثر الناس مكراً واحتيالاً. وقد منحه موهبة إخفاء ما يمسّه من الأشياء. فسطا هكذا على قطيع سِيْسِفُس طاغية كُورِنْثُس. لكن الطاغية السفاح استضاف أفْتُولِكُس وعرف من أظلاف الذبائح، لإشارة خفية نقشها فيها، أن مضيفه هو غريمه. فأعجب افتولِكُس من مهارة سِيْسِفُس ومن نباهته.

الفصل الثامن

آرس

إلـه الحـرب

١- أصل آرِس وأوصافه:

أصل هذا الإله من ثراقية وبلاد أسكثيا، وهي الآن بلاد القُرْم في شمال البحر الأسود، وجزء كبير من جنوب روسيا. وقد أحبه في القدم أهل تلك الأمصار، لأنهم كانوا شعوباً وقبائل تميل إلى الحروب والفتوحات. وقد أكرمه اليونان أيضاً عن خوف لا عن محبة، وشادوا له الهياكل والمعابد، في أثينا وأسبرطة وألمبيا.

وقد مثله فنانوهم بهيئة محارب مدجج بالسلاح، بخوذة ولأمة ولحية كثيفة مسترسلة. ثم صوروه في هيئة شاب شبه عار، يلعب الحب عند قدميه، وإلى جانبه الرمح والمجن. وقد وقف له الرومان يوماً من أيام الأسبوع، وشهراً من الشهور دعوها باسمه، وهما يوم الثلاثاء وشهر آذار. وكلمة ماردي وما إليها تعني يوم مارس أي آرِس.

٢- ميزته الخاصة: شراسته وشكاسة طبعه:

١- إن آرس هو ابن زفس وهيرا. وقد أبغضه الآلهة والبشر على السواء، لقلة فهمه وشراسة طبعه وجفاء تصرفه. فهو كالضواري متعطش إلى سفك الدماء، يبطش في الحروب بطشاً أعمى، ولا يربح دوماً إذا

خاض غمارها. وأبوه في إلياذة هومرس يزجره بعنف وينتهره بقسوة: "إنك يا غلام أبغض الأولاد إليّ. فديدنك النزاع والخصام والتناحر والصدام. ولك ما لهيرا من نزوات ونزعات، ولا يكفيها مني القول لزجرها أو ردعها..".

٢- إنه إذا نزل ساحة الوغى، امتطى جواده المطهم، وشهر رمحه وأخذ يجول ويصول صولات السباع الكاسرة، ينحر ويطعن ويقتل، ويرجف العدو بصوت دونه جلبة عشرة آلاف رجل. يواكبه الهول عن يمينه والذعر عن شماله، وتحف به كيرِس إلاهات النقمة، ذائبات عطشا إلى شرب الدماء، وإنيو المتلهفة إلى الدمار والخراب.

لاغرو أن آرس كان مقارعاً مغواراً. ولكن شجاعته قامت كلها على الفتك والبطش، بلا هوادة ولا تمييز. وحماقته هذه وضراوته عرّضته مراراً لنقمة الآلهة والأبطال.

٣- فبينا كان في يوم من الأيام يخوض معمعة حامية الوطيس في سهول إيلين، تصدى له خصم عنيد، كله فهم وبأس وتمييز. وما الخصم غير أثِنا ربّة الفروسية والمآثر الحربية. وإذ رآها آرس في راحة القتال، جُنّ جنونه واستشاط غضباً، وهجم عليها هجوم المستميت: "أيتها الذبابة الوقحة، لماذا تثيرين الإحَنَ والخصومات بين الآلهة؟ ستؤدين لي اليوم حساباً عسيراً عن كل إساءاتك إليّ..." ثم صوب طعنة إلى مجنّها الحريز، الذي لا تخترقه صاعقة زفس نفسها، فتنحت الإلهة وتناولت صخرة وضربت عنق آرس. فتضعضع جسمه ورجفت ركبتاه، وسقط مغشياً عليه بتضرج بدمائه. وغطى جسمه مساحة مئتين وعشرة أمتار. فتبسمت أثنا وخاطبته بازدراء وشيء من الإشفاق قائلة: "أيها الغبي الأبله، ألم تعِ بعدُ كم أبذّك اقتداراً وبأساً. اذهب الآن وأخبر بمصابك الأليم".

٤- أخفق آرس إجمالاً في مباراته الآلهة، ومصارعته إياهم. ولحقه الخزي لما استولى عليه الجباران ولدا ألئفس، فتوارى عن الأبصار ثلاثة عشر شهراً، أذل في غضونها وذاق مرارة الأسر، حتى تمكن هرميس من وجوده وفك عقاله. ولما قتل هركليس ككنس بن آرس، لكثرة جرائمه وقطعه الطرق، أراد إله الحرب الانتقام، فنازل هركليس. فأجهز عليه البطل الصنديد وأثخنه بالجراح، فعاود آرس مقر الآلهة يجرر أذيال العار. ويقال إن زفس ليفصل بين ولديه، ألقى بصاعقته وسط المتبارزين.

٣- مغامراته

١- شُغف آرس بحب أفرذيتي، ومالت إليه إلهة الخلاعة والدعارة، لأن زوجها هيفستس كان أعرج دميما. فغازلها ردحاً من الزمن، وصديقه الكتريون يؤمن له بسهره ويقظته، راحته وسرور قلبه. لكن الصديق السهر اليقظ تغافل مرة عند السحر، فأقبل هيفستس وأطبق على آرس وقرينته العاهرة بالجرم المشهود. فضبط نفسه وتجاهل الأمر لغرض في نفسه. إلا أن الإله الفاسق عرف أن أمره لم يخف وأن سره قد انفضح، فحنق على صديقه الكتريون وحوله ديكاً. وهذا معنى اسمه.

٢- وتظاهر هِيفِسْتُس ذات يوم أنه منطلق في رحلة طويلة إلى جزيرة لِمْنُس. وأعلن عزمه في حضرة الآلهة وخرج. فاستبشر آرس لذلك السفر وعندما أرفضّ المحفل، قصد قصر هِيْفِسْتُس، وخاطب أَفْرُديتي قائلاً: "هيا يا خليلتي، هيا يا معبودتي، فالقلب مستعر والروح في اضطرام، تذوب شوقاً إليك. ونحن الآن في أمان، لأن قرينك الأعرج، في رحلة طويلة إلى جزيرة لِيمْنُس، جعلها زِفس موفّقة".

قال وأخذ بيد الحبيبة وعانقها بشغف. فمضت معه إلى مخدع هِيْفِسْتُس، وقد سرّها مقال المتيّم الولهان. ولكن الإله الأعرج باغت الزانيين، وأطبق

عليهما بشباكه. وذلك أنه في تلك الغضون، قد أعدّ شبكة ناعمة دقيقة لا ترى، في متانة لا توصف. فلما أمسك آرس في جريمته، صاح بأعلى صوته ونادى محفل الآلهة وقال:

٣- "يا زَوْس وأنتم يا معشر الخالدين، هبّو من الرقاد وانظروا هذين الفاسقين. إن الخليعة افرذيتي تمتهن عاهتي ودمامتي، وتُعجب بجمال هذا الفظ ورشاقته. ها هما مستلقيان على سريري، ولكنهما لن يستسلما بعد إلى هناوة النوم. وهذه الأغلال لن تبرح مطبقةً على القحة والفسق، حتى يعيد لي زِفس إتاوتي في هذه الفتاة السمجة".

والتأم الآلهة في قصر النحاس، واستولى عليهم الضحك فترة طويلة، واستلقوا على الحضيض من شدته. وخزي الفاسقان خزياً ما بعده خزي. وما أفرج عنهما هِيْفِسْتُس حتى تعهد آرس بالتكفير عن الإثم. ففرت أفْرُذِيتي إلى جزيرة كريت، وأمّت مدينة بافُس. وهرول آرس على جبال ثراقية، وهو لا يدري كيف يمحو لطخة الشنار. وقيل أن أفْرُذيتي ولدت لآرس ابنة دعوها هَرْمُنيّا، وتزوجها كاذمس ملك ثِيْبَة.

٤- ووُلد لآرِس من آغْلَفْرُس ابنة سمّوها ألْكِبِي. فاعتدى عليها ابن بُسِذُون هَلّرُوتيُس وخالطها. فقتله آرس وانتقم لشرفه. فساقه بُسِذُون أمام محفل الآلهة الاثني عشر، وعقدوا جلستهم على هضبة بإزاء قمّة المدينة في أثِينا. فبرأه المحفل ودعيت الهضبة "تلة آرِس" أو آرِيس باغُس. ومن ذلك الحين ما انفك مجلس القضاء الأعلى عند الأثِينيّين، يعقد جلساته على تلك التلّة، للنظر في القضايا الجنائيّة.

٥- وولد لآرس مواليد كثيرون، من الجنيات أو البشريات. وأشهرهم كِكْنُس الذي قتله هِركلِيس، لأنه كان مجرماً ولصاً، يقطع الطرق في وادي تَمْبي. وذِيُميذس أحد ملوك ثراقية. وإنُومَوُس بن هَربِينا بنت نهر آسُبُس.

وقد ملك على بِيْسّا وهي مقاطعة بقرب أَلَمْبِيا في شبه جزيرة اليونان. فلما كبرت ابنته هِبُذَمِيّا أقبل الأمراء يخطبون ودّها لما ازدانت به من جمال. لكن الأب رفض دوماً خوفاً من نبوءة أنبِئ بها، ومفادها أن صهره قرين هِبُذَمِيّا سوف يقضي عليه ويملك مكانه. وأخيراً ظن أنه يمنعها من الزواج ويأمن النبوءة المشؤومة، إذا فرض على طالبي الزواج سباقاً تأكد النصر فيه، لأن أباه آرس كان قد أهداه خيلاً مجنّحاً يطارد الريح. فتقدم على المباراة سبعة عشر أميراً غُلبوا جميعهم على أمرهم، فقتلهم وعلق رؤوسهم على أسوار مدينته. وأخيراً تقدّم بيْلُبس بن طَانْطَلُس ونال من عم أبيه بُسذون خيولاً مطهّمة ذات أجنحة وحوافر ذهبية لا تعرف الملل والكلل، وبالاتفاق مع حوذيّ إنْوَمؤُس وابنته الأميرة هِبذَميّا، احتال على الملك المستبد، وخلخل إحدى عجلات مركبته. ولما آن وقت السباق واندفع الملك على مركبته يسابق الريح، انقلبت المركبة وقتل هو لساعته، وربح الأمير بيْلُبس وتزوج هبُذَمِيّا.

وأحبّ آرس إحدى النساء، فولدت له ولداً وماتت وقت الولادة ولكن آرس سهر على الولد ورضع إلى وقت الفطامة ثدي أمّه الفقيدة.

الفصل التاسع

هيفستس

إلـه الصناعـة

١- أصله ونشأته

١- يبدو أن عبادة هيفستس انطلقت من لِكِيّا في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى. وترعرعت في جزيرة لمنس البركانية، ومن هناك اجتاحت الأتِكي فبلاد اليونان الصغرى والكبرى وخصوصاً جزيرة صِقِليّة.

هذا الإله عندهم إله النور والنار والبروق والشرار، ولعل عرجه يشير إلى تعرج الصواعق في انقضاضها. وهو إله ودود محسن، يسدي إحسانه إلى الآلهة والبشر. وإله صنَاع ماهر يتقن غاية الإتقان صنع المعادن على اختلافها، ويتفنن في صوغها. ويبلغ من فنه فيها حدود الإبداع والإعجاز.

٢- إن هيفستس هو ابن هيرا وزفس. والأغلب أنها حبلت به قبل اقترانها الرسمي بأخيها زفس، أبي الآلهة والبشر. ولكي تخفي فعلتها، اختلقت تلك البدعة، وادعت أنها ولدته دون أن تعرف أباه زفس، على زعم هسيذس.

ولما ولد هيفستس، ألفته أمه دميماً شنيعاً مخلعاً، فألقته من ذرى السماء فهوى الرضيع البائس في اللجة. فالتقطته ثيتس ابنة نرِفْس،

وإفرنومي ابنة أكئنوس، وعالتاه وخبأتاه في كهف مظلم. فلبث تسع سنين يصوغ للجنيتين العطوفتين عقوداً من الذهب وتيجاناً، وقروطاً وأساور وحلى مختلفة مدهشة.

٣- وأرسل ذات يوم إلى أمه هيرا عرشاً متألقاً من النضار الخالص. فابتهجت لمرآه وجلست عليه باعتزاز، وأحاط بها الآلهة ينظرون إلى العرش وصاحبته الفاتنة. ولما كثرت الجلبة حولها، همت بالنهوض تبغي العزلة والهدوء ولشد ما كانت دهشتها عندما تبينت أنه لا سبيل إلى ذلك. وحاول الآلهة إنهاضها فلم يفلح منهم أحد. وأخيراً عرفوا أن صغيرها المنبوذ، صاحب الآية الفنية الفاتنة، يستطيع فك عقالها السري. فأنفذوا إليه آرس، فجاء ساخطاً يتهدد ويتوعد، وأقبل نحو الإله الصغير وتوهم أنه يسوقه عنوة. فدفعه وطارده الإله الحداد بالسبائك المتأججة وكواه كياً مؤلماً، فعاد أدراجه فاشلاً خائباً، ولبث هيفستس في كهفه السحيق في أعماق المحيط.

٤- فلجأ الآلهة إلى ابن سميلي، إلى فاكخس ربيب الكرمة، وتودد لابن عمته بلين، ولاطفه وداعبه طويلاً، وسقاه رحيقاً مشعشعاً فثمل. وعندما طرب من نشوة الخمرة، أركبه صهوة بغلة فارهة، ودخل به قصر الآلهة. غير أن الإله الحاذق، لم يفك أسر أمه حتى وعدوه بالزهرة الزاهرة، إلهة البهاء والفتنة الساحرة. ولكنه لغمه أخطأ الاختيار.

وبعد تلك اللعبة الطريفة، توثقت الصلات بين الابن والأم، ونسي المنبوذ حقده السابق، وانبرى يوماً يدافع عن هيرا، عندما أغلظ لها زفس الضرب والشتم، وأثقل رجليها بالحديد، وعلقها بين السماء والأرض. فأخذه حاشد الغيوم بتلابيبه وقذف به في الفضاء الرحب. فهوى هيفستس يقلب في الجو، ولبث هكذا طيلة النهار من الصباح الباكر حتى الأصيل، وعندئذ سقط في جزيرة لمنس، وهو يكاد يلفظ أنفاسه، وتهشمت عظامه بتلك السقطة. لكن أهل الجزيرة عالجوه، وضمدوا جروحه وجبروا كسوره، وبقي أعرج من ذلك الحين.

٢- حدّاد الآلهة وصائغهم البارع

١- وعاد هيفستس إلى السماء، لما صفا الجو بين هيرا وزفس. وقبل أن تزف إليه زوجه، بنى قصوراً لآلهة أولمبس، وابتنى لنفسه قصراً منيفاً، من الفولاذ والشبه النقي. ورصّع تلك الأبنية الفخيمة بالذهب والحجارة الكريمة، وأهدى الآلهة عروشاً جميلة ومناصب ذات حركة ذاتية، تتمايل بمشيئة صاحبها. واستنبط لنفسه تمثالين حيين، كلا منهما بهيئة عذراء، يتوكأ عليهما في حال العناء لثقل جسمه وضعف ساقيه.

ولما شغر منصب الساقي وكفت هيفي ربة الصبا، عن تقديم كؤوس النكتار، ازدلف هيفستس يجر ساقيه ويحجل متخلعاً بين صفوف الآلهة ليقوم بتلك المهمة الدقيقة. فقهقه المحفل كله واستولى عليه الضحك فترة طويلة، فخجل الأعرج المخلّع، وهجر مقر الخالدين، وقصد جزيرة نكسُس، وحاول الاستيلاء عليها، ليقيم مصانعه فيها. فصده عن قصده ذِيُونسُس، لأنها جزيرته المحبوبة. وقد اختارها لراحته واستجمامه. فلم يشأ أن يُلوث جوها بغازات المصانع وأن يعكِّر صفاؤها بأزيز المطارق.

٢- عندئذ هجرها هِيْفِسْتس عن رضى، ومارس صناعته المحببة، في براكين جزيرة لِمنُس. وهدير تلك البراكين، كان ينبئ الناس بوقع مطارق الإله الحداد، ومطارق معاونيه العمالقة، أصحاب العين الواحدة المستديرة، والجثث الشبيهة بالجبال. فهؤلاء العمالقة يشبهون العماليق الثلاثة أبناء الأرض، الذين قتلهم أبولّن انتقاماً من أبيه لابنه إله الطب. وساعده أيضاً إبناه من الجنيّة إِتْنَا، المعروفين باسم بَلّكِي. وزعم بعضهم أنهما ابنا زفس من الجنية إِتْليّا ابنة هِيفِستس. والأمر غامض لا يعرفه بالضبط أحد. ويقال إن هيرا حنقت على إِتْلِيّا عندما اقترن بها زِفس، فاختبأت في أعماق الأرض من نقمة هيرا، حتى كبر ولداها وعادا إلى النور. ولذا سُمّيا العائدين إلى النور.

ومن جزيرة لِمْنُس، هاجر هِيفسْتس إلى جزر لِباري قرب صقليّة واقترن هناك بكَفُرو بنت ابْرُتفس فأنجبت له أبناءه ومساعديه في صناعته، الكافِري. وتعرّف هناك على الجنية إتْنَا ابنة المحيط، واقترن بها فأنجبت له على الأغلب، الحدادين الكبيرين الملقبين باسم بَلِّكِي.

٣- ولما اقترن هِيفِسْتس بإثنا، أوشك المدخر من المعادن في جزر لباري على النفاذ، فأقنعته زوجته المحبوبة أن يهجر تلك الجزر الصغيرة، المتداعية المهددة دوماً بالانهيار، ويؤم جزيرتها الرحبة الراسخة وموطنها الجميل المفدّى في جبال صقلية البركانية. فأذعن لنصح زوجه، وركّز مصانعه نهائياً في بركان إثنا وفي كهوفه الواسعة ووضع سندانه الأكبر على رأس الوحش الأكبر تِيفُن، الذي تصدّى لجبروت زِفس. فإذا ارتعشت أرض الجزيرة ومادت جبالها واندلع اللهب والدخان من فوهات براكينها، فما ذلك إلا لتململ الوحش ومحاولته اليائسة للإفلات من إغلاله الوثيقة، تحت تلك الجبال.

٣- مآثر هِيِّفستُس وآيات فنّه

١- خلا قصور الأولمبُس وعروشها العسجدية، صاغ هِيفِستس صولجاناً لزفس، كما سبك له بعض صواعقه. وركّب عجلة هِيلِيُس، وسقى أسهم أبولّن ونبال أرْتميس ومنجل دِميتِر وخوذة هِرَكْلِيس. وهو الذي جهّز سلاح بِلِفس وإنِفس وأَخلِفْس. ونمّق عقد هِرْمُنِيا عقيلة كَاذْمس وتاج أرِيَاذنِي وصولجان أغممْنُن، وآيات أخرى مدهشات.

ولا نريد أن نغفل في هذا المقام، العجول النحاسية القاذفة من خطمها شرراً ولهيباً، ولا كلاب اللجين والذهب التي أهداها إلى الكينوؤس، ولا عملاق الشبه القائم على حراسة الشجرة العجيبة في كريت. ويذكر أنه هو الذي كون بَنْذُورا من ماء وطين، ونفخ فيها نسمة

حياة، وشوّفها بأكليل من نضار، وزفها إلى إبمثفس. كما أشرف بذاته على تكبيل ابرمثفس فوق قمم الكوكاز. وشق رأس زفس لتخرج منه أبهى الالهة، إلهة الطهر أثنا.

٢- وقد انقاد هيفستس تماماً لمشيئة أبيه أبي الآلهة، وحضّ الأرباب على إجلاله والإذعان لأوامره. وكم مرة حرّض هيرا على الخضوع والتجمل بالصبر إزاء نزوات قرينها: "تأسّي واصبري يا أماه، مع انجراح مشاعرك، فإذا رأيتك تُضربين، فلن أستطيع إغاثتك، على شدة تألمي، إذ لا يمكن التصدي لزفس، أبي الإلهة والبشر. هذا، وعلى كل حال، فلا رونق للمآدب ولا بهجة للولائم، إذا ساءها التنافر والخصام، فلذة العيش كلها في التصافي والوئام(١)".

٤- غراميات هيفستس:

١- لقد اقترن الإله الحداد بالزهرة أفرذيتي. غير أن الإله الدميم أخطأ في اختياره وجلب لنفسه المتاعب والهموم. فإلهة الجمال والعهارة، ما انفكت تخدع زوجها وتعكر هناءه بلا انقطاع. وقد رأينا انتقامه منها ومن خليلها إله الحرب.

ومتاعبه مع الزهرة الزهراء، لم تحمه من الولع بإلهة الطهر. ويحكى أنه فرض على أبيه زفس، لقاء شج رأسه وشقه، بأن يزوجه العذراء البارزة إلى النور. فقبِل أبو الآلهة ورفضت ابنته أثِنا.

٢- (١) راجع إلياذة هومرس ن١٨ ش٣٧٦.

الفصل العاشر

الزهرة افرذيتي

أو إلهة الأنوثة والجمال

١ - أصلها ومنشأها وميزاتها.

١- أصل الزهرة، في الغالب الأعم، أصل شرقي فينيقي. وعدها الأقدمون إلهة الحب في أسمى مجاليه المشرّفة، وفي أحطّ ظواهره الزائفة.

فأفرُذِيتي الأرَنِيّة، أي الزُهرة السماوية، كانت إلهة الحب النقيّ، إلهة الحب المثالي، في طهره وصفوه وقداسته. وأفْرُذيتي النِمْفِيّة، أي الزهرة المتزوجة، كانت تسهر على الزواج، وتقرّب سبل عقده. ولذا أكرمتها العذارى والأرامل والتمسن منها أزواجاً أماثل.

أما أفْرُذيتي بَانْذِمُس بُرنِي، أي الزهرة العمومية الفاسقة، فهي إلهة الزنى العاهرة، وإلهة الدعارة الفاجرة، وشفيعة الفسّاق والبغايا.

٢- أكرموا الزهرة أفْرُذيتي في كل بلاد اليونان والرومان. ولكن عبادتها تجلت بالمجالي الثلاثة التي أشرنا إليها. وأهم مراكزها مدينة بافُس في قبرص، وكِثِيرا في كَرِيت. ومن أفخم معابدها هيكل اكْنِيذُس في كَرِيا، وهيكل جزيرة كُوس في بحر إكار[١] على الساحل الجنوبي الغربي من سواحل آسيا الصغرى، وهيكل جبل إرِكْس في صِقلّية.

٢- (١) راجع السياسات ١: ٢: ٥ ح١.

وقد عبدوا الزُهرة بُرني في ثِيبة، حيث نحتوا لها تمثالاً في قرون السفينة التي حملت كَاذْمُس، من فنيقيا إلى بلاد اليونان، عندما أخذ يبحث عن أخته أرُوبّا، لما خطفها زفس، وتحوّل عجلاً لتلك الغاية. وعبدوها أيضاً في أثينا حيث تمثّلوها جالسة عارية على متن تَيسٍ. وازدهرت عبادتها خصوصاً في إيْفِسُس وكُورِنثُس، حيث انبرت المومسات رسمياً لتكهن لها.

وعبدوا الزهرة العروس في إسبرطة، وفي نافْبَكْتُس من أعمال فكيس، على الخليج الكورنثي. أما الزُهرة السماوية فقد شادوا لها الهياكل في سكيوني وآرغس وأثينا.

٣- وتمثلوا إلهة الجمال في أزياء ومواقف كثيرة، تمت كلها أو جلها إلى الإغراء، والإثارة الحسية والجنسية. وقد عمدوا لتصويرها ونحت تماثيلها، إلى أشخاص حية نظير الغانيات والمومسات الشهيرات من أمثال لَئيس وافرني واكْرَتِني وكامْفسِس خليلة الاسكندر، فصوروها عارية في أوضاع مختلفة، كلها غواية واستفزاز. ومن هذا القبيل، تماثيل ابْرَكْستِيلِس التي تصور مولد الزهرة وبروزها من المياه. وبرّز هذا الفنان عندهم وبلغ غاية الإبداع. وقد اشمأز بعض الأقدمين من تلك الرسوم الخليعة، نظير أهل جزيرة كُوْس عندما أتوهم بتمثال مثير لإلهتهم(١).

٢- مولد الزهرة وتحكيم بارِس:

١- زعم بعضهم نظير هُومرُس، إن الزُهَرة ابنة زفس من ذِيُوني بنت المحيط وتِثِبْس. والحقيقة أنها عمته، أخت أبيه الزمان، من جدّه أرَنوس. فلما جدع الزمان أباه السماء، وطفا عضوه المبتور فوق اللجة، امتزجت دماؤه

٣- (١) راجع السياسيات لأرسطو، طبعة ١٩٥٧ حريصا، ٧: ١٥: ٨ في هذا المقام يقول أمير الفلاسفة: "فليعن الحكام بألا يمثل رسم أو تمثال أو شيء آخر، قباحة من تلك القباحات، إلا في هياكل بعض الآلهة، ممن يدع لهم الشرع هزلهم الخلاعي".

بمياهها، وأرغدت وأزبدت فبرزت حينئذ إلهة ساحرة، تسبي القلوب والعقول، شقراء لجينيّة البشرة، كلها اعتدال وكمال، وفتنة وسحر وجمال.

دفعها النسيم الرقيق إلى جزيرة كِثيرا. فنظرت الإلهة إلى الجزيرة، من فوق محارتها اللؤلؤية، ولم تتوقف. وتابعت مسيرتها إلى قبرص. فتقبلتها الساعات وشوفتها أبدع شوفة، وزينتها أفخر زينة، وعصبت شعرها الذهبي بأكليل من الماس، فبدا جبينها وكأنه نبراس، وتألق محياها كفرقد الصباح، والحب عن يمينها والشغف عن يسارها، وطارت بها الأخوات الاثنتا عشرة إلى ديار الخلد أُولِمْبُس. فلما رأى الآلهة الساحرة البهاء تشرق البسمة على محياها الوضاء اغتبطوا في قلوبهم غاية الاغتباط "وتمنى كل منهم أن يأخذها لنفسه" ويوليها على جوارحه مدى الأحقاب.

٢- فأثار سحر الإلهة الفاتنة مع الأيام، كامن غيرة هِيرا وأثِنا، وغيرة إلهة الصيد أرْتِميس. فمع كل جمالهن الخلاب، لم يحظين في نظر الآلهة حظوة الزهرة الجذابة الفاتنة، ولا سبين قلوبهم كما سبتها الإلهة الجديدة. ففي دقائق جسمها الإغراء وفي كل تقاطيعها البهاء، بينما كن يوحين المهابة. وقد حزمت خصرها بزنار، عُرف من بعد بزنار الزهرة، طُرّز تطريزاً بديعاً، "وحوى صنوف الغواية، وكل هيام وشوق وحب، كما حوى الحديث الناعم الظريف، والضحك المحبَّب، وسحر العيون ونشوة الحنين، مما يسبي عقول الحصفاء، فأحرِ بقلوب الجهلة الأغبياء(١)".

٣- وفي حفلة زفاف ثيتس ابنة إله البحر بزفس، إلى قرينها البشري بلفس، دعي محفل الإلهة الخالدين، ولم تدع إيرس إلهة النزاع، إلى كهف خِيْرُن في جبل بيلين، حيث أقيمت أفراح الزفاف فمرت إلهة الخصام والنزاع، ورمت تفاحة وردية، لذيذة شهية، في علبة عسجدية، عليها كتابة واضحة جلية: "للإلهة الفاتنة البهية، المتفوقة بروعتها الشجية، وسحر الطلعة والجاذبية".

٢- (١) راجع هسيذس: مولد الآلهة.

ألقت التفاحة وتوارت بسرعة، فطالبت بها هيرا وأثنا وأفرذيتي. ولما طال الأخذ والرد، وحمي النزاع واحتدم الخصام، أمر أبو الآلهة والبشر أن يحكم الخلاف حَكَمٌ ساذج من أولي الإنصاف، واختار لذلك الأمير الراعي بارس، ابن ملك اطروادة ابريمُس.

٤- فقاد رسول الآلهة هرميس الإلهات الثلاث المتنافسات، إلى جبل إيذا في أفرغيا، حيث راح الأمير بارس يرعى قطعان الأغنام والنيران. ولما مثلت الإلهات أمامه، سبين حواسه وقلبه ولبّه. وبعد أن عرف ما حضرن لأجله. رفض التدخل في أمرهن، لئلا يصيبه من حكمه البلاء. ولما أمره هرميس بالخضوع لمشيئة أبي الآلهة زفس، قبل بمهمة التحكيم.

فوقفت به هيرا في مهابة وجلال، وقالت له: "يا بني إن منحتني الجائزة المشتهاة، في هذه المنافسة والمباراة، دفعت إليك ملك آسية بلا عناء ولا مبالاة". ومثلت أمامه أثنا في رشاقة ووقار وقالت له: "أيها الفتى المختار إن نصرتني في هذه الساعة، أوليتك النصر في كل معمعة". أخيراً جاءته الزهرة ربة الجمال في كثير من الغنج والهرج والدلال. وفكت الزنار وخلعت الإزار، وقالت: "يا أخي بارس، إنك لأبهى من كل فارس، فلست أنا من المحاربين الأشاوس ولا أهديك ممالك فارس، ولكني أزف إليك أبدع الأوانس".

قالت فوقع اختياره عليها وساق جائزة الفوز إليها. فأمست في نظر الإلهة والبشر ملكة الجمال وإلهة العهر. وجر الحَكمُ المنساق وراء الهوى، صنوفاً من الأهوال والويلات على نفسه وبلاده، بسبب تهوره وتفضيله المنحاز. وحرب اطروادة شاهدة على هذا.

٣- مغامرات الزُهرَة.

١- إستعر الهيام في قلوب الالهة، إذ رمتهم أفرذيتي من سحرها بسهام. ورام كل منهم أن يسعد بها، وأن ينعم سرمدا بألطافها ومحاسنها. ولكن القدر المشؤوم جعل إلهة الجمال من حظ الحداد الدميم الشنيع كالبوم.

فأنفت تلك الصحبة الكريهة، وراحت تتعزى بقوة آرس ودعابة هرميس. وحصل لها مع آرس ما حصل. وربح الجولة هيفسنس وضم الضاحكين إليه وأخزى العاشقين المستهترين.

وتأثر الآلهة كلهم، ما خلا هستيا وأثنا وأرتميس، بسلطان أفرذيتي، لأنها "أزاغت عقل رب الآلهة زفس، وأغوت روحه اليقظة، وقرنته بنسوة مائتات". إلا أن أبا الآلهة خدع الزهرة الغاوية أفرذيتي، وألهب فؤادها بحب رجل فانٍ "فاهتاجت الإلهة بغرام أنخيسس ملك ايلين. الذي كان يضاهي الآلهة بحسنه وجماله.

٢- فتوجهت نحوه إلى جبل إيذا، وعرجت في طريقها على جزيرة قبرص، فجاءت هيكلها في بافس، وتزينت بأبهى زينة، وضمخت الإلاهات الأناقة واللطف جسدها بأفخر الأطياب،ـــ وجعلن أساور في معصميها وعقداً في عنقها وتاجاً على رأسها. وراحت الإلهة تصعد في الجبل وثلة من النمرة والأسود والسباع، تواكبها وتقفز حولها، وتداعب أهداب ثوبها. فأنست الإلهة بها وألقت الحب في قلوبها.

ولما بلغت مكان محبوبها، تنكرت له وتظاهرت أنها ابنة ملك أفرغيا أترفس، وأضافت: "ما قولك في وصل من يطلب وصلك؟" فامتثل رغبتها ومضى بها إلى قصره وقضى الليلة معها. ولما أصبح الصبح، أشرقت له الإلهة بضياء الألوهة، فذهل وارتعد وأشفق على نفسه من شيخوخة مبكرة، إذ هذا مصير كل إنسان يخالط إلهة. فطمأنته وسكنت ما جاش في قلبه من وساوس. ولما دار الزمن دورته، أنجبت له ابناً كريماً هو إِنيّس التقي النبيل، الذي برّ بوالده.

٣- ولم تهوَ افرذيتي ذلك الفاني فقط، بل علِقت مائتين آخرين، نظير آذن وفِئثُونَ بن إرُوس وكِفَلِي، الذي خطفته الإلهة، وأقامته على هياكلها الدنسة سادناً ليليّا.

واشتهر في أمَثُوس، إحدى مدن قبرص، نحّات مبدع اسمه بِغْمَلِيُّن، قد كره الناس لاسيما النساء، وابتعد عن عشرتهن وصحبتهن. وذلك لأن زمرة من صبايا الحي، قد أنكرن ألوهة أفْرُذيتي. فاقتصت الآلهة منهنّ وأزاغت بصائرهن، فتهتكن وبذلن ذواتهن للرائح والغادي، ولكل عابر سبيل. فاشمأز النحات من ذاك التصرّف الشائن، وأبغض النساء لذلك. واستحالت تلك الفتيات الخليعات إلى صخور صمّاء.

٤- غير أنه نحت مرة تمثال امرأة ساحرة وافتتن بجماله. ولفرط شغفه بذلك التمثال، أخذ يقبله ويضمه إليه كأنه يعانق شخصاً حياً. ولكن الرخام ما كان ليشعر بشدة ولهه. وإذ راح ذات يوم يقبّل تمثاله، ويغمره ضمّاً وشمّاً إذا بمحبوبه يلين بين يديه، ويرد القبلة قبلتين، ويشارك العاشق حبه وغرامه. وذلك بلفتة من أفْرُذيتي، وقد عطفت على عابدها، وأرادت أن تبرهن للجميع أنها تسيطر حتى على الجماد بسحر إغرائها، فتفجّر فيه الحياة والبهجة والحبور.

وبئس الفانيات اللائي تستبد بهنّ الزُهرة وتنبه عقولهن، إذ يتركن بيوتهن والأهل والواجب، ويتبعن هواهن ويجلبن البؤس والشقاء على أنفسهن وعلى الأهل والوطن: نظير ارياذني وهليني. وقد شذّت ابنة مِينُس بَسِفَائي حتى جامعت ثوراً. وولدت تلك الهولة الرهيبة المدعوّة منوتَفْرُس.

بيد أن الزهرة كانت تسهر على الزواج الشرعي، وتحمي الأزواج والزوجات، إذا حوطوها بالعبادة والإكرام.

٥- وقد وُلدها بنون وبنات، من جملتهم هَرْمُنِيّا عقيلة ملك ثِيبة كَاذْمُس الفنيقي. وقيل عن هذه الفتاة إنها ابنة زفس وحفيدة أطلاس من ابنته إِلكْتْرا.

أما ابن أفْرُذيتي من هِرْميس، فقد دعته باسمه واسم أبيه، فأصبح اسمه هِرْمَفْرُوذِتِس. ولهذا الولد قصة غريبة. وذاك أن الزهرة عندما وُلد ابنها هذا، أرادت أن تخفي إثمها مع هِرْميس، فأخذته وعهدت به إلى

جنيات جبل إيذا. فنشأ الطفل بين تلك العرائس، يتنقل من هضبة إلى هضبة، ومن واد إلى آخر. فلما شبّ وترعرع، في تلك البيئة الجافية، وعاش عيشة الشظف والحرمان، طُبع على الخشونة والقسوة، وشيء كثير من اللامبالاة وشدة الحياة. وإذ كان في كَرِيّا ذات يوم يتردد بين الغابات، في صحبة حاضناته عرائس الجبال، بلغ ضفاف بحيرةٍ ترقرقت مياهها العذبة كأديم السماء، فاستهوته تلك المياه ونزل لينعم ببرودتها اللذيذة، في ذلك اليوم اللافح.

٦- وعندما صار في الماء، بدت له ملكة البحيرة، تلك الجنية الفاتنة المعروفة باسم سَلْمَكِيس، وقد سباها جمال الغلام. فأقبلت وباحت له بحبها وعرضت عليه وصالها. ولكن الفتى اليافع خجل واصطبغ محياه بلون قرمزي وأبى الانقياد لدافع الهوى. فدنت ربة البحيرة وأخذته بين ذراعيها عنوة، وراحت تغمره بقبلاتها وتراوده على ذاتها، فلم يستسلم الغلام. وعندئذ لفته بجسمها الناعم، وهتفت بمنتهى الهيام والشوق: "أيها القلب الجافي، فؤادي مستهام بحبك وأنت لا تبالي. إنك تحاول عبثاً الإفلات من عناقي. أيتها الآلهة القديرة، اسمعي دعائي وادمجي جسده بجسدي، بحيث لا ينفك عني ولا أنفك عنه أبدا". فتداخل جسده في جسمها وأمسيا جسداً واحداً.

وقبل انصهاره في عشيقته، تمنى أن تفقد مياه البحيرة القوة لكل من يستحم فيها. وغدا هو والجنية جسماً غريباً، لا يمتاز بخصائص النساء ولا بخصائص الرجال، بل هو جسم وَسَط، قد أشرب من كلا الجنسين.

٤- موكب الزهرة، إرُس وابْسِخِي

١- يقول هِسِيُّذُس في مطلع مولد الآلهة: "كان الخواء قبل كل شيء، ثم بدت غيئاً الأرض الرحيبة الصدر المترامية الأطراف، وأخيراً ظهر إرُس، الذي يذبل النفس ويسيطر في قلوب الآلهة والبشر طرّاً، على العقل والإرادة النبيهة".

فهذا الإله الذي بدا بعد الأرض حالاً من الخواء. والذي يسيطر على الكون بأسره، لأنه سنّته وشريعته الأولى والأخيرة، لم يعرفه قدماء اليونان قبل هسيُّذُس، ولا نجد له ذكراً في عهد هُومِرُس. وهو على كل حال، يختلف اختلافاً كبيراً عن إله الحب الصغير، الذي تمثّله الإغريق بهيئة طفل، يحمل قوساً وجعبة، ويسدّد سهامه إلى قلوب الآلهة والبشر، ويثير كوامن حنينهم، ووجدهم وشوقهم العميق، فيقعون ضحية الهيام والغرام، وفقاً لنزوات ذلك الإله الصغير.

٢- ولم يُعرَف بالضبط منشأه. واختلفوا بشأن أبيه، كما اختلفوا بشأن أمه. فنسبوه إلى زفس وهذا الأغلب، ونسبوا أبوته إلى آرس وهِرميس وزيفرُس. أما أمه فقد قالوا إنها إلِثيّا إلهة القبالة. وقالوا إنها إيرس أنجبته من زيفُرس، وقالوا إنه ولد قبل الزُهرة وكان مع رهط الساعات والهات الأناقة في استقبالها ومواكبتها إلى مقر الخالدين. ولكن الشائع الأعم عندهم، أنه ابن أفْرُذيتي إلهة الجمال والغواية والهوى.

ولم يكن يحترم أحداً ولا والدته بل ما برح يصوّب إليها سهامه النافذة الناعمة وكم من مرة اضطرت إلى ضربه وتجريده من جعبته ومن أجنحته. بيد أنه أسدى إليها أكبر الخدمات، وآزرها في مشاريعها خير مؤازرة، ورافقها دوماً وسهّل لها المهمات، ولم ينجُ هو نفسه من أسهم الوجد، وقد صوبها على الجميع حتى إلى ذاته، فوقع في غرام الأميرة أبْسخي.

٣- ولفرط جمال الأميرة شادوا لها هيكلاً، فغارت منها إلهة الجمال، ووكلت إلى ابنها إرُس أمر معاقبتها، وأبلغت أباها نبأ رهيباً يحلّ به وبمملكته، ما لم يعرض ابنته لهولٍ هائل، في قمة الجبل المجاور للمدينة. فصعدت الفتاة إلى قمة الجبل، وهي تبكي شبابها. وواكبتها الأميرات والوصيفات بعض الطريق يلطمن ويندبن عليها، وبقيت هناك تتوقع أسوأ المصائر، وترتعد فرائصها من مقدم الوحش الرهيب. فلما جُنّ الظلام، إذ بنسيم عليل ناعم،

نسيم زيفرس يحملها برفق على ساعديه، ويطير بها إلى قصر بديع. وهناك ألقيت على فراش وثير، وما عتم القصر حتى أحست إلى جانبها بشخص في منتهى اللطف يلاعبها ويداعبها، فأنساها كل همومها. ولما أنست إليه، طلب منها الامتناع عن تبين شخصه، والاطلاع على صفات محياه.

٤- لبثت الفتاة تتردد إلى قمة الجبل، وتنقل من هناك إلى قصرها، وتعيش فيه بأتم السعادة، فحرك الفضول قلوب أخواتها وصديقاتها، فأشرن عليها أن تستجلي الأمر وتتبين ملامح الإله الذي أحبها، وصوّر لها بصورة وحش مخيف. فأخذت قنديلاً وقدمته من وجهه وهو نائم إلى جانبها، وإذا بمحيّا ساحر فتان لا أبهى ولا أروع. فأخذت بذلك المنظر الخلاب، وتقدمت بالقنديل من الحبيب المعبود، الذي وقفت على أمره أخيراً. وبينما هي تتأمل تلك الملامح الأخاذة، وقعت نقطة على كتف إرُس الإله المعبود، فارتعش وتنبه من سباته العميق، ونظر إلى حبيبته بحزن، وتوارى عن أبصارها هو والقصر وكل فتنته. وبقيت الأميرة على صخرة صماء في عزلة موحشة. وشاءت لفرط غمها أن تنتحر، فألقت بنفسها في نهر قريب، لكن المياه حملتها من ضفة إلى ضفة سليمة معافاة.

٥- وأبلغت الشهرة الطائرة أفرُذيتي أن ابنها الصغير مريض حزين، فآسته وعالجته، وسألته عن سبب حالته، فاعترف لها بكل شيء. فأنحت عليه باللائمة، وأنزلت بالأميرة محناً لا تحصى، تغلبت عليها كلها بمؤازرة خفية من إله الحب. وفي نهاية المطاف، وعدت أفْرُذيتي ابسخي أنها تعيد إليها حبها المفقود، إذا انحدرت إلى الجحيم وجاءتها من عند برسفُوني، بعلبة زينة قدّمتها لها إلهة الجحيم، وعندما أخذت الأميرة العلبة، حركها الفضول في طريق العودة، وفتحت العلبة فتطاير منها دخان كريه، غشّى جسمها البض المضاهي ببياضه بياض السمِّور، اسودادٌ داكن. ولم تستعد بياضه الزنبقي، إلا بأعجوبة من زفس. وقد استعطفه الحب لحبيبته، فأعاد نقاءها وصفاءها وآتاها

الخلود. وزفّت لحبيبها في حفاوة بالغة، واشتركت في الاحتفال افْرُذيتي نفسها، بعد أن أسفر سخطها عن رضى، واستحال كرهها إلى حب. وما قصة ابْسخي أي الروح، إلا قصة النفس يستهويها حب الخير والجمال والكمال، فتسقط وتشقى وتكفر، ثم تعود بالرزايا والمحن إلى جمالها الأول، وتحظى بالخلود والحياة الفضلى والهناء المؤبد.

٦- وواكب الزهرة مع ابنها ارُس، الشوق المذيب بوثس، والرغبة الملحة العذبة هِيمرس، وأحاطت بها إلهات اللطف والظرف والأناقة إحاطة الأسوار بالمعصم.

وتلك الإلاهات، كما رأينا، بنات زفس وإفرنومي الثلاث: أغلئي اللامعة وافرسِيني المبهجة وثَليّا الزاهرة. فعند إقبال الربيع كنّ يشتركن مع إلهات الفصول وعرائس الغدران، في الأغاني الشجيّة والرقصات البهية، ويوفّرن في القلوب مع الضياء وفرة الخيرة والهناء، وبهجة السرور والصفاء، الفائض بالبشر وعرفان الجميل. لأن تلك الإلهات كن إلاهات معرفة الجميل والشكر عليه. ولذا زعم بعضهم خطأ أنهن بنات النسيان بنات الإلهة لِثي، لأن أسرع الأشياء إلى التقلص والنسيان، هو الاعتراف بالمعروف وشكرانه.

الفصل الحادي عشر

يسذون

إله البحر والخصب

١ً- منشأه وامتيازاته

١- ادعى هِرُوذُتُس أن هذا الإله من أصل لِيبي، ولكن الأصح أنه إله يوناني قديم عبده البِلَسْغِي، وهم أول شعب عُرف في بلادهم. واتخذه الأيونين إلهاً لأمتهم، ونقلوا عبادته من شبه جزيرتهم إلى سواحل آسيا الصغرى التي استعمروها وعمّروها وأنشأوا فيها حضارة خالدة، غدت ركناً من أركان الحضارة اليونانية وإحدى دعائمها الثابتة.

وقد كرمه أهل اسبرطة بصورة خاصة، وعبدوه عبادة قوية في المدن الساحلية نظير كُورنْثُس وابيْذفرَس وتِينرُن. عبدوه كإله للبحر وهو إله الأرض أيضاً في المبادئ، وقد دعي بلقب "مُزلزل الأرض" إنُسِختُون. لأن الآلهة أبناء الزمان، عندما اقتسموا أرجاء الكون، خُص بُسِذون بسلطان الأرض، وآذِس سُلّط على الجحيم كما تسلّط زفس على أرجاء السماء وعلى مختلف ظاهراتها: من رعد وبرق ومطر وبرد. فكانوا يقولون قد أمطر كما يقولون لقد أرعد وأبرق.

٢- أما الحيوانات التي خصّوا بها يُسذون، فهي الحيتان والخيل والثيران. وفي بعض أعياده المدعوة تافرية أي الأعياد الثورية، كانوا يزجّون

في لجّة البحر بعضاً من الأثوار السوداء، تقدمة زكية لإله البحر، وفي غيرها من الأعياد الكبرى أقاموا مباراة على صهوات الخيل. وقد وقفوا له الحصان والثور، لأنه بمشعّبه المثلث أخرج الحصان من الأرض، ورمزوا بالثور إلى قوته المخصبة.

وتمثلوا بُسِذُون كإله قدير، على جانب كبير من المهابة والجلال، لا يقلّ عظمة عن أخيه رب الآلهة. ورسموه منتصباً، بلحية كثّة وشعر مجعد، يستر عريه ثوب فضفاض، وقد وقف إلى جانبه حوت صغير.

٢ً- مولد بُسِذون ومآثره

١- إن هذا الإله من أبناء الزمان اخْرُونس، وعقب مولده ابتلعه أبوه كما ابتلع سائر إخوته. ولم يعد إلى النور، إلا بعد أن تناول الزمان من يد زِفس ابنه مقيّئاً عنيفاً، لفظ بفعله كل أولاده المزدردين.

ولكن بعض المطلعين عندهم زعموا أن ريئا أمه وارته ما بين قطيع حملان، وألقمت أباه مهراً صغيراً لتهدئ به نهمته. وشبّ الغلام بقرب مَنْتِنيا وآزر أخاه زفس في حرب العماليق، كما آزره في سحق التيطان[(١)]. وعند اقتسام الغنائم حظي بالسيادة على البر والبحر وعلى السواقي وعلى كل نهر.

وقيل إن الإله بُسِذون في مقارعته العماليق، فصم صخرة من جزيرة كُوس، ورشق بها الخصم بُليفتُس، فأردته ووقعت في البحر، وكونت من بعد جزيرة نِسروس، وفي تلك الحرب عينها اقتلع الجبال والتلال ونثرها جزراً في البحار.

٢- ومع أن الإله عديل لأخيه العظيم زفس، بالمحتد والجاه والسؤدد، فقد اضطر أن يخضع له وأن يذعن لسيادته المطلقة، وإن على مضض وضيم. وقد تآمر مع هيرا وأثنا، للقضاء على سيطرة أخيه، وسلبه الصولجان

٢- (١) راجع ههنا ١: ٣: ٣.

والعرش، وإقصائه عن السيادة والملك. ولكن تأييد افريارئس أعاد لزفس مهابته، فاستكان بين يديه كل عزيز جبار، وغدا الإله القدير القهار. ففرض على أخيه بسذون أن يستعبد لعاهل إيلين، الملك العاتي لؤميذن.

٣- واعترف الجميع بسيادته على البحر، وأما سيادته على البر فقد نازعه إياها كثيرون منهم زفس وذيونسس وأبولن، وهيرا وأثنا وهيليُس.

أما زفس فقد نازعه إغيني، بعد أن أحال معبودته إلى جزيرة، واستحال هو نفسه إلى صخرة فوقها. وذِيونسُس نازعه جزيرة نكْسُس، وأبولن مقاطعة ذلفي، وكان بسذون يملكها بالمناصفة مع غيئا، فأعاضه زفس عنها بجزيرة كلافريا على سواحل الأرغليس، في شبه جزيرة اليونان. وأما هيرا فقد نازعته السيادة على الأرغليس. وحكم في الدعوى نهر إنخوس ونهر أسترين وكفسوس، فخسر إله البحر دعواه، وأنضب الأنهر الثلاثة وأصاب المقاطعة بالجدب.

وزاحم أثنا على امتلاك الأتكي، ففشل كما فشل في خصوماته السابقة، فأغرق البلاد بغمر من المياه العاتية. ولكنه قاسمها السيادة على مدينة اتْرِزِين الأرْغُلِيّة. وأخيرا اختصم وهِيلِيُس على برزخ كُورنثس، فحدد المحكم افرياريس المدينة كمنطقة نفوذ لهيليس، وترك الباقي من البرزخ لبسذون. وهناك أقاموا الألعاب الأزمية أي الألعاب البرزخية.

٤- أما سيادته على البحار فلم ينافسه فيها منافس، ولم ينازعه إياها منازع. فقد وطد دعائم ملكه في أغوار بحر إغيئس، حيث شاد له هيفستس "قصراً منيفاً من أفخم القصور، تغشيه الجواهر وصفائح الذهب. وأرسيت قواعده لتثبت إلى الأبد". فمن ذلك النصر المضيء، كان ينطلق على مركبة سريعة، تجرها كالبرق خيول مطهمة، نواصيها نضار وحوافرها نحاس. فإذا اندفع على مركبته، انفلقت اللجج أمامه، ونشطت الحيتان تتلاعب حوله، ابتهاجاً بمليكها العظيم المفدى. وإذا غضب بسذون لأمر، ثارت الأعاصير وعصفت العواصف، وهدرت الأمواج الزواخر.

٣ً - زواج بسذون ومغامراته الغرامية:

١- واقترن بسذون بأمفتريتي بنت زفس. وقد شاهدها ذات يوم ترقص مع أخواتها جنيات البحار في جزيرة نَكْسس، فشغف بحبها وفاتحها بما جاش في نفسه، فاضطربت الفتاة وهربت منه واختبأت في طرف الغرب، عند التيطان أطلاس. فبعث بسذون ذلفينا ليبحث عنها، فوجدها وحملها على ظهره وأتى بها سيده. فكافأه إله البحر وأعلى منزلته وجعله برجاً من أبراج السماء.

واتخذ الجنية حليلة محبوبة، وعاش وإياها بسلام وصفاء. ولم تشاكله إلا بشأن سِلاَّ إحدى عرائس البحار الجميلات، إذ بالغ في هيامه بها وكاد يتركها من أجل تلك الجنية الفاتنة.

٣- قلنا إنه عاش وقرينته بسلام، لأنها كانت وديعة مسالمة. ولكنه في حياته الزوجية، أبدى كثيراً من الطيش ومن قلة الأمانة، وسلك في هواه مسلك أخيه أبي الآلهة.

فقد أحب جدّته غِيئا، فأنجبت له الجبار أَنْتِيئُس. وعلِق أيضاً أخته ذِمِيْتِر، وراح يضايقها بملاحقاته. فاستحالت لتتخلص منه إلى حِجْرٍ جميلة بيضاء، وتحوّل بدوره ليرتادها إلى جواد أصهب شديد اللجب، فأنجبت له الحصان أرِيُّن، بقدمي إنسان وقائمتي فرس، وقد أوتي الفهم والنطق.

وأغرى مَذُوس في هيكل أثنا، واتخذ لإغرائها هيئة حصان، فحنقت الإلهة من قحته السمجة، وحولت شعر مِذوس إلى ثعابين. وغازل بسِذون جنيات كثيرات، منهن أَلْكِيُوني والدة إثوسا التي عشقها وعبدها أبولّن، وأمُّ هِبرِيْنُر وهِرِيفِسٍ وقد ملك هذا الأخير على فِيُتِيّا. وزاره فيها زِفس وبُسِذون، وأعطوه ابناً من جلد ثورٍ[١].

٢- (١) راجع ههنا سيرة أرتِميس.

٣- وأحب أيضاً الهَارْبِيا كِلنُو، فولدت له لِيكس وإفْرِيْبِلُس وأحب أسْتِبالي أخت إفرُوْبِي وخِيُوني ابنة فُرِيئَس، وإيْثرا قرينة إِغيْئس ووالدة ثِسِفْس.

ومن حظايا بُسِذون ثِثُفاني ابنة فِسَلْتِبْس. وإذ كثر المعجبون بها لفائق جمالها نقلها الإله إلى جزيرة اكْرِيْنِسا. وأحالها هناك إلى غنمة وأهالي الجزيرة إلى قطيع غنم، واستحال هو إلى كبش ضأن ليراودها فأنجبت له الكبش ذا الجزّة الذهبية.

وتعلق أيضاً بأَلُبِي ابنة كرِكْيُّنُ. فولدت له ابناً سماه هِبُوثُئُس، لأن أمه خافت من أبيها، فألقته في غابة. وهناك عطفت عليه فرس وأرضعته حتى نما وترعرع.

٤- وممن عبدهن بسذون مِيْسْتْرا، كريمةَ ملك ثِسَّلِيّا إرِسِخثُون. ولهذا الملك قصة غريبة، وهي أنه انتهك حرمة غابة مقدسة لهيرا، فاقتطعها وأحرقها. ولما أقدم على ذلك الإثم، بلته الإلهة بنهم لا يرويه مأكل، وقد اضطر ليسكن سعيره أن يبيع كل شيء. ولما نفذ ما له واستنفد كل أرزاقه، اضطر إلى بيع فتاته. فآتاها عابدها بُسِذون القدرةَ على التحول من حال إلى حال، ومن هيئة إلى هيئة أخرى. فنجت هكذا من شرّ أبيها وشر من أقدم على شرائها. ولكن أمرها انفضح أخيراً، فأرغم الملك أن يفترس نفسه.

٥- ولما ثار ثائر بُسِذون، واحتدم غضباً على إِنَخُوس، فانضب ينابيعه وسلط الجدب والعطش على أرْغُلِيس، أرسل دَنَئُوْسُ كريماته الخمسين لارتياد الماء. وفيما هن يبحثن عنه، تعبت أمِمُوني إحداهن ونامت فرآها صطر في الغاب وارتمى عليها. ولكن بُسِذُونَ خفّ إلى نجدتها، فأنِست به ولاطفته، وأنجبت له ابناً سمّته نافبْلِيُس، أسّس مدينة نَفْبْلِيّا وابتلعته مياه الغمر لأنه جدّف على الآلهة.

وقد أنجبت الجنية بريني لبسذون ابنة بديعة وديعة، أحبت ارتميس وتبعتها في حياة الصيد والطهارة والشظف. فرمتها الإلهة خطأ بسهم وأردتها. فسالت دموع أمها الثكلى ولم تنضب، واستحالت إلى نبع غزير فيّاض.

وقد خدع الجنية ترو، بعد أن يئس من صداقتها، فبدا لها بشكل عشيقها انبيئس الإله النهر، فاستأنست به واستسلمت لمودته وأنجبت له ولدين هما لبيس ونلفس.

٤ً - أعقاب بُسِذون المشاهير

١- أعقب بُسِذون نظير أخيه زفس ذرية لا يحصى عديدها، لأن أهل مدن كثيرة من المدن الساحلية آثروا الانتماء إليه، كما آثر غيرهم الانتساب إلى أخيه زفس أو أحد كبار الآلهة. واشتهر بين أولئك المواليد إيفْغِمُس ابن إفْروبي. وقد شارك بُسِذون أخاه في حبها. وأعطى مولوده منها قدرة السير على المياه، واشترك ذلك البطل المغوار في رحلة السفينة أرْغُو. ورزق من بِتاني ابنة بهية اسمها إفاذني أحبها أبولّن، فأنجبت له جامُس. وباضت مُلْيُوني لبُسِذون بيضة فضية، أسفرت عند نقفها عن توأمين، قادا جيوش أفْغِيَّس وبارزا هِرَكليس عندما أخلف الملك بوعده. فأجهز البطل عليهما وقتلهما. واعتقد بعضهم لشدة التشابه بينهما، أنهما امتلكا جسماً واحداً برأسين أربع أذرع وأربع أرجل.

أما كِكنُس بن هربالي، فقد أصبح ملكاً على كُلُوني من أعمال أطْرُآس. واشترك في حرب اطروادة. وإذ كانت منعته تصونه من الجراح، خنقه أخِلِفْس بسير قبّعته. وعندما أراد تجريده من سلاحه استحال جسمه إلى تمّ.

٢- وملك آمِكُس بن ملِيّا على فِثنِيّا، وقد كان جباراً شديد البأس سيئ الخلق والخلق، يصارع الغرباء الذين يَؤمّون بلاده. ولما جاءه بحّارة أرغو عرض عليهم المبارزة. فتصدّى له بُلِذِيفِكِس، بنُ لِيذا وزفس، وقتله.

والجباران إفيالْنِس وأوتس وُلد له من إفمِذِيّا عقيلة ألُئِفس. وقد تجاوز طولهما عشرين متراً، ولما يبلغا بعد التاسعة من عمرهما ولما تطاولا على هِيرا وأرتِميس، احتالت عليهما هذه فاقتتلا، ورُبطا إلى عمود في التارْتَرُس بسلاسل من ثعابين.

٣- وقد انتحى كِرْكِيُن براري إلِمسيس، وقطع الطريق هناك على المسافرين إذ كان يتحدّاهم ويصارعهم ويقتلهم. فظفر به ستِفْس وصرعه كما صرع وقتل لصاً من أبناء بسذون اسمه سِيْنِس، أقام في برزخ كُورِنْثُس يشلح المسافرين، ويشدهم إلى شجرتي صنوبر كان يدنيهما الواحدة من الأخرى. وبعد أن يعلق أطراف ضحيته بهما، يتركهما تأخذان مداهما. فيُشق المسكين المربوط بهما. فقمعه ثِسِفْس وقضى عليه بالعذاب عينه.

وفي عداد من اشتهروا من أبناء بسِذون، الجبار بُليفِمس بن ثُؤُسا وقد فقأ أذِسِفْس عينه الوحيدة في وسط جبينه. ونجا هكذا هو ومن تبقّى من الرفاق، وأفلت من قبضته ومن أنيابه الطواحن.

٤- وخلص هِرَكليس الديار المصرية من طاغية استولى عليها اسمه فُسيْرِس. وكان هذا الطاغية ابن بُسِذون ولِفيّا. ولكثرة شروره ضربت الآلهة بلاده بالجوع. ولما اشتدت المجاعة وخاف ثورة في الشعب، أشار عليه عراف قبرصي أن يذبح غَريباً استعطافاً للآلهة. فأخذ العرّاف وذبحه. ولبث على هذه الحال يذبح كل سنة رجلا أجنبياً. ولما قدم هِرَكْلِيس الديار المصرية، أمسكوه وهمّوا بذبحه. ولكنه أفلت منهم وقتل ملكهم. وأبطل هكذا الذبائح البشرية عندهم.

وقد اعتاد بُسِذون أن يسلّط الضواري على خصومه، ويبتليهم هكذا بالتنانين والسباع، والوحوش الكاسرة المفترسة. فلا عجب إذا وُلد له بنون يضارعونه فظاظة وشراسة.

الفصل الثاني عشر

هستيا أو إلهة الموقدة

١- إن هِستيا إلهة قديمة عريقة في القدم. وهي علاوة على ذلك إلهة وادعة حليمة محببة. فالموقدة لا يستغني عنها احد، وهي نقطة الثقل في البيت، وواسطة العقد في عناصر حياة الأسرة. ولذا أحب الجميع إلهة الموقدة، وأكرموها وحوطوها بالتجلة والمحبة.

فحول الموقدة اجتمعت الأسرة، وهي التي جمعت شملها. وعندما كانت الأسر تنمو وتتفرع، فالفروع المتشعبة عن الأسرة الأصلية، كانت تأخذ منها الجذوة الأساسية، لتضيء وتشعل موقدة جديدة. وعندما كانت تتجمع أسر كثيرة لتؤلف بلدة أو مدينة، كانت تنشئ قبل أي شيء آخر، موقدة عمومية تعد موقدة البلدة أو المدينة أو الدولة، وينصبونها في دار الشورى. وفوق كل اعتبار، كانت الموقدة ضرورية لتقدمة الذبائح، إذ منها كانوا يأخذون النار لإحراق المحرقات وتقديم الأضاحي.

٢- فهستيا نظير هيفستس إلهة النار، ولكن لا نار البراكين ولا نار المصانع والحدادين، بل نار المنزل ونار التدفئة، ونار الصداقة ونار الألفة والمحبة فهستيا إلهة عائلية، وإلهة اجتماعية تحمي الأسرة كما تحمي المجتمع، وتحمي المدينة كما تحمي الدولة. وقد شادوا لها هياكل مستديرة وتمثلوها بهيئة سيدة كريمة رزينة جليلة، أسبلت رداءها الفضفاض إلى القدمين، وغطت رأسها بوشاح تهدل فوق الكتفين.

ويقول لنا هسيذس إنها بكر أخرونس وريئا، ومن ثم بكرُ الألمبيين والآلهة المخلدين. وقد عرف ذلك اليونان، وسكبوا لها السكب في بدء ولائمهم، وسكبوها لها في ختام مآدبهم. وما اشتركت قط في منازعات الآلهة، بل تجنبتها بحرز، ولبثت دوماً في دعة وسلام.

٣- وأرادها بسذون شريكة لحياته وسلطانه على الينابيع والبحار، ولكنها أبت عليه ذلك، كما ردّت طلبات أبولّن ابن أخيها زفس مجمع الغيوم. ولما لجوا وألحوا في الطلب، وقفت في محفل الخالدين ولمست هامة أخيها أبي الآلهة، وأقسمت أنها ستبقى عذراء مادامت الدهور وتعاقب الملوان. فقبل زفس قسمها، وفازت مع أرتميس وأثنا، بامتياز العفة والطهر. وهكذا نرى أن شعب اليونان، على إباحية العالم القديم، قد عظّم البتولية والطهارة، وخص بها ثلاثاً من كبار الإلاهات، وقدّس قيمة من أسمى قيم الإنسان، وعرف أن المرأة ليست أداة لذة، وأن لها في ذاتها قدراً سامياً وإمكانيات إلهية رفيعة.

الفصل الثالث عشر

آلهة السماء الأصاغر

انطوت سماء أبي الآلهة على آلهة أكابر عرفنا جانباً من أمجادهم ومخازيهم وانطوت أيضاً على آلهة أصاغر قاموا إجمالاً على خدمة الآلهة الأكابر.

١ً- الإلهة ثِيِّمِس إلهة الحق والعدل.

١- هذه الإلهة هي ابنة السماء والأرض، وابنة غِيْئا وأرَنُوس، ولمّا استولى الألَمْبِيّون أبناء أخيها اخْرُونُس على مقاليد الأمور في الكون، لم تُنحَّ مع إخوتها التيطان عن سياسة العالم، ولم تقصَ من سماء المخلّدين، بل لبثت في قصر زِفس، وجلست دوماً إلى جانب عرشه، لتسدي إليه النصح والمعروف. ويبدو أن هِيرا شريكة حياته، لم تر في الأمر إجحافاً بحقّها ولا تعدّياً عليها. وإذا دخلت محفل الآلهة، تناولت من يد زوجة زفس الثانية، وأمينة سرّه ومستشارته الحاضرة، كأس النكتار، بكل بشاشة واستئناس.

٢- وما ذلك إلا لأنها تعرف جيداً أن ثِيْمِس هي إلهة الإنصاف والحق والعدل. وهي التي ترتّب عيش الآلهة، وتعد لهم المآدب والولائم، وتشيع الهدوء والسكينة والنظام في حياتهم، وإذا ختلّ جانب من ذلك النظام، فهي الساهرة على إحقاق الحق وإعادة العدالة إلى نصابها. وقد حدبت على حداثة زفس، ولذلك أحبّها واقترن بها، قبل أن يفضّل عليها وعلى غيرها نهائياً أخته

هيرا. وهي التي سهلت ولادة أبولّن وأرْتمِيس، ومنحت أبولّن موهبة العرافة ومقامها في ذِلْفي. ومن اقترانها بزفس ولد لها ربّات الفصول والساعات، وربات المصائر الثلاثة. ويُقال إن المغربيّات بناتها أيضاً.

٣- وقد تمثّل قدامى اليونان هذه الإلهة بشكل امرأة كاملة السن جليلةٍ مهيبة. وأحبّوا أحياناً أن يشيروا إلى نزاهة العدالة، وبعدها عن كل تحيز، فصوّروها مقنّعة بمنديل، وقسطاس الحق والعدل في إحدى يديها. وشادوا لها المعابد في كل مكان، في أثينا وثِيْفة وتانَغْرا وألَمْبِيّا، ومدنٍ غيرها كثيرة.

وقد أكرموها في تلك المعابد، كمخلصة من التعدي والظلم، ومشيرة في محافل الأمة ومجالس نوابها، ومرشدة نصوح في الأعمال والملمّات. وروى بعضهم أنها هي التي أشارت على ذِفْكليُّن وامرأته، بعد الطوفان أن يأخذا عظام الجدة الأولى ويرميا بها وراء ظهريهما، لبعث البشرية من جديد على وجه البسيطة.

٢ً- إرِيْس رسولة زِفس ووصيفة هِيرا

١- ولما اقترنت الأرض غيئاً بابنها بُنطُس أي البحر، أنجبت في ما أنجبت ابناً دعته العجب العجاب وذاك العجب ثَقْماس اتخذ له حليلة الكِتْرا بنت المحيط وأختِه تِثِيْس، فولدت الكِتْرا لثَقْماس الإلهات الخاطفات

وإريْس قوس قزح. وهذه الإلهة عندهم هي مبعوثة الأرباب ورسولتهم، ولاسيما زفس وامرأتِه هيرا، فإذا أراد أبو الآلهة أن يبلغ أحد الخالدين أو المائتين امراً، أنفذ إليه قوس قزح. فتنحدر تلك الإلهة تخترق الأجواء أو تتخذ قوسها اللامعة كجسر بين السماء والأرض، وتطير بأجنحتها السريعة إلى صاحب العلاقة، وتبلغه المشيئة الصمدانية. وكانت إريس تخترق البحار كما تخترق الفضاء، وتبلغ دركات الجحيم بالسهولة والرشاقة نفسها. وكثيراً ما قصدت تلك الديار لتملأ من مياه استِيكس كأساً ذهبية وتعود بها إلى مقرّ الخالدين، ليحلفوا بتلك المياه وبربة تلك المياه الرهيبة.

٢- قامت إرِيس بتلك المهمة الجليلة خير قيام. وبالإضافة إليها، أقامها زفس وصيفة لعقيلته هيرا، وتابعة أمينة ومزينة فنانة. فهي التي كانت تحمّمها وتلبسها وتمشطها وتشوّفها أفضل شوفة، وتسهر عند قاعدة العرش ليل نهار دون أن تحل سير حذائها أو ترخي زنارها أو تستسلم إلى الوسن والثبات.

هذا وإن تلك الإلهة المشرقة كالنور والناعمة كألوان قوسها الزاهية لم تقصر خدماتها على أبي الآلهة وقرينته، بل في نعومتها وطيب سجاياها، أسرعت مراراً إلى نجدة الآلهة الآخرين، وتقديم الغوث والعون لهم. فهكذا عندما جرح دِيميذس الزّهرة أفْرذيتي في سهول اطروادة، أقبلت إريس بلهفة وآست الإلهة الجريح، وأصعدتها على مركبة آرس، وعادت بها إلى محفل الآلهة.

٣- ولم تستثن من عطفها وإحسانها البشر أنفسهم. فقد سمعت يوماً أخلفْس بن ثتيس وبلفس، يبكي صديقه بتركليس، ويتشكى من اللهيب الذي أبطأ في التهام جسمان الحبيب الراحل. فخفت رسولة الآلهة وأتت كهف زيفرُس، والتمست منه أن يغادر صحبه ووليمته، وأن يأتي مع فُرْيئَس ويضرم النار المحرقة.

وقد زعم بعضهم أن النسيم زيفرس هو قرين إريس، وأن إله الحب إروس هو ابن هذين الخالدين. وقد أكرموا الإلهة إريس خصوصاً في جزيرة ذيلس، وقربوا لها كقربان مرضيّ تيناً يابساً وقطائف بعسل.

٣ً- هيفي إلهة الفتوة ونضارة الشباب

١- هذه الإلهة الفتية هي ابنة زفس وهيرا، وقد استحلاها والدها واستحلى فيها خصوصاً نعومة رجليها وقدميها، فنصبّها ساقية في الأولمبس، تدور محفل الأرباب، وتصبّ لهم في آنية عسجدية، رحيق الخلود وطعام السعادة. وفيما هي ذات يوم تقدم لهم رائق النكتار، زلّت بها قدمها اللطيفة،

فانقلبت أمام الخالدين مقلباً سيئاً، فاعتراها الحياء والخجل الشديد، واستولى على الآلهة والإلهات، موجة من الضحك صاخبة، بلغت ذرى السماء. وعلى الأثر استاءت الفتاة الخالدة، واعتزلت قصر أبيها، واعتصمت في خلوتها، لا تحضر مآدب الأرباب. وإن حضرتها لزمت مكانها، لا تُقدم على شيء من مهمة السقاية، كما اعتادت في الأمس وما قبل.

٢- ولكنها لبثت تعنى بمركبة أمها، وتشد الخيول السوداء والبيضاء إليها بسيور من ذهب، وتساعد الإلهة ذات المهابة والجلال في اعتلاء المركبة والنزول عنها. ولما أنجز هركليس أعماله المجيدة، وقُبل في مصفّ الآلهة المخلدين، زفت إليه هيفي كزوجة محبوبة مكرمة.

وهذه الإلهة الرامزة إلى بهاء الفتوة، وريعان الشباب ونضارته، عبدها اليونان. وشيدوا لها المعابد والمذابح، في أثينا وسِكِبُون وأفْلِيُوس، من أعمال شبه جزيرة اليونان. وفي المدينة الأخيرة المذكورة، وقفوا لها غابة مقدسة، امتازت بحق اللجوء. فلا يُقبض فيها على المجرم ولا يساء إليه، ما لبث معتصماً بذاك الملجأ المقدس.

٤- غنِمِيذس ساقي الآلهة

١- ليس هذا الشريف المؤلّه إلهاً ولا نصف إله، وإنما بشراً جاد عليه أبو الآلهة والبشر بموهبة الخلود. فهو نجل ملك افْرغيّا اتْرُوس من قرينته كلروئِي ومنهم من نسبه إلى أحد ولدي اتْروس أو حفيده لؤُميْذن أو أبيه إرخْثُون بن ذَارذنُس بن زفي من الكْترا بنت أطلاس.

ومهما يكن من أمر، فقد أحرز ذلك الشاب جمالاً خلاباً، سبى قلب أبي الآلهة بالذات، وقد كان يبحث آنذاك عن خلف لهِيفي، يخلفها في مهمة السقاية. فلما وقع بصره على الغلام، أعجبه قدّه وهو يميس كغصن بان، ورونق محيّاه وهو يتألق بهاءً وبشراً، ووقع إلى جانبه على جبل ايذا بهيئة نسر.

٢- عجب الفتى لذلك الطائر النبيل، ولم يعتد قط الألفة والمؤانسة. عجب منه يدنو بوقار، ويبدي الكثير من الهدوء والاستئناس، بدل الوحشة والابتئاس. ويفرد جناحيه في ظرف ولين، ويداعب بأحدهما خليله المنفرد مثله في رؤوس الجبال. وكأنه يدعوه إلى امتطاء ظهره وركوب متنه ليحلق به في الفضاء.

عنت الفكرة للغلام الناعم البديع، فعلا ظهر النسر وأمسك جيداً بجناحيه، وإذا بالجارح الجبار، يندفع براكبه المحبوب في أجواز السماء، حتى بلغ ديار الخالدين. وعهد إليه بمهمة هيفي المستقيلة. فقام بها الساقي الجميل خير قيام، وأثار بذلك على شعبه وأمته حفيظة هيرا، لأنه اختلس في نظرها منصب فتاتها المحببة. وعوض زفس الملك المفجوع عن تلك الخطيفة بخيولٍ تسابق الريح.

٥- الحوريات ربّات الفصول والساعات

١- تعني كلمة هُوْره عندهم السنين والفصول والساعات. ولذا اختلفوا على عدد تلك الربات أو الحوريات، كما اختلفوا أيضاً على مهماتهن وامتيازاتهن.

ففي البدء كانت تلك الحوريات إلاهات الغيث إذا همى والسيل إذا طمى، ومن ثمة إلهات الإثمار والفواكه ينمينها وينضجنها، ويؤتينها ألوانها الزاهية ونكهتها اللذيذة ورائحتها الشذية.

بالإضافة إلى تلك الامتيازات على الصعيد المادي، خصوا تلك الحوريات بامتيازات على الصعيد الروحي، وجعلوها حافظات للنظام الأخلاقي وساهرات على الشرائع والعدالة والسلام. فهن اللائي، كما يقول هِسيِّذُس، "ينضجن أعمال البشر، ويحوّطن الشبيبة بالعطف والدراية".

أما في مقر الخالدين فقد أنيط بتلك الحوريات فتح أبواب السماء وإغلاقها ليدخل الآلهة ويخرجوا، وهن كنا ينشرن الغيوم ويطوينها. ويشددن

الخيول إلى مراكب الآلهة. ويحدبن عليهم في ولادتهم وطفولتهم ونعومة أظفارهم. فقد عنين هكذا بهيرا وهِرميس وذِيُونسُس. وكن مع ربّات الأناقة والظرف، يحيين حفلات الآلهة الراقصة تحت إشراف أبُولّن، ويظهرن فيها كخود فاتنا، عصبن شعرهن الطويل، المسبل على أكتافهن، بتيجان من نضار وجواهر ساطعة.

ويحكى عن كَربْو إلهة الربيع أنها كانت محبوبة النسيم، وأنها أحبت هي ابن النهر الإله مِيْئَنْدْرُس، ولما يئست من اكتساب وده، ألقت بنفسها في النهر، فحوّلها زِفس إلى ثمار. أما أختها إرِينِي أي السلام، فقد أنجبت ولداً ثَريّاً سمّته ثَرْوَت، وقال بعضهم ازدهار.

وقد عبدوا هذه الحوريات في أثينا وآرْغس وألَمْبِيّا وعلى الأخص في كُوْرِنثُس.

البَابُ الثَّالِثُ

آلهة الأرض والماء والفلك والهواء

وحياة الإنسان والجحيم

الباب الثالث

الفصل الأول : آلهة الأرض

الفصل الثاني : آلهة الماء المالحة والعذبة

الفصل الثالث : آلهة الفَلَك

الفصل الرابع : آلهة الهواء

الفصل الخامس : آلهة حياة الإنسان

الفصل السادس : آلهة الجحيم والعقاب والثواب

الفصل الأول

آلهة الأرض

الفقرة الأولى

غيئا وريئا وكفيلي

١- غِيئا الجدّة الأولى والعظمى:

١- "قبل كل شيء كان الخواء، يقول هسيذس، ثم بدت الأرض غيئا الرحيبة الصدر المترامية الأطراف...

"ووضعت الأرض ابناً لا ينقصها عظمة وجلالاً، هو أرنوس جَلَدُ السماء الزاهرة، ليكتنفها كلها ويلبث للآلهة المغبوطين مقراً وطيداً.

"وولدت الجبال الشامخة، مراتع الإلهات عرائس الوديان... وأنجبت دون ارتياد الحب البحر العقيم بُنْطس يزخر بأمواجه العاتية.

"واقترنت بابنها أُرَنُوس، فولدت أمة التيطان ومنها أخرونس وريئا... وأمة العمالقة الرعد والبرق والصاعقة... وأمة العماليق "أصحاب المئة يد والخمسين رأساً"، ثم الإلهات الثائرات إلهات السخط والانتقام، والعمالقة الأشداء حملة الرماح الفتاكة. وأخيراً الإعصار تيفن أو التنين تفيئُس[1].

٢- فالأرض إذن أم الجميع وهي والدة الإلهة طرّا أو جدتهم، ولكن ابنتها ريئا ما عتمت أن نابت منابها وحلت في قلوبهم محلها. وتغلبت

١- (١) قد تقدم ذكر هؤلاء جميعاً في كلامنا عن مبادئ الكون. والباب الأول ف١ و٢.

ريئا على أمها غيئا، وانطوت عبادة الجدة الأولى، وازدهرت عبادة أمّ الآلهة الألمبيين.

٢- ريئا وكفيلي أو ريئا- كفيلي:

١- يبدو أن الإلهة ريئا كريتية الأصل، وأن كفيلي أفريغية المنشأ وعُرفت عبادتها في كريت ومنها انتشرت في بلاد اليونان، الصغرى منها والكبرى. ثم امتزجت الإلهتان واختلطت معالم الواحدة بمعالم الأخرى، وبرزت هذه وتلك بوجه مشرق واحد.

اقترنت ريئا ابنة تنيئا، أو كفيلي ابنة غيئا، بأخيها التيطان اخرونس، فأنجبت كما رأينا سلالة الآلهة الألمبيين الكبار: زفس وبسذون وآذس، وهستيا وهيرا وذميتر. وبعد أن ابتلع الزمان أبوهم العدد الأكبر منهم، عاد وقاءهم بفعل مقيء هدت زفس إله بنت عمته ميتس. ولذا دعوها أم الآلهة، والإلهة الجدة والإلهة الطيبة.

٢- وقد مثلت ريئا أو كفيلي الأرض في مظهرها البدائي، وطبيعتها الموحشة، بجبالها ومغاورها، وآجامها وغاباتها، وكنوزها وثرواتها الدفينة. وتمثلوها في هيئة امرأة كريمة مهيبة وقورة، يكلل هامها تاج ذو أبراج، تشير إلى المدن التي تدافع عنها الإلهة. وقد جلست على عرش أحدقت به الأسود، أو اعتلت مركبة جرتها الضواري عينها. فهي أم الطبيعة بكل غناها، ومن هنا دعيت ثروة أو كنزاً.

٣- وقام على خدمة هذه الإلهة طائفة من الكهان، نسبوا إلى كريفس أحد أبنائها، أو إلى الجنية كفيرا إحدى أعراس هيفستس، أو إلى الجنية إيذا فدعوا باسمها، وأطلق عليهم أيضاً اسم غَالِي وذاكْتِلي وكوريتس. وهم الذي حدبوا على طفولة زفس ونجّوه من ازدراد الزمان له.

وفي شعائرهم الدينية كان أولئك الكهان يدمنون الرقص، على عزيف المزمار وطنين الطبول ورنات الصنوج. وإذا استفزتهم النشوة، استسلموا إلى حركات خليعة، وجلدوا أنفسهم بالسياط ومقارع من كعاب، ويبلغ بهم الهيجان على أن يشطبوا أجسادهم بالسكاكين ويقتطعوا أعضاءهم ويَخْتَصوا.

٤- وقد قرنوا هذه الإلهة في افرِغيّا، بإله مجهول الحسب والنسب، لا تعرف بالضبط هويته. وقد قيل إنه راع من تلك البلاد، هويته كفيلي واتخذته كاهناً لها، وفرضت عليه عيشة التبتل. فصعبت عليه العيشة وأخلف بوعده واقترن بابنة نهر سِنْغَارُيس. فحنقت الإلهة لخيانته وأصابته بالجنون، فبتر في إحدى ثوراته نفسه وغدا من الخصيان. وإذ عاد إلى إهابه، همّ بقتل نفسه، فأحالته الإلهة العاشقة إلى كوز صنوبر. وقيل إن زفس سلط عليه، غيرة وحسداً، هلوفاً كاسراً أودى بحياته.

٥- واقترنت كِفِيلي بغُرْدِيُس ملك افْرِغِيّا، المشهور بعقدته التي لا تحل. وقد أحسن الاسكندر حلها، فبترها بسيفه. وأنجبت الإلهة من زواجها ذاك ابناً ذائع الصيت، خلف أباه على العرش ودعي باسم مِيذَس.

وقد أحسن مِيْذَس ذات يوم إلى سِلِنُوس، وكان هذا الصطر، مربي ذيونسس، قد تملى من النبيذ على ضفاف سنغاريس وسكر. فآواه وعامله بمروءة ورفق. فحسن هذا الصنيع في عيني إلهة الخمرة، وخير الملك ميذس في أن يختار ما يشاء، فتحقق له أمنيته. فالتمس ميذس أن يستحيل إلى ذهب كل ما يلامسه. فكان له ذلك، واستحال له الطعام ذاته إلى نضار. فحزن ميذس وشق عليه الأمر جداً. فتحنن عليه الإله وأمره أن يغتسل في نهر بَاكْتُلُس. فاغتسل وطفق النهر من ذلك الحين، يزجي في مياهه قصاصات من ذهب.

٦- ولما حكم مِيْذَس لمَرْسِيس بالتفوق في العزف على المزمار، عندما نافس الإله أبولن، حنق هذا الإله وأعطى الملك المغفل أذني حمار. فسترهما ميذس بقبعة افريغية. ولم يدر به أحد سوى حلاقه. وقد فرض عليه الملك أن يحفظ السر تحت طائلة الموت. فضاق صدر الحلاق بسره، فاحتفر في الحقل حفرة على ضفاف نهر، وباح بسره للأرض. فنبت القصب في تلك الحفرة، وراح يردد كلما هزه الريح: ميذس الملك ذو أذني حمار". وإذ شاع على ذلك الوجه سره، شرب من دم ثور وانتحر.

الفقرة الثانية

ذِمِيترِ إلهة الزرع والضرع

١ً- منشؤها وميزاتها.

١- ذِمِيتر أخت الإله زِفس، وابنة رِيئا واخْرُونُس. وقد ابتلعها أبوها كأغلب إخوتها وأخواتها ثم عاد وقاءها. وهي عندهم إلهة من إلاهات الأرض القديمات. ولكنها إلهة الخصب وإلهة الزراعة، وإلهة الزرع والضرع، والخضار والأثمار، وما تؤتي الأرض من خير وبركات. فهي حامية الفلاحين وصائنة جهودهم وعرق جبينهم. وهي تنمي مواسمهم وتحفظها إلى آن الحصاد. وقد كرسوا لها من الحبوب الحنطة والشعير. وصوّرها بهيئة الأمهات، تحمل في يد سنابل القمح، وفي الأخرى سنابل الشعير، مع زهر الخشخاش الذي أكرموها به في تقادمهم. وقد التفّت الحيايا على كِلتا يديها. وتمثّلوها أيضاً في بعض الأنحاء كما في أرْكَذِيّا، برأس فرس أو ثور، وقد رفعت في يد ذلفينَا وفي الأخرى حمامة وادعة. كما رسموها غالباً مع ابنتها كوري بثياب جميلة فضفاضة والتاج على رأس والمشعل أو الصولجان في يدها.

٢- أحب الأقدمون تلك الإلهة، ورأوا في عطفها حنان الأمهات. فهي من الآلهة التي حدبت على البشرية في رأفة ولهفة، وأغدقت على بني الإنسان آيات الحضارة وسوابغ الإحسان، ومن جملتها سنة الزواج، وسموها لذلك تِسْمُفُوْرُس، الإلهة المشترعة.

وقد عبدوها في الأتّكِي والأرْغُلِيس وأرْكَذِيّا وجزيرتي ذِيْلُس وكريت وآسيا الصغرى وصقليّة. وشادوا لها الهياكل غالباً في وسط الآجام. وحوطوا

شعائر عبادتها بكثير من الكتمان. واعتادوا أن يحفروا في الأرض إبان الحفلات حفراً، دعوها تاميْغَرا، وأن يئدوا فيها الضحايا الحية لاسيما من صغار الخنازير.

٢ً- مشاكل ذِمِيتِو وأبناؤها

١- عُرفت الإلهة ذِمِيْتِر بجمال باهر، وقد كانت شقراء ذات شعر ذهبي ناعم. وعلى مهابتها وجلالها، فقد شغف بها أخوها بُسِذون وراودها مراراً على ذاتها. فنفرت منه وأمّت أرجاء اركذيا. وتنكّرت هناك بشكل حِجْر. واختلطت بخيل الملك أنْكُس. لكن عابدها اكتشف مكمنها، واتخذ هو أيضاً هيئة جواد وخالطها. فأنجبت له حصاناً بقدمي إنسان وقائمتي جواد. ويحكى أنها عادت فولدت له ابنة لبث اسمها مكتوماً، فلُقبت بلقب متسلّطة.

٢- واغتاظت الإلهة غاية الغيظ من فعلة أخيها النكراء. وهجرت ديار أوْلِمبُس، وتنكرت بزي إلهة ثائرة، من الإلاهات السخط والغضب، وقبعت في أحد الكهوف. لكن زفس لاطفها وأبدى لها غاية الرفق، فتطهّرت في مياه لاذُن، نهر من أنهار إيلس، في شبه جزيرة اليونان. وعاودت مساكنة الخالدين. إلا أن زفس أبا الأرباب كان قد شغف بها في تلك الأثناء، فهربت منه واستحالت إلى مهاة، فاتخذ هو شكل ثور وحشي وغشيها، فأنجبت له ابنتها كوري، إلهة الفلاحة والحصاد.

وعلقت ذِمِيْتِر مع كل رصانتها، بطلاً من أبناء زِفس يدعى يَسِيُّن، فاقترنت به في أخاديد الحقول، وقد شقتها سكة الفلاح. وعاشت مع حبيبها أعواماً وسنين، في وئام وسلام وصفاء كبير. فأنجبت له مولوداً أسماه الثراء. وزعم بعضهم أن أبا الآلهة رشق يَسِيُّن في حقوله بإحدى الصواعق الماحقة، بدافع الحسد واعتلاج الغيرة.

٣ً - مصابها بابنتها بِرسفُوني

١- خصّت إلهة الزرع والضرع ابنتها كوري بمحبة خارقة، وفضّلتها على كل أبنائها وبناتها. وفيما كانت تلك الفتاة الطروب، تتنزه ذات يوم في الحقول، وتقطف الأزهار والرياحين، إذا بنرجسة بديعة تسترعي انتباهها. فدنت الإلهة لتأخذ تلك الزهور الفاتنة، وإذا بالزهور تتباعد وتغور في أعماق الأرض، وإذا باليابسة تموج بها كاللجة ثم تتفتّح فجأة، ويبرز منها إله رهيب يخطف الفتاة المحبوبة، ويهبط بها إلى أعماق الجحيم، على عربة تجرّها التنانين.

٢- فاستغاثت بِرْسِفُوني بلوعة، وصاحت بهلع صيحة اليأس. فسمعت أمها تلك الصيحة، ونهش الحزن أحشاءها فقالت: "واحسرتاه عليك يا كوري، لقد فُجعتُ فيك يا حبيبة الروح!... واحرّ قلباه عليك يا ولدي، فماذا دهاك يا بهجة أمك؟..." وعصبت رأسها بوشاح الحداد وحطت على الأرض كالعقاب، وطفقت تجوب الآفاق والقفار وتقطع الأنهار والبحار، سعياً وراء المجرم الأثيم الذي سلبها فلذة فؤادها. وبعد تسعة أيام وليالٍ، وقد أضناها العياء والتعب، حنّت عليها الجنية أرِثوسا، إحدى وصيفات أرْتِميس، وهدتها إلى سواء السبيل، إذ شهدت وقوع الحادث الأليم.

٣- وأخبرها هِيْلِيُس الذي يرى كل شيء، أن الخاطف الجاني هو سيد الجحيم، لأن زِفس سمح لأخيه آذس، أن يتخذ بِرْسفُوني حليلة له. فصعقت ذِميتِر لهذا النبأ، وشق الأمر عليها جداً، فتركت قصور أولمبس، وراحت في زيّ عجوز كسيرة البال، تضرب على وجهها في متاهات البلاد، حتى أدّى بها المطاف يوماً إلى مدينة إلِفسيس.

وصلت الإلهة عند الأصيل، وجعلت تتحدث إلى بعض الفتيات جلسن على العين في أول البلد. وأخبرتهن أن غزاة حملوها من جزيرة كريت إلى تلك الأصقاع النائية، وأنها تبغي مأوى وعملاً وإن كان وضيعاً، عمل حاضنة أو خادمة.

٤- فأسرعت الأميرات ونقلن الخبر إلى أمّهن متانِرا. فبادرت الملكة واستحضرت المسبيّة الغريبة، وأكرمتها غاية الإكرام وحفّتها بالتجلة والإكبار، لمّا رأت دلائل العظمة والكمال بادية على شخصها ذي الجلال. فتنازلت لها عن العرش ودعتها إلى الجلوس عليه. فرفضت الإلهة الملوّعة. وما برحت إيْمِفي ابنةُ الصدى والفزع، تداعبها وتهزل أمامها وتهرّج لها، حتى موّهت قليلاً عن نفسها وأزالت طرفاً من حزنها وبدّلت وحشتها بإيناس.

وادعى بعضهم أن ففّو حاضنة رِيئا، هي التي قشعت الهمّ عن نفس ذِميْتر، إذ قدّمت لها الشراب عبثاً، وحاولت طويلاً دونما جدوى. ولما فشلت في كل ملاطفة، استدارت وكشفت عن مؤخرها وقالت لها القول المأثور. فسُرّي عن ذِميْتر المفجوعة وضحكت لحاضنة أمها.

٥- وعهدت متانِرا، امرأة كلئُوس ملك إلِفْسيس، إلى الغريبة عابرة السبيل بحضانة طفلها الرضيع ذِمُفُون. فجعلت الإلهة تدلكه بالعنبر، وتضمّخ جسمه بأطياب الآلهة، وترمي به في وسط اللهيب لتمحو منه آثار البلاء، وتنزع عنه أسباب الفناء. ولمّا انصرفت إلى ذلك ذات يوم، دهمتها متانِرا على حين غِرّة، وذعرت الأم من ذلك المشهد، وصاحت بها من شدة الهلع. فلامتها الإلهة في قلة فهمها، وتجلّت لها في سناء الألوهة. ثم توارت عن ناظريها.

ولكن الإلهة المحسنة قبل أن تغادر القصر، أهدت بكر ملك إلِفسيس كيلاً من السبل الذهبي، وعلمته الفلاحة والزراعة، واستعمال المحراث والثيران. ووضعت تحت تصرف اتْرِبْتُولِمبس عجلة تجرها التنانين، ليجوب بها أرجاء المعمورة، ويعلم البشر فنون الحراثة. فطاف الشاب بلاداً كثيرة. وجاء مقاطعة أرْكَذيّا، حيث علّم الملك أركان صناعة الطحن والخبز.

٦- وبعد الترحال والتجوال، استقرت الإلهة الحزينة في هيكلها الكبير في إلِفْسيس. ولكن لتبدي استياءها للملأ من خطف وحيدتها كوري، منعت

الأشجار أن تؤتي حملها، وضربت المروج والحقول بالقحط. فأجدبت الأرض سنة كاملة وساءت حال الإنسان والحيوان، وصرخ الجميع إلى رب الأرباب. فانتدب إيْرِس إلى أخته الغضبى، وفاوضها في أمر الصلح، وتسوية الأمور بينها وبين آذس، كي لا يهلك الإنسان والحيوان. ولكنها رفضت كل مفاوضة ما لم تر ابنتها الحبيبة.

فهبط هِرميس إلى أعماق الجحيم، وبلّغ آذس إراد أخيه زِفس، بأن يعيد برْسفُوني إلى النور. فامتثل آذس أمر أخيه زفس، ولكن قبل أن يُطلق قرينته إلى النور، أطعمها بعض حبات الرمّان. وكان تناول هذه الثمرة، يجعل رباط الزواج ثابتاً غير قابل الانفصام.

٧- وما إن برزت الإلهة من الأرض، حتى أقبلت عليها أمها وبادرت وسألتها بلهفة: "حبيبتي كُوري هل أكلت في الجحيم شيئاً؟ إذا لم تتناولي طعاماً بعد، نعود معاً إلى ديار الخالدين، وأنعم بك أبد الآبدين. وإلا اضطررتِ إلى سكنى الجحيم، وحرمتُ من بهجة طلّتك يا بهجة الروح". فأطلعت الفتاة أمها الرؤوم على ما حصل لها في الجحيم. وجزعت ذِميتر من أن تفقد وحيدتها من جديد. لكن زفس أبا الآلهة ليخفف لوعة أخته ذِميتر، قرر أن تبقى معها ثلثي السنة، وأن تلبث الثلث الثالث في الجحيم. فقبلت الإلهة بذلك الحل، ولذا تبقى الأرض مكفهرة في الشتاء، وتتشح أبهى الحلل في الربيع، وتزدان في الصيف بالأزهار والثمار.

٤ً- أسرار إلِفسيس

١- لقد أحب الإغريق تلك الرزايا التي مُنيت بها إلهة الزرع والضرع، وراموا أن يُحيوها في مجتمعهم، ويخلّدوا ذكرها في شعائرهم الدينية. فاحتفوا باختطاف كُوري في الأعياد التي دعوها ثِسْمُفُوريا ونسبوها إلى ذِميتِر الإلهة المشترعة، واضعة سنة الزواج وصائنة قدسيته. فكانوا يقيمون تلك الأعياد في مطلع تشرين الأول، فتدوم ثلاثة أيام، ولا يشترك فيها سوى النساء والمتزوجات،

أما عودة الإلهة المسببة، فكانوا يجذلون ويبتهجون بها مع ذِمِيتِر إلهتهم المحسنة، في أعياد إِلفْسِينيا الصغرى، وقد كرّسوا لها ثلاثة أيام في مطلع شهر شباط، وأقاموا شعائرها كل سنة بقرب أثينا على ضفاف نهر إِلسُوس.

٢- وأكرموا الابنة والوالدة معاً في أحد أعيادهم العظمى، عيد الأَلِفْسِينِيا الكبرى. وقد عيّدوه كل خمس سنين. فتتعاقب الاحتفالات فيه مدة تسعة أيام، بين أثينا وإِلفْسيس، في منتصف شهر أيلول، أي في آخر الصيف وابتداء الخريف.

ففي اليوم الأول من العيد، ينتظم شبان الأثينيين في موكب حافل، ويتجهون إلى مدينة صغيرة اسمها إِلفْسيس، تبعد عن أثينا ستة عشر كيلو متراً، وتقع إلى شمالها الغربي على خليج سارونيك. فما أن يُطلّوا على تلك البلدة الجميلة الزاهرة، الزاهية المزدانة بجنائنها الغناء، ومصايفها الأنيقة الحسناء، وهيكل ذِمِيتِر الرخامي البديع(١)، حتى تتعالى أصواتهم بالهتاف لإلهتهم البهية الشقراء، ويلجون حصن الهيكل، ويتناولون من أيدي السدنة والكُهّان الأواني المقدسة وأدوات الذبائح، ويعودون بها إلى اللِفْسِنِيُن، في سفح قلعة أثينا، ويضعونها هناك على مذابح ذِمِيتِر.

٣- وفي اليوم الثاني، يتجمّع المطّلعون على أسرار الإلهة الشقراء، من أنجياء ورؤاة، وينحدرون هم وخنازيرهم إلى البحر، وهناك يغتسلون ويغسلون الأضاحي، ثم يقفلون راجعين إلى المدينة، وعلى رأس موكبهم رئيس الكهنة معلن الأسرار(١) وعندما يبلغون هيكل الإلهة المعروف بهيكل إِلفْسِنِيُن، يتّشح رئيس الكهنة بطيلسان مخملي، نثرت عليه نجوم من نضار، ويعتصب بأكليل ذهبي رصّع بالحجارة، ويباشر الصلاة وتقديم الذبائح.

٢- (١) بني ذلك الهيكل الفخم من رخام جبل بتليك، وبلغت مساحته طولاً مئة وثمانية عشر متراً، وعرضاً مئة متر.

٣- (١) هذا تعريب اسمه اليوناني هيرفانتس.

٤- وفي اليوم الثالث، يمضون من جديد في موكب مهيب إلى هيكل إِلِفْسيس، حاملين أواني التقديس وعُدّة الذبائح. وهنالك بالصوم والصلاة والعكوف على شعائر العبادة، كانوا يستعدون للاستنارة العلوية. فتتم تلك الاستنارة على مرحلتين. في المرحلة الأولى يدخل طالبوا الاستنارة إلى موضع من الهيكل، يدعى تِلِسْتِيريُن أي موضع الكشف أو تتمة الأسرار، وبعد تناول الكعك ومزيج من الشراب، يحضُرون مأساة دينية، تمثّل لهم اختطاف الإلهة الفتاة بِرْسِفُوني.

أما الرؤاة أو الإفُوري، فكانوا يشهدون في الهيكل تمثيلية أخرى، موضوعها افْتِران زفس بأخته ذِمِتِر، فيُمثّل فيها دور زِفس معلنُ الأسرار الهِيِرُفانْتِس ويُسند دور ذِميتِر إلى كاهنتها العظمى. وقد حرموا الزواج على هذه أو ذاك، إلا في تلك الحفلة الكبرى. وربما أشاروا بتلك الشعائر إلى قدرة إله العناصر الجوية، وإلى إحسان إلهة الزرع والضرع.

الفقرة الثالثة

فَاكُسخس أو ذُيونِسُس إله الخمرة

١- منشؤه ومولده:

١- أصل عبادة إله الخمرة من ثراقية، جاء بها أهل القبائل التي اجتاحت بلاد فيُتِية في شمال اليونان، ونقلوها من هناك إلى جزيرة نَكسُس، فتأصلت في الجزيرة وتغلغلت منها إلى جزر الأرخبيل، ثم عادت أخيراً إلى أرض اليونان، إلى الأتِكي وشبه الجزيرة اليونانية، وسائر بلاد الإغريق الصغرى والكبرى. ومن المحتمل أيضاً أن يكون منشأ تلك العبادة آسيوياً هندياً فارسياً، كما سنرى في أسطورة حياة ذلك الإله.

٢- والد ذيونِسُس زفس أبو الآلهة، وأمه سميلي ابنة كاذمس ملك ثيفة وأخي إفروبي. لاحظ ملك الأرباب نعومة سميلي وبهجة طلعتها، فأحبها وأخذ بغرامها، وجعل يتردد عليها وهي تبادله الحب. فاتقدت غيرة هيرا واستشاطت الإلهة غضباً عليها. وتزيّت بزي وصيفتها، ودنت منها وقالت: "يا بنتي سميلي، إن الإله الذي يرتاد مضجعك، لعله يكذب عليك، وكأني به ليس الإله زفس. فالتمسي منه أن يبدو لك في أبّهة عظمته ومجد اقتداره، فينقشع الشك عن نفسك وتثبت لك صحة هويته".

٣- ولما مضت الطاغية المضللة، لبث الشك يراود قلب سميلي ويضايق الريب قلبَها، ورغبت رغبة ملحّة أن تعرف شخص حبيبها الإلهي، في وضح حقيقته. فطفقت عندما دهمها، تبكي وتُلحّ عليه كي يتجلى لها في ضياء اقتداره. فمانعها وحذّرها من فضولها، ولكن الهوى سيطر على

تفكيرها، وأبت مهما كانت العواقب، إلا أن يُظهر لها سنى لاهوته، وبهاء عزته وجبروته.

٤- فانقاد الإله حزيناً مكتئباً. وما كاد يبدو ضياء اللاهوت حتى أحرقت نيرانه جنيات القصر، والتهم اللهيب الفتاة الغِرّة. وقبل أن يصل اللظى أحشاءها، مدّد زفس غصون الجفان على جدران مخدع سميلي، فخففت أوراقها حدة النيران، وحالت دون احتراق الجنين البريء. فانتشله زفس وحشره في فخذه، ونما هناك نموه الطبيعي، متغذياً بدماء أبي الآلهة والبشر. ومنذئذ ذهب مذهب الأمثال سؤلهم: "أتنحدر من فخذ جبتير؟"(١) ولما آن أوان الوضع، استدعى زفس قابلة الإلهة، فساعدت إليثيا أبا الأرباب، وولد ابنه ذيونسس وهو يعاني آلام المخاض، ويصرخ صراخاً من شدة الطَلَق. وأخيراً وضع ابنه وعهد به إلى خالته إنُو ملكة أرْخُمنيا.

٥- هذا ما اتفق عليه عندهم علماء الدين والتاريخ. ولكن جماعة زعمت أن كاذمس عرف سوء تصرف ابنته، فوضعها هي وطفلها في سفط وألقاها في البحر. فعام السفط على وجه الماء، وبلغ ساحل افْرسيّة، في شبه جزيرة بيلبس. فأخذ الصيادون السفط وحملوه إلى أميرتهم إنُو امرأة أثامس ملك أرخُمِنُوس. فوجدت أختها سِميلي ميتةً والطفل على قيد الحياة.

٦- ولكن ثأر هِيرا لم يهدأ، فابتلت إنُو وقرينها بمس من الجنون. إلا أن زفس ما انفك يسهر على ابنه وحبيبه ذِيُونِسُس، فأحاله إلى جدي رضيع، ودفعه إلى هرميس. فأخذه ساعي الآلهة وعهد به إلى عرائس جبال نيسا في شمال كَرِيّا على حدود لِذيا، فعطفن عليه واعتنين بأمره وربينه خير تربية. يساعدهن في هذه المهمة الجليلة رهط من الصَطَرِ والسِليني(١)، وجماعة المنإذِس وهن النساء

٤- (١) جبيتر أو يوبتر باللاتينية تعادل زفس باليونانية.

٦- (١) السلني أو السِليني عند الرومان، هم ضرب من الجن تصورهم الأقدمون بهيئة الإنسان وحوافر وذيل وأذني الحصان. وكان هذا النوع من الجن يسهر أيضاً على الغدران والينابيع، كما سترى بعد قليل.

اللائي أحببن إله الخمرة حباً جنونياً، وشغفن به فزاغ رشدهن ودُعين "الهائمات" وقد أسهمت إلاهات الفن والموسيقى في تهذيبه والسهر عليه.

٧- أما عرائس الجبال اللواتي حدبن عليه وضحّين في السهر على حداثته، فقد كافأهن زِفس وأحالهن إلى نيّرات ساطعات في رأس برج الثور وأطلق عليهن اسم هِيادِس أي الكواكب الممطرات.

ولما شبّ ذيونِسُس وترعرع أخذ يجوب الغابات والحدائق في سفوح الجبال وأغوار الوديان تصحبه عرائس الأرض وربات الجمال، وهامات الجميع مكللة بأكاليل اللبلاب والغار. واكتشف ذيونسس عصير الكرمة، فأدمن معاقرته وأصيب بالجنون. لكن مربيه سلنوس، الساهر على تهذيبه وتعليمه، قصد معه سنديان ذذون، وسألها عن وسيلة لشفائه. واجتاز لبلوغ تلك الأجمة، مستتقعاً على ظهر حمار، كافأه الإله بهبة النطق.

ولما تداوى الإله السكير، وعاد إلى صوابه، طفق يجوب الآفاق، لينشر فوائد الخمرة، ويحمل الناس على عبادته. ولكن قبل رواية تلك الأسفار، لابد من تعريف حاشيته وعرض طائفة من أهل بطانته.

٢- بطانة ذِيُونسُس وحاشيته من الأنس والجن.

اعتاد الأقدمون في أعياد القطاف، ولاسيما في قطاف العنب، أن يحتفوا بإله الكرمة، فيعقدون إكراماً له حلقات الغناء والرقص، ويقيمون على شرفه مآدب وولائم صاخبة، امتازت غالباً بالقصوف والعربدة والمجون.

وقد رموا من وراء ذلك إلى التشبه بإلههم الخليع، وإحياء ذكرى موكبه الماجن، الذي لمَّ لمامات شتى من مومسات، دعين هائمات ومعتوهات[١] ، وعرائس جبال أو تلال، ووديان وجنان، وبحيرات وغدران، وغابات ومحيطات. كما ضم زمراً من الصَطَرِ والسِلِيني والكِنتفرِي، عدا بان وأرِستفس وابْرِيَبُس.

---

(١) هذا معنى كلمة مناذس اليونانية.

١- جماعة الصَطَر

١- اعتقد اليونان أن البحار والأنهار والحقول والسهول كالبحيرات والغابات آهلة بالأرواح، تظهر فجأة للرعاة كما تظهر للمسافرين، وتذعرهم بأشكالها الغريبة. وقد تمثلوها في هيئة التيوس والقرود، لها من القرود الجباه المائلة والعيون المستديرة والأنوف الفطسة، ومن التيوس القرون والآذان المروّسة والذيول والقوائم والأظلاف.

٢- ولكن ملامح الصَطَرِ قد نعمت ولطفت مع الزمن، فأضفى القوم عليها قسطاً من الجمال والأناقة. ولم تعد جماعة الصطر كما كانت، جماعة مستسلمة إلى الأشر والبطر، وإلى اللهو والخلاعة، تتعقب عرائس الغدران وترعب الغادات في الوديان. بل حافظت على دعابتها ومرحها، ومالت إلى الفن والموسيقى. وزعم بعضهم أن الصطر أخوة عرائس الغاب، وادعى آخرون أنهم بشر من سلالة هِرْميس وإفثِيمي شقيقة بِنُلوبي، وأن هيرا مسختهم قروداً، لتوانيهم عن مراقبة ذِيُونسُس.

٢- زمرة السِلِيني

١- وتألف موكب فاكخُس من جماعة أخرى هي زمرة السليني. وما السليني إلا طائفة من آلهة الحقول أو بالأحرى من آلهة الجداول والغدران. وهي أقرب في قوائمها إلى هيئة الخيل منها إلى هيئة التيوس. تشبه جماعة الصطر في أخلاقها وتصرفاتها، وتختلف عنها بقوائم الخيل وآذانها وسنابكها وأذنابها. وما الصطر مَرْسيَّس إلا أحد أفراد تلك الجماعة، وهو إله من آلهة أنهر افْرِغيّا في آسيا الصغرى. ويبدو أن السليني آلهة إغريقية الأصل.

٢- أما سِلِنُوس فهو شخص بارز في موكب الإله الماجن، شخص دبَّ فيه الهرم وأضاءت صلعته، واستدار كالوطب بطنه، واحدودب أنفه وشمطت لحيته، وراح يتهادى من سكره الدائم، يدعمه صَطَر على اليمين وصطر آخر

على الشمال. وإذا ما تثاقل في المسير، ودوّخ السكر رأسه، رفعوه على متن حمار. بيد أن ذلك الشيخ تمتع بالعلم والحكمة، وحدب على إله الخمرة، وسهر عليه وهذبه. وكان يعلم الغيب كله.

٣- رهط الكِنَفْري

١- وواكب فَاكْخُس في حله وترحاله ضرب غريب من الجن دعوهم رهط الكِنْتَفْري، أي هامزي الثيران. وأصل هذه الآلهة الدنيا من تِسَّلِيّا حيث تكثر طروش الثيران، يرعونها من على صهوات الخيل. وامتاز رهط الكِنْتَفرِي بجسم حصان كامل، تفرع منه جذع رجل كامل، ببطنه وصدره ويديه ورأسه.

٢- وفطرت تلك الجماعة على الخشونة والقسوة، وعرفت بمجونها وفظاظة طباعها. وفِذِيَّسُ أول من نحت تماثيلها على هذا الشكل. ويقال عنها إنها تنحدر من اكْسِيُّن بن آرِس إله الحرب. وتنافر اكْسِيُّن وصهره أبا خطيبته، فاستدعاه واحتال عليه ورماه في اتون. فاستشاط الآلهة غضباً عليه والتمس حماية زفس واستضافه. فأضافه رب الآلهة. ولكن اكْسِيّن في قحته طمح ببصره إلى هِيرا شريكة زفس في عرشه.

٣- فقدم زفس له غمامة، أضفى عليها شكل هيرا وملامحها. فولدت هولة لإكْسِيّن، فأطلق عليها اسم كِنْتَفْرُس. واقترن ذاك الكائن الهجين بأفراس جبل بِلِيُّن، فأنجبت الأفراس له جماعة الكِنْتَفْرِي.

واشتهر بالحكمة فيهم فُوْلُس الذي أضاف هِرَكليس، وخِيْرُن مهذب بعض الأبطال، وقد تلقَن الفضيلة والعلم من أرتميس وأخيها أبولن.

٤- أما الكِنْتَفْرُس إفرِتيُن، فقد حارب شعب اللبيثه، وذلك أن ملكهم بِريثُؤُس كان قد دعاه إلى حفلة زفافه على هِبُذِميَا حفيدة آرس. فتملى الكنتفرس من الخمر وثمل، وفي نشوة الطرب رام أن يخطف الفتاة. فمنعه

عن ذلك ستقس. فمضى واستنجد بأمته وعاود الكرة، وقد تسلح هو وجيشه بجذوع الصنوبر وصخور ضخمة. واشتبك الفريقان وأبلى ستقس وملك ثسليا بلاء حسناً، وفازا بخصومهما الأشداء. فطُرد الكنتفري إلى حدود إيبرس، ولجؤوا إلى سفوح الجبال هناك.

٤- عرائس الغابات والآجام:

١- قد يظن المرء أن الخشونة والفظاظة والعنف سطت على حاشية فاكخُس ووصمتها وصمة شائنة. إلا أن الواقع أنعم وألين وألطف. لأن تلك الحاشية والبطانة تألفت خصوماً من جماعة الوالهات وأمة عرائس الآجام والغابات. وعرفت تلك الأمة، كما عرفت إلهات الأناقة والفن، بالنعومة والرقة والظرف...

٢- وأمة العرائس من الجان ضروب وأنواع فهناك عرائس المغاور والجبال المدعوة أرآذس، وعرائس الآجام المقدسة والأدغال، المسماة ألسئيذس وهلئورس، وعرائس الوديان وغابات السنديان المعروفة باسم أفلنياذس وأذرياذس. وهناك عرائس غيرها كثيرات، كعرائس الغدران والأنهار والبحيرات والغابات والأدغال والبحار. وتلك الجنيات جميعها شبيهات بعضهم ببعض، يعشن في الدعة والسلام، ويصبحن الآلهة والإلاهات، ويوفرن لهم شتى الخدمات.

٣- وقد كان في بطانة هيرا، عروسة من عرائس الجبال، بهية مرحة مهذار، اسمها إخُو أي صدى الأقوال. وكانت تلك الجنية الفاتنة كلما رأت رب الأرباب يغازل إحدى الفتيات العذاب، تحاول لتعلقها بزفس، أن تلهي عنه قرينته هيرا، بالغناء والرقص وطريف الألعاب، فلم يمض على الأمر زمن طويل حتى عرفت هيرا مكر الماكرة، فحرمتها الإفصاح وسهولة التعبير، ولم تدع لها سوى ترداد المقطع الأخير من كل كلمة تقال أمامها أو يلفظ بها بصوت جهير.

٤- وأحبت إخُو شاباً رائع البهاء، ولكن لما عجزت عن إبداء حبها له، أعرض عنها ذلك المحبوب ولم يبالِ بشغفها المذيب، فاعتكفت في كهف منفرد. وذوت هناك من فرط الهيام. واستحالت عظامها إلى صوان ولبث صوتها يتردد على الدوام.

٥- أما ناركسس حبيبها القاسي الصدود، فقد غضب عليه الآلهة والأنام، لأنه رذل حب تلك الغانية، وفرضوا عليه أن يهيم بصورته. وكان العرّاف ترسِيّس قد تنبأ أن الفتى سيظل حياً ما لبثت صورته محجوبة عن ناظريه. وذات يوم، بينما كان يغتسل في عين ماء، شاهد محيّاه على صفحة المياه المترقرقة، فسبى لبَّه ذلك المنظر الأخاذ، ولم يستطع أن يحول بصره عنه. وأقام على تلك الحال وهو يذبل يوماً بعد يوم كزهرة غضة زاهية، لفحتها حرارة الهاجرة، فذوت وذبلت وتلاشت. ولما قضى ناركِسُس متيماً والهاً، تحول إلى زهرة جميلة تحمل اسمه، ألا وهي زهرة النرجس.

٦- ونشأ في سفوح جبل إتْنَا شاب وسيم بهي الطلعة اسمه ذَافنِس. وكان ذاك الغلام ابناً لهرميس وإحدى عرائس الجبال. وقد تركته أمه بين الأدغال فالتقطه قوم من الرعاة فنشأ نشأتهم وتخلّق بأخلاقهم. ورأته عروسة من عرائس تلك البلاد، فاضطرم قلبها بحبه وصادقته، وعاهدها وعاهدته على الوفاء والأمانة، مادام أحدهما في الحياة على أن يفقد الخائن البصر. ولكن إحدى الأميرات في تلك المقاطعة واسمها خِمِيرا سقت الشاب خمراً وعسلاً وأسكرته حتى فقد صوابه. فحنث عندئذ بأيمانه وابتلته الآلهة بالعمى. فانصرف ليروّح عن نفسه ثقل البلية، إلى الشعر والغناء والموسيقى. فغدا عندهم أبا الغناء وواضع الشعر الرعوي. وقد وقع يوماً من صخرة عالية فاندقت عنقه وقضى هكذا نحبه.

٥- الإله بانْ وأرِسْتِفْس وابريَبُس

١- نشأت عبادة هذا الإله في أرْكَذِيّا، ولبثت مقصورة على تلك المقاطعة حقبة طويلة من الزمن. ثم انتشرت في أرجاء مختلفة، وعمت كل بلاد اليونان والرومان. هذا، وقد اختلف المدققون في أصل ذاك الإله وفي نسبه ومعنى اسمه.

٢- ولكن القسم الأكبر منهم أجمع على أنه ابن هِرْميس من ابنة الملك اذْرِيُبس. وكان الإله قد كلف برعاية قطعانه، أو من بِنِلُوبي امرأة أذِسفْس ملك إثاكي. وقد دنا منها ساعي الآلهة ليراودها بهيئة تيس. فأنجبت له ابناً استعار من الجدي وبرَه وقائمتيه الخلفيتين وقرنيه الصغيرين. ولذا ضموه إلى بطانة ذِيُونِسُس، وجعلوه فرداً من أفراد حاشيته المؤنسة، لشدة التشابه بينه وبين جماعة الصَطَر.

٣- كان الإله بَان فوق كل شيء إلهاً راعياً، يعيش في الآجام والأدغال ويسهر على المواشي، ويصد عنها هجمات الوحوش الضارية. وقد ألِف خصوصاً منحدرات جبال مِنَال وكهوف هضاب لِكِيئُس. وفيها قصده الرعاة ليؤدّوا له فروض العبادة ويلتمسوا منه الخصب لطروشهم وقطعانهم. وقد أكرمه الصيادون أيضاً لأنه كان بشكله المخيف يوقع الطرائد في حبائلهم. وإذا أخفقوا في صيدهم وخالفهم الحظ، انهالوا على أصنام ذلك الإله وأوسعوها لكماً وجلداً.

٤- ولم يكن وجه الشبه كبيراً بينه وبين معشر الصَطَر في الجسم وتكوين الأعضاء فحسب، ولكن في الطبع أيضاً وفي الأخلاق. فقد اعتاد ذلك الإله الركض والقفز على ضفاف الغدران، والسعي وراء عرائس الوديان، يخيفهن بمنظره الغريب، ويلقي عليهن الرعب بمهاجمتهن الفجائية. فقد دهم هكذا ذات يوم جنية لطيفة هيفاء، اسمها سيْرِنْس أي القصبة الناعمة. فذعرت منه أي ذعر وهرعت إلى أبيها نهر لاذُن، واستغاثت به

وسألته أن يحوّلها إلى قصبة، لتنجو من شر الإله بَان. فأحالها أبوها ولبى رغبتها. وحاول الإله الخائب أن يعزّي نفسه، فاقتطع قصبة من ضفة النهر وصنع لذاته مزماراً.

٥- وقد طارد مرة أخرى عروسة الجبال بِيْنِس. فحظى بها وفضلته على خِلِّها فريئس. إلا أن ريح الشمال ألهبت غيرته المهتاجة، فهبّ على تلك المحظيّة الخائنة ورماها على صخرة، فتهشمت يداها وساقاها. فحنت عليها الجدة الكبرى غيئا، وأحالتها إلى صنوبرة. وقد أغوى بَان إله القطعان ربة القمر الإلهة سِلِينِي. ففي ليلة قمراء بدا لها بشكل كبش ناصع البياض، فاستهواها وأهداها جلد عنزة بيضاء.

٦- وكما قدمنا، انحصرت عبادة بان في مقاطعة أرْكَذِيا، حيث ارتاح الإله إلى اللهو والعبث، وإلقاء الرعب على المسافرين. وإذ اتسمت تلك المخاوف بصفة المفاجأة فقد دعيت المخاوف الفجائية مخاوف بانيكية، أي شبيهة بالخوف والذعر الذي كان يطيب للإله بان أن ينشره. ولما وقعت الحروب الفارسية، ظهر بان لوفدٍ أثيني جاء لمفاوضة إسبرطة. ووعد الإله أن يذعر الفرس وأن يهزمهم شرّ هزيمة إن قبله الأثينيون في محفل آلهتهم وقدموا له شعائر العبادة. وعقب موقعة مَرثُون (٤٩٠ ق. م)، شاد له أهل أثينا معبداً في الأكْرْبولِس، شكراً له على مناصرته واعترافاً بجليل فضله.

٧- بيد أن عبادة ذلك الإله، الذي أثار شكله ضحك الآلهة، ما انفكت تنمو وتزداد خطورة، حتى غدا صاحبها في عيون القوم رمزاً للإله الأكبر، الإله المهيمن على الطبيعة. وقد روى ابْلوتَرْخُس أن قبطاناً في مروره بإزاء جزر إخِنَاذِيس، قد سمع صوتاً جهيراً سرياً يناديه على دفعات ثلاث ويقول: "أخبر في مدينة بلوذي أن بان الأكبر قد مات". وقد وافق ذلك الحادث بدء ظهور المسيحية.

٨- وقد أكرمت كل مقاطعة من مقاطعات اليونان "بانها" ودعته باسم خاص بها. فأطلقت مقاطعة ثِسّلِيّا على "بانها" اسم أرِستِقس، وسمته مقاطعة مِسيّا في آسية الصغرى ابْرِيَبُس. أما أرستفس الإله الجزيل الصلاح فهو في زعمهم ابن أرنُوس وغيئا أي ابن السماء والأرض. وقيل إنه ابن ابولن وكريتي. وقد زعم بنذرس في إحدى أناشيده أن هرميس حمله بعد مولده، ودفعه إلى الجدة الكبرى والساعات، فغذونه برحيق العنبر والنكتار، وحولنه إلى إله أزلي. فأصبح الإله زفس أو الإله ابولن. وقد هذبه الكنتفرس خِيْرُن ولقنه الطب والعرافة. وعدّه عابدوه حامي الزرع والضرع، لاسيما الجفنة والزيتونة. وقد علّم الناس تربية النحل.

٩- أما الإله ابريبس، فقد عبدوه في مدينة لامْبْسَكُس من أعمال مسيا وقد رأوا فيه مثالاً لقوة الذكور ورمزوا إليه بالذكرة. وزعموا أن أمه خيوني أو افرذيتي، وأباه ذيونسس أو أذنيس أو بان أو هرميس. ويحكى في هذا الصدد أن هيرا قد ابتلت المولود بعاهة فظة، وشوهته تشويهاً انتقاماً من الزهرة افرذيتي، إذ نقمت عليها لفرط جمالها. وازدادت نقمتها عندما أحرزت منافستها قصب السبق في هذا المضمار. وكان ذلك الإله إلهاً للحقول، يسهر على الحواكير والبساتين، والحدائق والجنان الغناء، حيث كانت توضع صورته الرمزية كما كان يرعى ممالك النحل ويهتم اهتماماً خاصاً بالطبور والأسماك.

٣- أسفار ذِيُونِسُس ومآثره

١- انطلق ذيونسس من مقاطعة ثراكية ماراً بفينيا، ثم انحدر إلى الأتكي. وهناك استقبله الملك إكاريس أجمل استقبال، فأهداه الإله ثمار الكرمة وعلمه استخراج النبيذ. فشرب الملك وسقى رعاته. ولما ثمل أولئك الرعاة، ظنوا أن الملك شاء تسميمهم فحملوا عليه وقتلوه. وإذ أبطأ في العودة إلى القصر جعلت ابنته تبحث عنه. فهدتها كلبتها ميرا إلى قبر أبيها. وعندئذ شنقت إرغوني نفسها من فرط حزنها عليه. وشق الأمر على ذيونسس،

وضرب نساء الأتكي بالجنون، لأن رجالهن سببوا موت الملك وابنته. فنقلهما الإله إلى السماء كما نقل كلبتهما ميرا، فغدا إكاريس برج الراعي، وأصبحت ابنته برج العذراء، وصارت ميرا نجمة من نجوم الجوزاء[1].

٢- ومضى من هناك إلى مقاطعة إتليا، ماراً برياض فكيس وحدائق لكريس. ولما بلغ مدينة كلذون، حل ضيفاً على الملك إنفس. فرحب به وأكرم مثواه، وقدم له حسب تقاليد تلك البلاد امرأته الثيئا. فأحبها إله الخمرة وأنجبت له ابنة دعاها ذيانرا، ولما شبّت وكبرت أحبّها هركليس وشقي بسببها.

ثم انحدر الإله من تلك الأرجاء، وأتى مقاطعة لكنيا، في شبه جزيرة اليونان. فأضافه ملكها ذين على الرحب والسعة، وتعلق ذيونسس بصغرى بناته الثلاث. فغارت شقيقتاها وحاولتا أن تشيا بها وتصدّا الإله عن الاقتران بها. فغضب فاكخس وأحال الحسودتين إلى صخرة صماء، وأختهما كريا إلى شجرة جوز لذيذ الطعم.

٣- وانتقل فاكخس من أرض اليونان إلى جزر البحر يطوف أنحاءها الفاتنة وينشر فيها فوائد الكرمة وأطايب خمورها. وفيما كان يتردد على ساحل إحدى تلك الجزر، انقض عليه جماعة من القراصنة واعتقلوه وساقوه أسيراً. وتوسموا فيه الخير ظانين أنه ابن ملك عزيز، لما تجلى فيه من ملامح الشرف والنبل.

ولما حملوه إلى متن سفينتهم، ارادوا أن يكبلوه بالقيود والأغلال. ولكن السلاسل كانت تتقلص بين يديه وقدميه، وتنحل من تلقاء نفسها. ويا للعجب العجاب! فقد دهش البحارة لما رأوا سيلاً من النبيذ الأصهب الفوار، يتدفق على متن السفينة ويصب في البحر. ونظروا فإذا بأغصان الكرمة تنساب حول سطح المركب، وتمتد بسرعة وتعانق السواري.

١- (١) دعيت تلك النجمة شعرى، وهي تطلع عند اشتداد القيظ.

وعندئذ، بدا لهم الأسير بشكل هزبر، وليثٍ ضار يتحفز للوثوب. فاستولى الذعر على القراصنة اجمعين. فهرعوا كلهم وارتموا في البحر، ولم ينج منهم سوى القبطان، لأنه حاول ردعهم عن سوء فعلهم.

٤- وأرسى المركب في جزيرة ناكسس. فلما انحدر الإله، وجد على الساحل فتاة نائمة تغط في نومها من شدة العناء. ولم تكن تلك الفتاة إلا أرباذني ابنة مينس ملك كريت. نامت تلك البائسة المغرورة مطمئنة إلى الأمير الأثيني الذي خلصته من المنوتفرس. وما إن أفاقت حتى وجدت نفسها في وحشة مفجعة، وقد أقلع شفس، وتركها وحدها في جزيرة نائية، لا تعرف فيها أحداً.

راقبها الإله عن بعد، وعندما رآها تجهش في البكاء، أقبل نحوها وطمأن خاطرها، وأعاد إلى نفسها السكينة والدعة فأنست به واستأنس بها. وتوثقت بينهما عرى الصداقة. وما عتم أن اقترن بها وحضر الآلهة حفلة الزفاف، وجاءهما كل واحد بهدية. وأنجبت له أنجالاً ثلاثة، إنُبِيُن وإفنثيس واستافِلس.

٥- وقيل إن ارتميس تحاملت على أرياذني، وأردتها قتيلة بنبالها الصائبة. ولم يقترن بها إله الخمرة إلا بعد موتها. ويرى قبرها إلى الآن في جزيرة ناكسس. وقد اعتاد أهل الجزيرة أن يقيموا لها عيدين: أحدهما مناحة ومأتماً يبكون فيه موت تلك الأميرة الناعمة المنكودة الحظ، والآخر عيداً بهجاً يشيدون فيه ببعث أرياذني واقترانها بإله الجفنة.

٦- ولم يكتفِ ذيونسس في حله وترحاله بالتجول في بلاد اليونان، بل رام أن يشمل إحسانه قبائل الأرض كلها إن أمكن. وفي الواقع لم تمتد فتوحاته إلا إلى الأقطار والأمصار التي فتحها الاسكندر من بعده. فكأن إله الخمرة كان رائداً للفاتح العظيم وممهداً للقائد العبقري الفهيم. ورسالة الاسكندر التاريخية أتت محققة ومتممة لرسالة فاكخس الأسطورية. وما حلم

به اليونان، في عصورهم المترامية السحيقة، من تمازج الحضارات واندماجها وانسجامها، جاء الاسكندر الكبير وأحاله إلى حقيقة وواقع.

٧- تابع الإله الماجن مسيرته، وغادر الجزر الساحرة إلى السواحل الآسيوية. فهبط في أرض افرغيا وقصد إلهة الأرض كفبلي وأمّ هيكلها في آفذس فأطلعته على أسرارها. وأمعن في جبال افرِغيا حتى بلغ غابات كَبذُكِيا وفي تلك الأرجاء حاولت أمة الأمزُونس النسائية، أن تصده عن نشر عبادته المجونية، وثار ثائرها على ذلك الإله الخليع، فهاجمها وطاردها، وأقصاها عن مدينة إيفسس، حيث حشدت قواها لمقارعته.

٨- بعد انتصاره على تلك الأمة القديرة، جاب في إينيا وكيليكية. ومرّ منها إلى سوريا، وجاء مدينة دمشق العريقة في القدم، ونزل في جنائنها الغناء، وعلى ضفاف أنهارها الصافية. ودرى بأمره الملك ذامسكس، وإذ كان قد سمع الشيء الكثير عن تهتكه وخلاعته، فقد اقتلع الجفان التي سبق الإله وغرسها في أرجاء المملكة. فحنق إله الخمرة وسلخ الملك حياً.

٩- وعلى الأثر غادر مدينة دمشق إلى لبنان، وأتى مغاني جبيل وحل ضيفاً على أذنيس وافرذيتي. وفي غضون إقامته في ربوع لبنان تعرف إلى فروئي كريمتها وأحبها. وارتحل من هنالك إلى بلاد الهند والسند، وعرج في طريقه على بلاد الكوكاز وملك فيها فترة من الزمان. ثم هبط إلى بلاد ليبيا، وساعد عاهلها عَمّون على استرجاع عرشه، وقد جرده منه التيطان وعلى رأسهم اخرونس. وأمّ ضفاف النيل وسكر وعربد فيها كثيراً، وعلّم أهلها التحشيش والتهويش. وفي آخر المطاف قفل راجعاً إلى بلاد اليونان.

١٠- ولما عاد إلى موطنه، أنكره صحبه وذووه وبنو جلدته، لأنه تخلق بأخلاق آسيا، وتشرب مشارب أهلها، وجرى على أصولهم وعاداتهم،

مما لم يأنسوه فيه من قبل. وقد بدا لهم شاباً أنيقاً مخنثاً، يرتدي ثوباً ليدياً فضفاضاً، يستسلم في شعائر عبادته إلى مظاهر خلاعية اقتبسها من طقوس كفيلي وارتميس في افرغيا. ولذا أظهر له مواطنوه كثيراً من الفتور والوحشة والتحفظ.

١١- فعندما دخل مراتع ثراقية، وجنانها الهادئة الدافئة، في شمال البنطس، قاومه ملكها لكورغس وناصبه العداء. فهرب ذيونسس من وجهه، وغاص في أعماق البحار، ولجأ إلى عمة أبيه تثيس، أخت وقرينة أكينوس ولما احتجز لكورغس حاشية الإله من النساء الهائمات والمومسات الخليعات، وأغلق عليهن في غياهب السجون، بلاه ذيونسس بالجنون، وضرب بلاده بالقحط والعقم. ولم يرفع البلاء عن تلك الأنحاء، إلا بعد أن قتل لكورغس ولده، في ثورة من ثورات جنونه، وبعد أن قضت عرافة ذلف بأن يساق الملك المعتوه إلى قمة جبل بنغين، ويداس هنالك بسنابك الخيل.

١٢- وسمع أمير ثِيبة بَانثِيُس بتلك المآسي، فغضب على الإله وألقاه في الدياميس فنجا الإله من معتقله وأصاب نساء البلاد بالبله وأزاغ عقولهن. فاندفعت تلك النساء الزائغات إلى وادي كِثِرُون يُقمن فيها شعائر فاكخُس المجونية. فتعقبهن بَانْسِيُس ليصدّهن عن تلك المخازي، فهجمت عليه أمه البلهاء أغافي[١]، وأزرتها المعتوهات الزائغات ومزقنه إرباً إرباً، كما يروي لنا ذلك إفْرِبيذس في مأساته الفاكخيات، أي الهائمات بفَاكخُس. وهذا المصاب بالذات فجع بلاد آرغس، إذ ثارت الأمهات فيها وذبحن أنجالهن وأكلن من لحمهم.

١٣- أما في أرخُمنِيا فقد أثم الإله وتمادى في غيّه وشاء إكراه الناس على عبادته والابتذال في شعائر عبادته. وقد أبت في تلك المقاطعة بنات

١٢- (١) اغافي ابنة كاذمس وأخت انو وسميلي وافتنئي. وكاذمس مؤسس ثيفة وأخو إفروبي.

الملك مِيْنُس أن ينسقن لمجون ذِيُونِسُس. فبدا لهن الإله بهيئة فتاة من سنهن، اندفعت في الذود عن الإله وعن أسرار عبادته وعن فوائد اتباعه. لكن الأميرات سفّهنها وألبسنها الخزي والعار في إبداء تلك العبادة على حقيقة أمرها فاستحال الإله إلى ثور، ثم ظهر في شكل أسد، وتحول أخيراً إلى هيئة نمر. فارتاعت الأخوات الثلاث وخلع الذعر قلوبهن، غير أنهن بَقين ثابتات يقاومن ذلك الإله الغاشم فقنط معهن من الظفر، وأحال الواحدة إلى فأرة، وأحال الثانية إلى صدى(١) ، وأحال الثالثة إلى حدأة(٢).

١٤- ولما عنا الجميع لأمره، هبط إلى ديار الجحيم، وانتشل سِمِيلي أمه، وصعد بها إلى أوِلمبس، وأدخلها مقر الآلهة، حيث تنعم بحياة الخلود. وفي تلك الديار خاض ذِيُونسُس معارك أبيه، وذعر العمالقة بنهيق حماره، وأجهز بنفسه على إفْرِتُس، وأرداه بضربة قاضية صوَّبها إليه بدبّوسه.

٤- ذِيُونِسُس والآلهة الأجنبية المنصهرة فيه

- انطوت سيرة ذِيُونِسُس على دنيا من الأحداث والأساطير لشيوع دينه وشمول شعبيته وانتشار عبادته. فقد أدمن الأقدمون شرقاً وغرباً معاقرة الخمرة، وأحبوا لذلك حباً شديداً من اعتقدوا أنه صانعها ومعمم فوائدها. ولما تفشى إكرامه في الأقطار والأمصار دانيها وقاصيها. سطت شخصيته على آلهة أخرى، فاندمجت فيه وتلاشت، وتركت أثرها بما أضفت على سيرته من غنى وعلى عبادته من مجالي مختلفة ثرية.

١٣- (١) الصدى ضرب من اليوم الكبير الهام يأوي إلى الخرائب والأماكن المظلمة، ويدير رأسه إليك كيفما درت. وزعم عرب الجاهلية أنه يخلق من رأس القتيل، ولذا سموه هامة. وإذا لم يؤخذ بثأر المقتول لا يبرح هذا الطير يهتف "اسقوني" حتى يقتل القاتل.

(٢) طير من الجوارح قريب إلى الصقر والباز.

١- وأول تلك الآلهة هو الإله سَفازِيُس. عد أهل ثراقيا ذلك الإله إلهاً أسمى وتصوّروه إله الشمس. أما نسبه فغير ثابت. إذ أحدروه تارة من كفيلي الفَريغّية، وقد صحبها وخادنها. واقترن بالالهة فِنْذِيس ربّة القمر عند الثراقيين وهي نفس الإلهة آرتميس أو الإلهة الثراقية هِكاتي ربة فرقد الليل وعالم الأموات. وتمثلوا سَفازِيُس بقرون الجداء وخصّوه بشعار الحية، واحتفوا به في أعياد ليلية مجونية صاخبة، دعوها "تاسَفَازيا".

وعندما خلطوا بينه وبين ذيونسس، ودمجوا الأول بالثاني، زعم بعضهم ان سَفازِيسس حشر ذيونسس في فخذه، ثم ولده وعهد به إلى هِبا إحدى العرائس. وادعى غيرهم أنه هو ابن ذيونسس. ولم يفصل في الخلاف أحد إلى الآن.

٢- أما الإله فَسّارِفْس فهو إله ليذيّ. ويشير اسمه إلى جلود الثعالب التي كان فَاكخُس يرتديها هو وأتباعه وتابعاته الموسات. ودُعي ذِيونسُس فَسْارِيُس ودعيت تابعاته فَسّاريذِس أي لابسات جلود الثعالب. وقد عبدوه في لِذيّا من أعمال آسيا الصغرى على جبل اتْمولس.

كان ذلك الإله إلهاً فاتحاً وصياداً كبيراً، ولما انصهرت أسطورته في ذِيونسس نسبوا فتوحاته إلى هذا الإله، كما نسبوا إليه زيارته لأفرُذيتي الزهرة وأذنِيس، وحكايته مع أمْبِلس.

أحب فَسّارِفس شاباً نادر الجمال اسمه آمبِلس. وفيما كان هذا البطل يروّض ذات يوم ثوراً وحشياً، نطح الثور مروّضه وصرعه، ثم أجهز عليه وقتله. ففجع به الإله وأحاله إلى كرمة(١)، وبعد ذلك نقله إلى الفلك وجعله برجاً من أبراجه.

---

(١) كلمة آمبلس تعني الكرمة.

٣- وهنالك أخيراً إله كريتي اسمه زَغْرِفس، حسبه أتباعه الإله الأسمى وعادله بعضهم بزفس، ثم دمجوه بإله الخمرة، وأبرزوا هذا الإله بحلة جديدة قشيبة، لها ما لها من رونق وشجوٍ وروحانية. وإليك فيما يلي قصته الشائقة. وتلك القصة الطريفة الغريبة إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على حنين البشرية إلى الخلود وإلى الحياة الدائمة وإلى النعيم والهناء المؤبد.

وُلد زَغْرفْس لأبيه زِفس من ذميتر أو من ابنتها كُوري. ولفرط حسنه وصلاحه تحامل عليه بعض الآلهة وراموا التخلص منه. فدفعوه إلى التيطان فمزقه هؤلاء إرباً إرباً، ورموا بأشلائه في خلقين مستعر. لكن بلاس الطاهرة الباسلة انتشلت قلب الضحية وحملته إلى أبيها زفس. فقذف زفس الطغاة بصواعقه، وكوّن من ذلك القلب المختلج إلهاً جديداً هو الإله ذِيونسُس وغدت بقايا زَغرِفس إلهاً من آلهة الأرض، تستقبل النفوس في الجحيم، وتساعدها على التكفير والتطهّر.

وهكذا حسب التعاليم الأرفية ضُمّ ذيونسَس إلى ذميتر وكوري في الأسرار الإلفْسينية، إذ غدا هو أيضاً رمزاً للتألم والموت والبعث والحياة السعيدة الدائمة والخلود(١).

٣- (١) راجع الكتاب المقدس: العهد الجديد، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنش ف١٥، والثانية ف٥- ١: ١٠.

الفصل الثاني

آلهة الماء

المالحة والعذبة

١- أنجبت غِيئاً دون ارتياد الحب بُنطس البحر العقيم الزاخر بأمواجه العاتية، كما أنجبت قبله ارنوس السماء الزاهرة الزاهية.

وولدت الأرض لابنها فلك السماء بعد اقترانه بها، التيطان العظيم الجبار اكثنوس، ذلك النهر اللجب الذي تتدفق مياهه الغزيرة المزبدة على حدود المسكونة، يحدق بالبسيطة كأنه حزام شاسع، وليس له من منابع ولا مصاب، بل هو الذي يفيض الينابيع والأنهار والبحار، وكل المياه المترقرقة في أعماق الآبار والأغوار. لا بل هو مطلع الكواكب السادرة والنجوم الساهرة التي تبزغ في الآصال وتغيض بين لجه في الأسحار. وعلى سواحله امتدت بلاد النوبة الفاضلة وأقطار السمرّيين الغضارف وأمصار الأقزام الزعانف.

٢- كان أكينوس إحدى القوى الطبيعية الكبرى، وذهب هُومرُس إلى أنه مبدأ الأشياء والآلهة أنفسهم. وقد فاقهم جميعاً عظمة واقتداراً ما خلا ابن أخيه زفس. واقترن هذا الإله بأخته تِثِيس فأنجبت له ثلاثة آلاف ابن هم الأنهار المتفرعة في بطاح الأرض وجبالها ووديانها، وثلاثة آلاف بنت هن

عرائس الغدران والينابيع. وقد حدب النهر الكامل المحيط وقرينته تِثيس على هيرا في طفولتها، وربياها في نعيم قصرهما عند مغرب الشمس. ولما سيطر الألمبيون على أرجاء الكون وتقاسموا ملكه، اعتكف المحيط في المحيط في دياره الساحرة وأخلد إلى الدعة والسكينة وتسلط بُسِذُون على البحار والأنهار. ولم يعد ينازعه السيادة عليها منازع.

الفقرة الأولى

آلهة المياه المالحة

ومع سيطرة بُسِذون وبسط سلطانه على المياه كلها، فقد احتفظ بعض الآلهة بشيء من امتيازاتهم وخصائصهم، نظير نرفْس وأَمْفْتريتي وأبْرُتفس وفُرْكِيس وأغلفْكُوس وخارِفذِس واسكيلاّ.

١- نرِفِسُ

١- ولَد البحر من اقترانه بالأرض نرِفْس الصّديق بكر أولاده. هذا ما رواه هِسيُذُس وبعض المحققين عندهم. ولكن غيرهم من كبار العلماء رأوا غير هذا الرأي وقالوا إن نرِفس هو ابن أكينُو وتِثِيس وإنه اقترن بأخته ذُرِيس، فأنجبت له خمسين فتاة دعين نرِئِيْذِس وهنّ إلهات البحار. وقد برّزت منهن أمْفِتريتي وثِيْتِس وأرثوسا وغَلَتِيّا وغلِيني وأغلافْكِي.

٢- وقد دُعي صدّيقاً، كما رأينا لأنه صادق رحيم عادل. ولُقب "بشيخ البحر" لأنه كان ذا وقار ومهابة وجلال. وهو كالأمواج المتلاطمة دائم الحركة دائب التقلب. من اختصاصه الإنباء بالغيب. ولكنه لا يكشف حجبه عادة إلا مضطراً. وقد أرغمه هكذا هركليس على تعليمه طريق بلاد الهِسْبِريذة ليأتي من هناك بتفاح الذهب. وسمعه بارِس يوماً ينبئ بخراب إيْلِيُس عاصمة اطروادة.

٣- وأقام نرِفس في أعماق بحر إِغيثُن، في قصره الرحب هو وقرينته. ذُرِيس ابنة المحيط وبناته الخمسين ينعم بحياة وادعة هنيئة، لا مشاكل فيها

ولا مغامرات. أما بناته النرِيئذِس ذوات الشعر العسجدي الفضفاض، المسترسل على أكتافهن الناعمة البيضاء، فقد اعتدن أن يتلاعبن مع جماعة التريطُن على سطح البحار، يزين وجهها بقاماتهن الهيفاء وينشرن فوقها باقات بهيّات من الزنابق والورود.

٤- وقد انصرفت هكذا إحداهن إلى المرح، تداعب أديم البحر بخطواتها الرشيقة، فرمقها عن بعد صياد شهير، إله نهر ألْفِيْئُس، في شبه الجزيرة اليونانية، وتعقّبها ليختطفها. فأحالتها الإلهة أرتِميس إلى ينبوع فيّاض، يتدفق في جزيرة أرتِغي، واستحال الصياد إلى نهر لجب، تشق مياهه عباب البحر، ولا تختلط بالأمواج، حتى تأتي جزيرة ذيلس[١] ، وتمازج مياه أرِثوسا.

وقد شاهدت هذه الجنيّة الناعمة بُسِذُون يخطف ابنة إلهة الزرع، وهدت الأم الملوّعة إلى مقر ابنتها كوري. وقد أكرموا الإلهة أرِثوسا في أماكن كثيرة، منها جديدة عرطوز التي دعيت باسمها، في ضواحي مدينة دمشق.

٥- أما أختها غلتيا، ذات البشرة البيضاء، التي ضاهى بياضها بياض الحليب، فقد أحبها الككلوبس بليفمس ورام أن يخطب ودها. ولكن الفتاة اللعوب الطروب ازدرت ذلك العملاق الرهيب، وسخرت بما أبدى لها من هيام. فكانت تسعى على وجه المياه، وتأتيه مفترة باسمة. وما يكاد يفرح بقدومها، حتى تقفل راجعة إلى اللجة، قبل أن يبادرها بالسلام.

٦- فحنق العملاق من مثل تلك التصرفات، وفاجأها يوماً في مغارة تغازل آكِس أحد الرعاة ويغازلها. واستشاط المستهام غضباً، وأخذ صخرة كبيرة في متناول يده وهو بعد متمدد يزحف على بطنه، وضرب بها منافسه القزم فسحقه. وذعر الجنيةَ المحبوبة وآلمها. فاندفعت إلى أعماق اللجة ولم يعد يعاينها من بعد. ولم يبق له إلا أن يشكو همّ لأبيه بسذون.

٢- (١) الباب الأول، الفصل الأول.

٧- ولكن أكثر النرئيذس جمالاً وأوسعهن شهرة هي الجنية ثيتس وقد امتازت تلك الإلهة ببهاء رائع وفتنة ساحرة، سبت عقول الأرباب المخلدين. فتزلف إليها زفس وتقرب منها بسذون. ولكن ثيمس كانت قد تنبأت أن ثيتس من شأنها أن تلد ابناً يفوق أباه سطوة واقتداراً. فتورع زفس وخاف أخوه بسذون. وقر رأيهما أن يقرنا ثيتس بأحد البشر. واختارا لذلك بلفس ملك ثسليا.

٨- فساء الأمر الفتاة الإلهية، وتكدرت ثيتس لذلك القرار، وتمنعت الجنية الفاتنة عن صحبة زوجها البشري، فتبدت له بأشكال غريبة رهيبة، تارة في شكل سمكة، وطوراً في هيئة دبة، وأحياناً كلهيب نار وأحياناً كمياه هادرة. إلا أن الكنتفرس خيرن كان قد علم الملك بلفس طريقة يضبط بها قرينته. فاستولى عليها بعد الجهد والعناء، وأقام الآلهة له حفلة زفاف، وأهدوهما هدايا نفيسة.

٩- وفي ليلة الزفاف بالذات، وقع ذاك الخلاف الشهير، بين هيرا وأثنا وأفرذيتي. إذ ألقت إلهة الخصام إريس تفاحتها الذهبية، التي نقشت عليها عبارتها المشؤومة: إلى أكثر الإلهات فتنة وبهاء(١). وأنجبت ثيتس لملك ثسليا بطلاً من أكثر الأبطال شهرة، إذ أشادت الإلياذة بملاحمه تحت أسوار إيلين. وقد تدخلت هذه الجنية في الصراع بين هيرا وقرينها زفس، وخلصت رب الأرباب مما حيك له من دسائس(٢).

١٠- ولما ولدت ابنها أخِلفْس، أرادت أن تؤتيه الخلود. فجعلت تصهره في النار، وتدلك جسمه بعنبر الآلهة. فباغتها قرينها في إحدى الليالي، وقد انصرفت إلى تلك الأعمال، فجزع على ابنه الرضيع، وانتشله قبل أن ينال مناعة الخالدين. وقيل إن الجنية البديعة كانت تغطسه في الستِيكس لتوتيه المناعة والخلود. ولكن كاحل الغلام لم يمسّ تلك المياه ولبث قابل الآلام، فنفذ فيه سهم طائش ومات في حرب طروادة.

٩- (١) راجع في ذلك الباب الثاني ف١٠: ٢.
(٢) ر ٢: ٣: ٦.

٢- امْفتِّريتي

١- لأمفتريتي مقام سام بين بنات نرفس، نظراً لمقام قرينها بُسذون سيد البحار. واعتادت تلك الجنية أن تجلس على مركبة فخمة، إلى جانب رب البحار، وتجوب أرجاء مملكتها المترامية الأطراف بسرعة خاطفة إذ كانت تجرّ تلك العجلة خيول مطهّمة بيضاء، تضاهي الأمواج عتوّاً، وزبدَ اللجة نصاعة ونقاء. وكان يحدق بها سرب من الجن من أبناء اتريطن. وامتازت تلك الطائفة بأجساد البشر في نصفها العلوي، وأجسام الأسماك في النصف السفلي، ما خلا بعض الفوارق التي لا تخلو منها أمثال تلك الهولات: نظير الأنياب بدل الأسنان والمخالب بدل الأظافر، وذيل مشعّب يداني ذيل الحيتان وزعانف على ردفي الصدر والبطن، وحراشف غطت الجسم وغشّته بجملته.

٢- وفيما كانت امفتريتي تختال على مركبتها، كان سرب التريطُن يجاري العجلة في سيرها، ويتلاعب على صفحات الماء، وينفخ في الأصداف ويزفر فيها زفيراً تردده الأمواج. واعتاد التريطن بين الفينة والفينة أن يرتاد السواحل، وأن يخطف البشر ولاسيما النساء. وقد حفظوا في تانغرا لجني من تلك الطائفة تمثالاً تذكاراً لنجاة المقاطعة من هول تسلطه عليها، وخطف الكثير من نسائها وفتياتها. فاحتالوا عليه ووضعوا له على الساحل دنّا من الخمر. وأقبل عليه وما انفك يعب الصهباء اللذيذة حتى ثمل وسكر. فدنا منه الصيادون وحزوا عنقه.

٣- أما اتْريطُن أبو تلك الطائفة من الجنّ فهو ابن بُسِذون وأمفِتريتي. وقد استمدّ من أبيه قدرة تهييج المياه وتسكين هيجانها. وقد ألف مثل والده ركوب عجلة فخمة تجرّها خيول قوية، تنتهي قوائمها بفكين يشبهان فكّي السرطان. وأحرز نظير معظم الآلهة المائية روح النبوّة ومعرفة الغيب.

واستنجد به زِفس عمه في حرب العماليق. فذعرهم اتريطُن بصوته الهادر ونفخه المدوي في الأصداف. وقد كلّفه أبو الأرباب بعد الطوفان أن يحسر المياه عن وجه الأرض ويردّها إلى الأبحار والمحيطات. وعُرف هذا الإله بمروؤته ورأفته بالغرقى والكادحين على متون السفن في عرض البحار. وقد أنجد هكذا بحّارة ارغو لما قذفت العاصفة سفينتهم إلى اليبس على سواحل ليبيا مقامه المفضل.

٣- فُركيس وابْرُتِفْسُ واغْلَفْكُوس

١- فُركيس على زعم هِسيِّذُس هو ابن بُنْطُس وغيثا أي نجل البحر والأرض. وقد أنجبت له أخته كِتُو التي اقترن بها، العجائز الثلاث[١] وقد أتين إلى العالم بأوجه صبوحة وشعر شائب. فدعاهن الآلهة والبشر "العجائز" ولم يكن لهن سوى عينٍ واحدة وسنٍ واحدة يتناوبن في استعمالها. وقد خطف برْسِفس منهن تلك العين والسن، ولم يرجعهما لهن إلا بعد أن أطلعتَه على مكان أختهن ميْذُسا، وكان في عزمه أن يمضي ويقطع رأسها. ولما عرف مُقام الغُرْغُونِس أعاد للعجائز العين والسن، وسرق منهن نعلين مجنّحين يطير بهما إلى حيث يشاء بسرعة خاطفة، كما سلبهّن قبّعة تنشر الضباب حوله وتخفيه عن الأبصار، وجراباً يضع فيه رأس ميْذُسا بعد قطعه.

٢- تلك كانت ابكار فركيس. وقد أنجبت له أخته بعدهن هولات ثلاثاً، دعيت الهائلات أو الغُرْغُونِس. لأنهن لم ينظرن قط إلى امرء إلا وحولنه إلى صخر أصمّ، إذ كانت لهن أحداق رهيبة وأنياب هِلّوفٍ[١] وأيدٍ من نحاس وأجنحة من ذهب ترف على مناكبهن وتحملهن في الأجواء الفسيحة. وقد أوت

٣: ١- (١) راجع ههنا ١: ١: ٦.

٣: ٢- (١) ضرب من خنازير البر.

تلك الهولات البشعة إلى بلاد القيروان من أعمال ليبيا وجهل الجميع محل إقامتها، ماعدا أخواتها العجائز.

كانت اسْثِنُو القوية وشقيقتها إفْريالي الدمامة المجسّمة، وحظيت هذه وتلك بالخلود. أما أختهما مِيْدُسا فقد خُصت بجمال فريد نافست به مِنيرفا نفسها أي الإلهة لأِثنا. وأحبّها بسذون –جدّها حسب ادعاء بعضهم– وأرادت مبادلته الحب في هيكل لأثنا. فحنقت الإلهة واستاءت من ذلك المنكر أي استياء، فبلتها بدمامة تضاهي شناعة أختيها وحولت شعرها إلى أفاعي وثعابين، ووصمتها بعار الهرم والموت.

٣- وإذ استسلمت أختاها إلى السبات، وأغرقتا فيه بعد سكرة عارمة، أقبل برسفس على ميذسا، تحميه أثنا، وحزّ عنقها ووضع الرأس في جرابه، وطار على متن بيغسُس، ذاك الجواد المطهم المجنح الذي برز من دماء ميذسا. ولما أفاقت الأختان من نومهما العميق اندفعتا بأجنحتهما الذهبية تطاردان الريح سعياً وراء القاتل الجاني. ولكن أجنحة الذهب كلت عن اللحاق، فدوى عويل الأختين وخالط حفيف الثعابين المشرئبة فوق رأسيهما، واستحال إلى أنين حزين، حاولت أثنا أن تردّد صداه على الناي الذي استنبطته. إلا أن المزمار شوّه وجهها أثناء العزف فرمت به في ازدراء.

وولد لفركيس تنين رهيب له مئة رأس، دُعي التنين لاذُن وقد أقيم على حراسة تفاح الذهب في بستان المغربيات، وقيل أن اسكيلا هي ثمرة مغازلته لهكاتي، ربة القمر وكأن في اسمه إشارة إلى زبد البحر ورهبته.

٤- هذا ما يتعلق بفركيس. أما صنوه ابرتفس فهو ابن الأقيانس المحيط وأخته وقرينته الجليلة تثيس. هذا الإله "شيخ آخر من شيوخ البحر" وقد عهد برعاية ما ملك بسذون من قطعان فظاظ البحر، أبناء هلسذني الهيفاء. وتلك الفظاظ كانت تلتم حوله، وتحيط به إحاطة الأسوار بالمعصم، حين يخرج من اللجة عند الظهيرة، ويستسلم للسبات وراء صخور الساحل.

٥- عرف ابرتفس الغيب نظير أقرانه آلهة البحر. ولكن إن شاء أحد أن يكشف له غياهب المجهول، لزمه أولاً أن يقبض عليه ليكرهه على الكلام. وما الأمر بالسهل لأن ابرتفس يستطيع التقمص بأشكال كثيرة، فيتحول من هيئة الشيوخ إلى هيئة النمور والأسود، أو الثعابين أو المياه أو النيران المتأججة أو الأشجار الوارفة. فمن رام أن يستفيد من عمله وجب عليه أن لا يهاب تقلّباته المثيرة وأن يلبث رابط الجأش، وعندئذ يعاود الإله شكله الأول، ويعترف بهزيمته وينقاد لمشيئة سائله، وينبئه عن الغيب والمجهول.

٦- وقد جعلوا مقره المفضل في جزيرة فارُس على الساحل المصري. ولعلّ في قولهم هذا، خلطاً بين الإله شيخ البحر وبين أحد ملوك مصر، وقد دُعي باسم أبْرُتِفس. ورووا عن ذاك الملك أنه استقبل بَارِس وهِلِينا ابنة زفس ولِيذا، وأنه احتفظ بامرأة مِنِلاس هذه، فترة من الزمن، على أن يردّها إلى قرينها الشرعي. ولكن هذا القول مردود. وقيل إنه أتى ثراقية واتخذ زوجة من أهل البلاد. إلا أن شراسة ابنيه حملته على العودة إلى مصر، فحفر له بُسِذُون نفقاً في قاع البحر، سلكه ورجع منه إلى جزيرة فَارُس.

٧- وهنالك إله ثالث قريب من السابقين، اختلف العلماء في أصله وفصله، هو الإله اغْلَفْكُوس. كان هذا الإله إنساناً. ثم استحال إلى اتْريطُن، وأقحم بين آلهة المياه المالحة. واختلف العلماء عندهم في رواية ما مرّ عليه من صروف وأحوال. فزعم بعضهم أنه انصرف ذات يوم إلى الصيد على ضفة نهر جميل ظللته الأشجار وصفت مياهه كالبلّور. ولما جمع قليلاً من السمك، رأى أسماكه المرمية على العشب، تختلج اختلاجاً عنيفاً، وتنطّ وتطفر وتثب في النهر. وكلّما اصطاد كمية منها، جرت على غرار غيرها، من الاختلاج والقفز ومعاودة النهر. ومنه كانت تنساب بارتياح وتغوص في لجة الساحل القريب. فتبادر إلى ذهن الصياد النبيه أن في ذلك المكان عشباً يحوي خصائص فريدة مدهشة. فأكل من ذلك العشب العجيب وراح هو نفسه يختلج

بعنفٍ وينطّ. ويقفز ويطفر، وغدت ذراعاه زعانف، وأسفل جسمه ذيلاً مشعّباً، وكسا الطحلب صدره واسترسلت لحيته وابيضت، ولما بلغ ساحل البحر طفر طفرة أخيرة وغاص في أعماق الخضم، بقرب مدينة أَنْثِذون على ساحل فيتيّا فأنعمت عليه تِثِيْس بالخلود وضمّته إلى آلهة البحار.

٨- وادعى آخرون أن ذلك الصياد خرج مرة من بلدة أريتا على شواطئ إِتْلِيّا، وراح يصطاد الطيور وإذا بأرنب برّي يقفز من بين رجليه، فجعل اغْلَفْكُوس يطارد الحيوان. وكلّما أزمع القبض عليه قضم الأرنب الرشيق قطعة عشبٍ، واستعاد نشاطه بعد لغوب، ونجا ظافراً من قانصه. فاستغرب الصياد تلك الخارقة، وتناول من النبتة المذهلة، فأخذ يطفر بقوة فائقة وهوى في أعماق اليمّ، فأحبه نرفْس وأبولّن ومنحاه موهبة النبوة، وقرناه بجنيّة فاتنة، أنجبت له سِبِيْلَة كُومٍه العرّافة المشهورة.

٩- أحب هذا الإله جزيرة ذِيْلُس، فأضحت مقامه المفضّل. ولكنه كان يغادره كل سنة ويتفقد جزر الأرخبيل اليوناني، ويظهر للنوتية وينبئهم أنباء شؤم. ولم يوفّق ذلك الإله البائس في مغامراته، لأن مظهره كان زريّاً، إذ غشّى الطحلب كل جسمه. وقد رام أن يعزّي أرباذني في جزيرة ذِيلس عندما غادرها حبيبها ثِسِفس. لكن ذِيُونِسُس فاجأه وكبّله بأغصان جفنة، وناب منابه لدى الأميرة البهيّة المهملة. وحاول الإله أن يستميل الجنية الفاتنة اسْكبيلاّ، ففشل معها فشلاً ذريعاً، وسبّب لها من حيث لا يدري، البؤس والشقاء الأليم.

٤- خارِفذِس واسْكيلاّ ورهط الغانيات

أقامت في القديم تحرس جانبي مضيق صقلية هولتان هائلتان: الواحدة هي خارِفْذِس والثانية هي اسْكِيلاّ. وإن نجا المرء وأفلت نحو الشمال، فقد يتربّص به شر ثالث مستطير، بقرب جزر سِرِيْنِس تجاه سواحل كَمْبَنِيّا. وما ذلك الشر سوى غناء غانيات ساحرات.

١- أنجبت الأرض لحفيدها بُسِذُون ابنة جميلة دعاها خارِفْذِس وتجرأت تلك الفتاة ذات يوم واختلست قطيع ثيرانٍ لهِرَكليس، فأرداها زفس بصواعقه الحامية وأحالها إلى لجّة في البحر، فاغرةٍ فاها، تبتلع الحيتان والسفن إذا دانتها، ثلاث مرات في النهار ثم تقذف بها مهشّمة إلى الرمال المجاورة. هذا ما يقوله عنها هومرس في إلياذته: "هنالك على رأس جزيرة صقلية أقامت تلك الهولة الإلهية، في غور سحيق، تحت صخور كللتها أشجار التين". وقليلون الذين نجوا من هولها نظير أذِسّيفْس الذكي الفؤاد، وملاّحو سفينة أرْغُوياسُن ورفاقه الأبطال الميامين.

٢- أما قرينتها اسْكِيلاّ فقد اعتكفت في كهف على الرأس المقابل، في طرف شبه الجزيرة الإيطالية. وكانت اسكيلا بدء بدءٍ بهيّة رائعة الجمال. واختلف المحققون في حسبها ونسبها. فنماها بعضهم إلى فركيس واكْرَتئِيس، وبعضهم إلى التنين تِيفُن والحية إيْخِذنا، وغيرهم إلى بُسِذُون، وآخرون إلى زِفس وملكة ليبيا لمياء. ورُوي عن هذه الملكة البائسة أنها فقدت الرشد لما ذهب أولادها ضحية حسد هِيرا. وفي حالة جنونها كثيراً ما كانت تدهم الأمهات، وتختطف أنجالهن وتفترسها بلا رحمة. ونشأ عندهم طائفة من الجنّيات دعيت "لاميات" وأوت إلى الغابات وانصرفت إلى خطف الفتيان والفتيات وأكل لحومهم نيئة بلا ملح.

ولما كبرت اسْكِيلاّ رآها الإله الجديد اغْلَفْكُوس وهام بحسنها الرائق. ولكن الفاتنة الفتية ازدرت حبه وامتهنت شخصه، وأنفت من دمامته وقبحه. فلجأ المتيّم إلى سحر كيركي الشهيرة، ابنة الشمس، المستهامة بحبّه وهو لا يدري. فوعدته خيراً واستحضرت بعض الأعشاب، وقصدت إلى العين الصافية، حيث اعتادت اسْكِيلاّ ان تغتسل كل صباح، وألقت في الماء الرقراق. أعشابها السحرية. وقدمت الفتاة الباهرة الجمال على عادتها لتستحم، وما لامس جسمها الناعم مياه العين الملوّثة، حتى استحال بهاؤها إلى هولٍ وغدّت الجنية البديعة هُولةً مروّعة، قائمة على اثنتي عشرة ساقاً، مسلحةً ببراثن رهيبة، واندلع من جسمها ستّ أعناق طوال جداً، تنتهي برؤوس

هائلة، فاغرة أشداقها، وفي كل شدق ثلاثة صفوفٍ من الأنياب المتراصّة المسنّنة. وانطلق من حناجر الهولة دويّ يشبه زمزمة الرعد أو هدير الأمواج المتلاطمة في العاصفة الهوجاء، أو زئير الأسود وعِواء الضباع. فارتاعت البائسة من ذلك التحوّل المفجع وارتمت من يأسها في البحر، وأوت إلى ذلك الكهف بإزاء غور خارِفْذِس. وهنالك كلّما تسنّت لها فرصة مؤاتية، انتزعت بأشداقها الستة عدداً من الملاحين زجّت بهم في مغارتها وافترستهم على هينتها. وعندما مرّ بها أذِسِفّس وصحبه، خطفت رهطاً من جماعته. وفي عزمها أن تخطفه بذاته انتقاماً من عشيقته الأثيمة كِيْركي . وقد قتلها هِرَكليس فعاد فُركيس أبوها وأحياها ولذا ما انفكّ الملاّحون يتّقون شرّها.

٣- وإلى شمال ذاك المضيق المخيف، مجموعة جزر صغيرة مهجورة، سكنتها طائفة من الجنّ تدعى "السرنات" أو السِرِينِس، امتازت بأجسام النساء الحسناوات وقوائم الطيور وأجنحتها او أذيال الأسماك وزعانفها. وتحلت تلك الجنيّات بأصوات رخيمة عذبة، تأخذ بمجامع القلب وتسيطر على الألباب فيستسلم سامعها إلى تلك الجنيات، فتأخذنه إلى مراتع غنّاء ومغانٍ فيحاء، حتى يترنّح ويذوب، فيسلو الحياة كلّها، وعندئذ تأتي تلك الغانيات العذاب وتمتّص دماءه وتغتذي بلحمانه.

هذا، وقد كانت تلك الجنيات من عرائس الأنهر الوادعات، تدلّ أسماؤها على ظرفها ولطفها. فالواحدة دعوها الصوت الرخيم، والأخرى النطق المعسول، وهذه اللحن الرائق وتلك الوقع الناعم المستحبّ. ولما زهت بصوتها وأعجبت بفنّها الموسيقي، رامت منافسة ربّات الفنون فغلبتها تلك الآلهات وجردتها من ريشها الجميل، فأوت إلى تلك الجزر المستوحشة وراحت تؤذي المبحرين بجوارها.

وقيل إنها شهدت اختطاف برسفوني، فسألت زِفس أن يؤتيها أجنحة لتطير في البحث عن الزميلة المسبيّة. وإذ لم توفّق في مهمتها، جرّدتها ذِميتير من أجنحتها، وعوّضتها عنها بأذيال أسماك. وزعم قوم أن الزهرة هي التي بلتها بأجسام الطيور، لأنها رفضت الانسياق للحب.

فهنالك في تلك الجزر أو في جزيرة كابري أو جزيرة أنْثِموسا تجاه نيَابُلِس، ألِفت تلك الغانيات الجلوس على صخور الساحل، واصطياد الملاّحين بعذوبة أغانيهن الشجية. واذسيفس نفسه مع كل حصافته، لم يكن ينجو من حبالهن، لولا أن حبيبته كِيرْكي ابنة الشمس سبقت وحذّرته قبل مغادرته لها، من خطر ذلك الغناء اللذيذ، بقولها: "ستمر في طريقك أولاً بالسرِنات الفاتنات التي تسبي الرجال والأطفال. والمغفّل الذي يعرّج عليها لا يعرف يوماً أو موعداً للإياب. لأن السرِنات تتكئ معه في الحدائق الغناء، وتستهويه بأنغامها الساحرة. فتتكدّس في مراتعها أشلاء الضحايا".

وفي الواقع عندما دنا اذسِيْفس من تلك الجزر، سمع معزوفات مذيبة وأصواتاً ساحرة عذبة. فذكر كلام خليلته وسدَّ آذان رفاقه، وأمرهم أن يشدّوه إلى السارية وأن لا يُذعنوا بعد لأوامره ولو تزلّف إليهم ورجا فك أسره، إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر. ولما اقترب من تلك الغانيات خاطبنه بكلام لطيف ودعونه إلى النزول في ربوعهن وقلن له بمنتهى الرقة: "يا اذسيفس الذائع الصيت، يا مجد الإخائيين، أرس في خليجنا وحلّ ضيفاً علينا. فما مرّ قط ربان بديارنا إلا وطرب لأنغامنا وأنصت إلى ملاحم اليونان تحت أسوار إيليُن. فنحن أدرى الناس طراً بكل ما يقع على ظهر البطحاء".

قالت تلك الغانيات واستمالت قلب البطل المحنّك. ولولا ما اتخذ من حيطة للأمر لقضى وصحبه نحبه هناك.

بيد أن تلك الفاتنات الساطيات وجدت من يسطو عليهن. وقد حاولت أن تسبي ملاّحي أرْغو. لكن أرْفِفس بقيثارته حال دون مأرب الغانيات، وغلب عزفه سحر إنشادهن. فهوين جملة في جلة البحر، وأحالها الآلهة إلى صخور ناشزة، تجاه مدينة نابُلي المسماة قديماً بَرْثنبي.

الفقرة الثانية

آلهة المياه العذبة

١ ً – اعتقد الأقدمون أن الأنهار آلهة، نظير أبيهم النهر المحيط، وأمهم تثيس ابنة الزمان. ولذا أكرمهم الناس وخصّوهم بشعائر العبادة. وقد تمثلوهم بهيئة شبان أشداء، يزيدهم القرنان في أعلى جبالهم عزة واقتداراً. وقدّموا لهم شعور الفتيان، وضحّوا لهم بكباش وخيول وثيران، كثيراً ما قذفوا بها حية في الجداول والغدران.

وأشهر الأنهار الثلاثة الآلاف أخِلُوْوُس وأُسبُوس وإينُخُس وكفسُوس.

١– أما أخلُوْوُس فهو إله نهري في مقاطعة إتُليا، ونهره أكبر نهر في بلاد اليونان. وقد شُغفٍ هذا الإله بابنة ملك كلذون الأميرة ذينيرا. وأتى المدينة هركلِس بن زفس وألْكْميني، ورأى الفتاة وأغرم بحبها، ورام أن يتخذها زوجة شرعية له، لكن الكثير من الخطّاب سبقوا وطلبوا يد الصبية. ففرض أبوها للبت في الأمر سلسلة قاسية من المصارعات، تكون الأميرة البهية جائزة المنتصر فيها. فلما انبرى هركليس للمباراة انسحب كل المنافسين، وصمد الإله أخلِوْوس وحده. فبارزه ابن زفس وقهره في جولة أولى، وهاجمه النهر في الثانية بشكل افعوان رهيب ولكن الذي قتل الأفعوانين وهو طفل، لم يرهب الثعابين وهو في عنفوان الشباب، فأذل النهر في الدورة الثانية. فاهتاج النهر وهاجم البطل في هيئة ثور مستفرس ضار. ولكن ابن أكلميني قمعه بعنف واقتلع أحد قرنيه. فأخذته عرائس الغاب وملأته ثماراً وأزهاراً، وحولته إلى قرن إخصاب فائض بالخير. أما الإله المغلوب على أمره فقد غاص في نهره ليستر خزيه.

وقد أكرموا هذا الإله في أمصار كثيرة، وستة أنهار حملت اسمه. واعتادوا في الإيمان أن يستنجدوا به. وقد استحالت بنات العراف إخِنوس إلى جزر لأن أباهن أغفل إكرام هذا الإله في إحدى ذبائحه. وتلك الجزر تقابل مقاطعة تسليا.

٢- والإله أسُبُوس لا يقل عن السابق شهرة وعظمة. وقد سموا باسمه أنهاراً عدة في تسليا وشبه جزيرة بيلبس وفيتيا. وولد له ابنان من امرأته مروبي، أحدهما بيلغس أو البيلسغيين، واثنتا عشرة ابنة، إحداهن سنوبي التي خطفها أبولن، وكركيرا وسلامس اللتين أحبهما بسذون، وإيني التي سباها زفس. وكان يشهد اختطاف الفتاة ملك كورنثس الشقي، فلما جاء أبو الفتاة يسأله عن مصيرها إذا سمع عنها شيئاً، فرض عليه الملك أن يفجر نبعاً على هضبة المدينة. وإذ عرف الخاطف الجاني انبرى يطالب ويحتج لديه. فرشقه أبو الأرباب بصواعقه وأكرهه على العودة إلى مجراه.

٣- أما إينخس فله مع زفس شؤون وشجون. وقد خطف هذا الأخير ابنته إيو وأغواها على ما رأينا في سيرة زفس. وحكّمه بسذون وهيرا عندما تنازعا على حماية الأغرغليس. وإذ حشد لربة الأرباب أنضب رب البحار مياهه.

وقد أكرموا من الآلهة النهرية بنفس في تسليا، ولاذن أبا سيرنكس وذفني في أركذيا، وألفئوس في مقاطعة إيلس. وحُكي عن هذا الإله أنه هام بحب أرتميس، فهربت إلى إحدى مدن المقاطعة ومرغت وجهها بالحمأة، لتتنكر وتخلص من ملاحقاته. وقد أحب أيضاً الجنية أرثوسا على ما ذكرنا سابقاً ولم يوفق في حبه لها.

ويقال إن إفرُوتَس نهر لَكُنيّا، الذي بنيت مدينة اسبرطة على ضفته الغربية، هو ابن تَافْيِتُس ذلك الجبل الأشم الممتد غربي المدينة باتجاه الشمال حتى منتصف شبه الجزيرة، في سلسلة من الصرود والهضاب. واسبرطة

ابنته اقترنت بملك المقاطعة لَكذيمُن. فدعيت حاضرة الملك إسبرطة أو لكذيمين على السواء. أما الإله فقد هُزم في موقعة، فارتمى من شدة الحنق في النهر الحامل اسمه ليواري فيه عاره.

٥- أما إلاها أفْرِغيّا فهما نهر مِيْئنْذرُس ونهر اسْكامَنْذْرُس، أو كما سمّاه الآلهة نهر اكَسْنثُوس. وقد اشترك الأول في حرب اطروادة وهاجم أخِلفٍ وأوقعه في شباكه فتعثر فيها البطل اليوناني، ولولا تدخّل هِيْفِسْتُس وحمايته لابن الإلهة ثِيْتِس، لهلك وهلك معه رجاء أمّته وانتصر شعب إيلِيُن. أما الثاني فقد أخذ اسم ملك بِسنُوس. ونذر ذاك الملك أنه يضحي بأول عزيز عليه يلقاه بعد المعركة إن أحرز النصر. فلقي ابنه وذبحه للآلهة ومن فرط حزنه زجّ بنفسه في النهر(١).

٢ ً - عرائس الغدران والجداول والسواقي والينابيع والبحيرات.

١- كما أن للأنهار اللجبة المتدافعة الأمواج آلهتها، كذلك للغدران أو الأنهر الصغيرة إلهاتها وعرائسها، وللجداول والسواقي غاداتها وللينابيع والبحيرات عذاراها الناعمة اللطيفة(١). عبدوا تلك الآلهة الصغرى وأكرموها لأنها كانت رفيقة بالبشر، تعطف عليهم في المحن وغير الدهر، وتشفي أسقامهم، وتهتم بالينابيع والزهور والمروج، والطيور والحملان والجديان. واعتادت تلك الجنيات الناعمات مشاركة أخواتها الكبرى في حفلات الآلهة ومواكبها. وكانت تُقبل أحياناً في مراتع الخلود وديار أولمبُس.

٢- غير أنها لم تكن خالدة. وعمرها في زعم ابْلوتَرْخُس لا يتجاوز ٩٦٢٠ سنة. ومع عطفها على البشر ورأفتها بهم، كانت أحياناً تؤذيهم من

١-٥: (١) راجع سفر القضاة من التوراة الفصل١١: ٢٩- ٤٠.

٢-١: (١) كانوا يدعون تلك الجنيات بتميذس وناياذس واكرينه أو فيجه (بيغه) ولمناذس.

فرط حبها لهم. كما فعلت سَلمَكِيس بهرمَفْرُوذِتُس بن الزُهرة أفرذيتي وعُطارد هِرميس. وكما فعلت أخرى بهلاس، رفيق هِرَكلِيس وأحد الأبطال الماخرين على متن سفينة أرغو.

٣- وأشهر العرائس الغيد أغَنِبي، جنية نبعٍ في سفح هِلِكُون كانت تلهم الشعراء إذا شربوا من كوثر ينبوعها. وكَسْتَلِيّا وكسُتيس عينان صافيتان في جبل بَرْنسُّوس، تؤتيان الأدباء القريحة والعرّافين الوحي. وكياني رفيقة بِرْسفُوني وقد استحالت إلى ينبوع من أساها على صديقتها الحبيبة. وكلبْسُو جنية ذِيلس التي أضافت أذِسفس سبع سنين، وأرغرا التي علقت الراعي سِلِمْنُوس ثم كرهته. فأشفقت عليه الزُهرة وحوّلته إلى نهر وآتته النسيان ليسلو كلٌّ متيّم يشرب من مائه الرقراق، نار الجوى المتوّقدة في فؤاده.

الفصل الثالث

آلهة الفلك
وبعض العوامل الطبيعية

الفقرة الأولى
الإله الشمس وأبناؤه

اقترن التيطان هِبرِيُن بأخته الناشرة النور إفرفِائسا أو ثيا الإلهية، فأنجبت له هيْلِيُس فرقد الشمس الساطع، وسلِيني القمر اللامع، وإِيُوس الفجر الوادع.

١- إله الشمس وعبادته ومآثره:

الإله فرقد الشمس عندهم إله خاص هو شخص ذلك الكوكب بالذات، كما للأنهار والجداول آلهة هي أشخاص تلك الغدران. ففرقد الشمس كإله يختلف تمام الاختلاف عن أُبولن، الذي يعدونه إله الشمس، لأنه إله النور والضياء. إلا أن بعضهم خلط بين أبولن وهيلِيُس.

٢- وقد عبدوا الإله الشمس منذ القدم، وشادوا له الهياكل والنصب في كل أرجاء اليونان، ولاسيما في أثينا وأرغس وكورنثس. وأعظم تمثال لهذا الإله نصب في روْدُس جزيرته المحببة، فوق حوض السفن التي كانت تستطيع أن تمرّ بين ساقيه وأشرعتها منشورة خفاقة. وقد صبّ هذا التمثال العظيم،

إحدى عجائب الدنيا في ذلك الحين، فنان شهير اسمه خَارِس، من مدينة لِنْدُس في روْدُس. وأقام على سكبه من الشبه والنحاس، اثنتي عشرة سنة. وبلغ طوله اثنين وثلاثين متراً. شُيِّد في أول القرن الثالث قبل المسيح، وهوى في منتصف القرن الأول بعده. ولما استولى العرب على الجزيرة، قيل انهم حمّلوا من قطعه تسعمئة جمل، مما يعادل وزن ثلاث مئة وستين طناً تقريباً.

٣- وروى علماؤهم أن أعمام هيليُس تواطأوا وأغرقوه في المحيط. ولكن زفس مكافأة لخدماته في حرب التيطان، نقله إلى السماء، فأضحى فيها ذلك الفرقد الساطع. وعند انبثاق الفجر، تنهض الساعات إيُهورِه مبكرة، وتشد أحصنة الإله الأربعة إلى مركبة متألقة، صاغها له هيفستس من ذهب إبريز وعاج. وخيول هيليُس كلها بيضاء لامعة كالضياء، لها أجنحة قوية تشق بها عنان السماء. فيعلو الإله مركبته ويمسك بأعنة الخيل ويطارد بها النسيم من طرف القبة الزرقاء إلى طرفها الآخر، والضياء يسطع على العوالم وينير الآلهة والبشر وكل الكائنات.

٤- وعند منتصف النهار يبلغ الفرقد ذروة الفلك، وبعد بلوغه الأوج ينحدر رويداً رويداً نحو الأصيل. وفي وقت الغروب يبدو وكأنه يغوص في لجة البحار في أقاصي المسكونة. إلا أنه يلقى هنالك في الحقيقة زورقاً عسجدياً، من صنع الإله الحداد، فيه تنتظره أمه وامرأته وأولاده. فيمخر بصحبتهم المؤنسة عباب المحيط، حتى يعود عند إشراقة الفجر إلى نقطة الانطلاق.

٥- أحب هيليس جزيرة إيثا واصطفاها مرتعاً له وفيها أقام ولداه إيتيس وكيركي الساحرة. أما خيوله فقد كانت ترعى على أطراف الأرض، في جزيرة المغبوطين، وتقتات هناك بأعشاب سحرية. وقد ملك إله الشمس مراتع أخرى غير التي ذكرت. ولكنه عند اقتسام أرجاء المعمورة، لم يكن فرقد النهار حاضراً. فبقي بلا نصيب. فشكا أمره إلى زفس، فسلطه على جزيرة كانت تبرز من اليم جميلة فاتنة، فدعاها وردة باسم حبيبته رُوذُس.

٦- واختلف يوماً هيليس وبسذون بشأن كورنثس، فحكّما في الأمر افريارئس، فمنح البرزخ لملك البحار وروابي كورنثس للإله الشمس. فتنازل عنها هيليس لخليلته الزهرة.

وماعدا قطع الخيل، حاز هيليس قطعاناً من النعاج والثيران، قامت ابنتاه فئثوسا ولمبتيا على رعايتها. ولما هبط أذسفس ورجاله في جزيرة اثرِنَكْريا، اختار نفر منهم بعض البقر وذبحوها وأولموا وليمة فاخرة بلحومها. فساء الأمر هيليس وهدد الآلهة بأن يهبط إلى الجحيم ويضيء فيها عالم الأشباح. فهدأ زفس روعه ورمى الأثمة بصواعقه.

٢- مغامرات هيلِيُس الغرامية ونساؤه

١- لما كان هذا الإله إله النور والضياء، فأنواره وأشعته كانت تنفذ حجب الغيب وتشتفّ سرائر القلوب. وكان عندهم العليم الفهيم العالم السر وأخفى في الورى. لا يخفى عن علمه خبر، ويعرف المصائر والغِيَر. ولا يستتر عن بصره إله أو بشر. فهو الذي أنبأ ذميتر باختطاف ابنتها كوري، كما اطلع صائغ الآلهة على خيانات خليلته الزهرة. فانتقمت منه إلهةالحب والجمال، فأوقعته في غرام لفكثوئي كريمة ملك بابل أرخموس وقرينته إفرنومي.

٢- فاتخذ الإله زي الوالدة الجليلة، ودنا من الفتاة. فقبلته بلا ريبة ولا تهيّب. فحسدتها أختها اكْلِتِيّا، وقد حظيت قبلها بعطف الإله، وشكتها إلى والدها. فوأدها الملك حية. ولما أسرع هيلِيُس إلى النجدة، ولم يستطع إنقاذها من براثن المنون، ولم تقدر أشعته إرجاع الحياة إلى تلك الخلايا الخامدة، أحالها إلى شجرة لبانٍ ومرّ.

٣- أما اكْلِتِيا فقد ماتت من الوجد على حبيبها إله النهار. لأنه أنف من وشايتها النكراء، وهجرها هجراً موّبداً، فخسرته وخسرت نفسها وفقدت معه أختها: "فتعرّت على قول أفيديُس، الشاعر اللاتيني، واستلقت على الحضيض في العراء، ولبثت تسعة أيام وتسع ليال، بلا أكل ولا شرب، سوى دموعها

وندى الهواء الرطب في الأسحار. فلصق جسمها الناعم بالصخر، وكسا شحوب المنيّة أعضاءها، فاستحالت على غصن أدكن، وغدا رأسها زهرة صفراء مستديرة، تتجه نحو الشمس بلا ملل، وتعبد ذاك الفرقد بلا كلل". فسمّوها زهرة الهِلْيُترُوب أي دوار الشمس.

٤- وأحب هِيلِيُس غادة من جنيّات الأنهر، فلجأت لتأمن ملاحقاته إلى هيكل لأرْتِميس على ضفاف نهر الغانج. ودخلت الهيكل وتوارت في إحدى زواياه. فعجز الإله عن اكتشاف مخبئها. فصعد في طبقات الفضاء علّه يراها من علو. ودعي موضع ارتقائه أَنَتُلِي، أي موضع الإشراق ولذا سمّيت تلك الأمصار بلاد المشرق.

٥- وهِيلِيُس كأبُولّن وزفس وكبار الآلهة، لم يكتف بامرأة أو اثنتين ولا بحظية أو حظيتين. بل كان له الكثير من النساء والحظايا. فقد اقترن بابنة المحيط بِيْرْسِي فولدت له بِرْسِيس وأَيِتِيْس وكِيركي وبَسِفائي واتخذ نِيِرا عروساً من عرائس البحر، فأنجبت له فَئِيْفُسا ولَمْبِتِيّا راعيتي ثيرانه وأغنامه. وتزوّج من الجنية رُوذُس فخلّفت له سبعة بنين وفتاة وحيدة إِلِكْتْرِيونا. واشتهر أبناء هيليس في صنع السفن ونبغوا في ذاك الفن.

وقيل إنه اقترن بالأرض جدة جده، فولدت له أَخلُوْؤُس. وعرف اكْلِميني حليلة مِيْربُس ملك الأحباش، فولدت له سبع بنات وابناً وحيداً فَئِيْثُن، هو أَشهر أبنائه مع الساحرة كِيركي.

٣- أشهر أبناء هِيلِيُس فَئِيْثُن وكِيْركي

١- تشاجر يوماً ابن هيليس فئِيْثُن وابن زفس من إيو إِبَفُوس فأنكر هذا على فئيثن أصله الإلهي. فاحتدم ابن هيليس غيظاً، ومضى إلى أمّه يشكو همّه في سخط واستياء. فهدأته ولاطفته وأرسلته إلى أبيه ليتثبّت الأمر. فلما دخل قصر أبيه، الساطع الضياء، حجب هيليس في الحال أشعته لئلا يحرق بلظاها ابنه المحبوب. وإذ رأى حزنه واكتئابه أقسم له بنهر التَارْترُس، أنه لن يردّ له مطلباً.

فحكى الابن لأبيه قصّته، والتمس بإلحاح أن يقود مركبة النهار، ولو يوماً واحداً، ليظهر حقيقة انتمائه. فصدّه الأب طويلاً، وجزع على ابنه أشد الجزع. ولكن فئيثن أصرّ في الطلب. وعند بزوغ الفجر تسلّم قيادة المركبة، فشعرت الخيول بيدٍ فتيّة غير يد خيالها المغوار. وعندئذ هاجت وماجت، وحادت في طريقها السويّ في كبد السماء، ودنت من الأرض فانضبت الينابيع وأحرقت الغابات، واستولى الجليد على أولِمبس، وكادت الجبال والهضاب تستعر استعاراً فصرخت الأرض إلى زفس، فلم ير الإله مناصاً من أن يرمي الفتى الغرّ بنار صواعقه. فهبط على ضفاف نهرِ ديار السعداء، وهو نهر إرذانِس. فبكته أخواته السبع على ضفاف النهر، سبعة ايام وسبع ليال، وندبنه ندباً محزناً. ولئلا يعكرن هناء المغبوطين الذين اشتركوا في المناحة، أحالهن الآلهة إلى صفصاف على نبع المياه وتحولت عبراتهن إلى عنبر صاف يتكاثر على تلك الضفاف.

٢- أما كِيركي ابنة هِيلِيُس وبِيرْسي، فقد عُرفت خصوصاً بسحرها ومجونها. وهي أقرب إلى عشتاروت إلهة الفسق عند البابليين. اقترنت بملك السرمات، شعب من شعوب أُكِثيّا أي بلاد القرم وما إليها في جنوب روسيّا. وسمّت زوجها وهربت إلى جزيرة إيئا وشادت لها فيها قصراً منيفاً عجيباً، آنيته كلّها من ذهب نضار، ومن فضة وعاج. وسرحت في مغانيه ورياضه الأسود والسباع على اختلافها، وقد غدت بسحر كِيركي أليفةً وديعة لأن ابنة الشمس اعتادت أن تحوّل إلى دواجن كلّ من نزل في الجزيرة. فحوّلت هكذا رجال أذِسفس إلى خنازير. إلا أن البطل حمى نفسه من سحرها، بفعل عشبة اسمها مولي، وشهر السيف في وجه الساحرة، وأرغمها على إعادة صحبه إلى إهابهم. فعاودوا شكلهم البشري. وأحبّت كيركي قاهرها أذِسفس وأضافته سنة في نعماء ربوعها. فأنجبت له ولداً اسمه تليغُنس، قتل أباه من بعد في إحدى الغزوات وهو يجهله. كما أنجبت له ابنة اسمها كِسفُني اقترن بها تِليْمَخُس ابن أذِسّفس من أمه بِنلوبي. وإذ لم يحتمل كبرياء كيركي، أجهز عليها وقتلها وخلص العالم من شرّها، ومن اقتدارها المخيف لأنها استطاعت أن تنزل الكواكب على الأرض.

الفقرة الثانية

القمر إلهة الليل

١- أصلها ونشأتها

١- إن سِليني إلهة القمر، هي شخص فرقدالليل، كما أن هِيليس هو شخص فرقد النهار. وهي أخت الإله الشمس وابنة هِبرِيُن وثيا الإلهية. هذا وقد نماها بعضهم إلى هيليس ونسبها بعض آخر إلى أبي الآلهة والبشر.

٢- كانت سِليني البهيّة تبتدئ جولتها في أجواز الفضاء، عندما يهبط أخوها إلى المحيط، ويتوارى في الأصيل خلف الأفق. فتطلع هي في نوبتها جميلة ناعمة، ترتدي خمارها الخمري، وتزهو في الفلك فاتنة ساحرة، تنشر أجنحتها الفضية الناصعة، وتخطر بمهابة بين السحاب، على مركبتها المضيئة اللامعة، تجرّها في تؤدة خيول دمسة مطهّمة، تتيح لربتها أن تنثر على الغابات وعلى التلال والجبال، وعلى الأنهار والبحار، فيضاً بهيّاً من الضياء ودفقات رائعة من السناء.

٢- أسرتها وحبّها العذري لانذمِيُن

١- لحظ زفس جمال إلهة الليل، فأحبها حباً جماً، واتخذها قرينة له فأنجبت ثلاث بنات بهيات: بَنْذِيا الفاتنة بين الخالدات، وإرسي العذبة ندى الصباح، ونميْئا التي أوى إليها الأسد الزائر. وقيل عن هذا الوحش الذي قتله هِركليس إنه هبط من القمر، وقد ولدته سِليني لقرينها زفس.

وأحب القمرَ الإلهُ بان، فبدا لها بشكل كبش ناصع البياض واستمالها إلى أجمة من آجام أرْكَذِيا، كما رأينا في سيرة إله القطعان والغاب.

٢- وقد هامت إلهة الليل بشاب ممشوق بهيّ الطلعة اسمه أنْذِمِيُن. كان ذلك الفتى أميراً من الأمراء يرعى قطيعه على إحدى التلال. فجاءه زفس ونقله إلى أولِمبُس لفرط جماله وروعة كماله. ولكنه تجاسر وطمح إلى ربة الآلهة، فألقى عليه زفس سباتاً مؤبداً. فنلقته حبيبته سِليني إلى كهف في جبل لاتْمُس، وكانت تجيئه كل مساء، وتتأمل رونق وجهه الصبوح.

٣- وادّعى بعضهم أنه ملك على مقاطعة إبْلِس، فأحبّته إلهة الليل، وولدت له خمسين فتاة. وعلى زمن بَفْسَنِيّس، كانوا يؤمّون ضريحه في بلدة ألَمْبِيّا. وقال أهل كَرِيّا أن أميراً من أمرائهم يسمى أنْذِميُن مال إلى مغارة ليستريح من عناء الصيد. فدهمه الليل ولمحته القمر، فاستهواها حسنه الفتان، فدنت منه يحدوها الهيام، وقبّلته بمنتهى الحنان. وإذ كان ذاك الأمير كاملاً، يحب العدل ويمارس الإنصاف، رام ربّ الأرباب زفس أن يكافئه ويحسن إليه، فخيّره فيما يشاء من ثواب، فاختار لنفسه أن يُخلَّد في نوم هنيئ مؤبد. فما انقطعت صديقته الودود عن زيارته في أول الليل وتأمّل جماله الفتان.

الفقرة الثالثة

السحَر إئُوس إلهة الفجر

١- أصلها ونشأتها وزيجاتها

١- لم يميّز القوم إلا بعد أحقاب طويلة بين إئُوس وهِمِيرا، إلهة السحَر وإلهة النهار. وقد تمثّلوها دوماً في صحبة أخيها هِيلِيُس، ترفل بثياب النور إلى جانبه، وتجوب معه أجواء الكون، مشرقة وضّاءة بهية. ثم فرقوا بينها، وبين إلهة النهار وأناطوا بها مهمة خاصة، وهي أن تزف إلى البشر أشعة الفجر الأولى وإلى النبات والحشرات ندى الصباح البازغ. فتبكر تلك الغادة الهيفاء، ذات الأنامل الوردية والحواجب العسجدية والبشرة الحليبية الثلجية، لتنهض عند صياح الديك في الغلس، وتترك مهجع قرينها تِثُون، وتمتطي جوادها بيْغَسُس، وتنطلق من المحيط مؤذنة بمجيء أخيها، حاملة قارورة فاخرة، تنثر منها على الوجود، ندى عذباً لتحفظ له رطوبته. أو تعلو مركبة ذهبية لامعة، يجرها جوادان مجنحان، أشرب جلدهما صبغ الزعفران.

٢- اقترنت تلك الإلهة البديعة الناعمة في صباها، بعمها التيطان أسْتْرِيئُس وكان ذلك آنئذٍ مباحاً، فولدت نجوماً وكواكب. وولدت أيضاً الرياح: الصباح والشمال والجنوب. ولما ازدانت إُئوس بمزايا خلابة مال إليها إله الحرب، فاستفزت بذلك نقمة الزهرة، فطعنتها بسهام العِشق، وأولعتها بوجد كثير من البشر. وأوّل من أحبت منهم العملاق أرِيّن. فخطفته واحتجزته وأثارت بفعلتها سخط الآلهة. إلى أن أردته أرْتميس بسهمها النافذ، على سواحل جزيرة ذيلس.

٣- ولما قضى أرِيُن خافت أفرذيتي أن تعود إئوس إلى صحبة آرس. فأوقعتها في حبِ تثون نجل لوميذن، والد ابريَمُس وجدّ هيكتُر، خصم البطل أخلفس في حرب اطروادة. أحبت الإلهة الأمير الإيوني، وأخلصت له كل إخلاص، ومن فرط هيامها بقرينها البشري، سألت له حياة الخلود. ولكن فاتها أن تنال له مع الخلود ديمومة الصبا. فهرم الحبيب وطعن في الهرم، وغدا مع الأيام عجوزاً صغيراً، حتى صار بحجم الجنين. فأغلقت عليه إلهة الفجر في مخدعٍ من مخادع القصر، حتى رحمته الإلهة وحوّلته إلى صورة صرّار.

٤- وفي تلك الأثناء، ما انقطعت الإلهة عن اللهو والعبث، وعلقت بشاب اسمه اكلِيتُس حفيد العراف الشهير مِيلسَمبُس. واستأذنت الأرباب الخالدين ونقلته إلى ربوع أولمبس. إلا أنها في عبث الفتوة أحبّت أيضاً ابن هرميس المدعو كيفلس، أو ابن ملك فُكيْس.

انصرف كيفلس على هوايته المحببة، وراح يصطاد على جبل همِتُوس، وقد اقترن من عهد جديدة بفتاة وديعة لطيفة جميلة. فلما رأته إلهة الفجر، استهواها جماله الأخاذ، فحملته إلى مغاني سورية، وحاولت أن تستأثر بحبه، إلا أن الزوج الأمين، ما انفك يهدس بعروسه الناعمة.

٥- فشق الأمر على إلهة الفجر، وأوحت له الشك بأمانة زوجته، وحملته على اختبارها. فجاءها ذات يوم متنكراً، وقدّم لها مجوهرات فاخرة، وراودها بها على نفسها. وبعد ممانعة طويلة غلبت عليها التجربة واستسلمت للزوج المتنكر. فحنق بعلها أشد الحنق وطردها إلى جزيرة إيفيا. إلا أن أرتميس المنصفة، أهدتها كلباً مرهف الحس، وسهماً نحاسياً لا يطيش، وردّتها إلى زوجها الحريص المغرور. فأعجب بالهدية الفريدة، وهو الصياد المولع بالصيد، وارتكب هفوة قرينته ابْرُكرِيس. وتعارف الزوجان وتصافحا، ولكن قلب المرأة ما اطمأن.

٦- وتعقبته ذات يوم إلى أحد الأدغال، واختبأت وراء شجيرات الآس. فظن أن هنالك طريدة، فرماها بسهمه النحاسي الفتاك، وإذا بذلك السهم القتال،

يفتك بأعز كائن في الوجود. ورُفعت قضيته إلى محفل القضاء الأعلى عندهم، إلى محكمة آرِيُس باغُس. فقُضي عليه بالنفي. وإذ لم يحتمل فقد الحبيبة الغالية، قضى من فرط الأسى والهم. وأغرق نفسه في لجة اليمّ.

٢- سلالة إِئُوس

١- وُلد لتِثون من الإلهة إئوس نجلان كريمان: مِيْمْنُن وهِمَثين. فملك الأول على بلادالحبشة. وملك الثاني على بلاد العرب. وتشاجر هذا الأخير وهركليس فقتله. وإذ أردى ميمنن أنتيلخس بن نسطر، أجهز أخلفس صديق القتيل، على القاتل وأراد قتله. فرازهما زفس في ميزانه. فرجحت كفة أخلفس، فأجهز على أبهى مقاتل ظهر أمام إيلين، وهو ابن الفجر ميمنن، وطعنه طعنة أودت بحياته.

وبعد مماته نالت له أمه موهبة الخلود. ولكنها لا تني تبكيه كل صباح، وتسكب على فقده عبرات هادئة هي عبرات الندى السحري.

ويبدو أن مِيمنُن هذا، أسّس مدينة سوسة في بلاد فارس، وبنى أسوار بابل في ما بين النهرين، وقد أكرموه في مصر وشادوا له في ثِيفة تمثالاً ضخماً، ينبعث منه نغم شجيّ، عندما تقع عليه أولى أشعة الفجر.

٢- ومن أبناء إلهة الصباح فَئِيثُن، وقد خطفته لضياء وجهه، الزُهرة إلهة الجمال، وأقامته على حراسة أحد هياكلها. وفُوْسْفُرُس إله نجمة الصبح، وهِيْسبِرُس إله نجمة المساء. أما فُوسْفُرُس فقد كان قبل الفجر ينطلق في كبد السماء، حاملاً مشعلاً نيّراً وهّاجاً، ويتقدّم مركبة والدته وعدّوا هِيْسْبِرُس وأخاه، أبهى وأروع كواكب السماء جميعاً، وقد وُلد له ابن، حوّله ابولن إلى باشق، لفرط حزنه على موت ابنه خِيُوني.

٣- وأخيراً نسبوا إلى هِيْسبِرُس الهِسْبِرِيذِ أو المغربيات. ونماهن بعضهم إلى الليل وإيْرِفُس أو إلى فُرْكِيس وكِتُو، وحتى إلى زفس وثِيمِس.

أقامت تلك الإلهات في أقصى مغارب الأرض، في رياضٍ ساحرة وربوعٍ فاتنة عاطرة، أزهارها عجيبة نادرة، وثمارها شهية وافرة، وتفاحها من التحف الفاخرة، وبعضه ذهب ونضار. وربما كانت تلك الخرائد ترمز إلى السحب والغيوم التي شبّهوها بقطعان الغنم.

٣- أرِيُن والبِلْيّاد والهِيَاد

١- اختلف العلماء في نسبة هذاالعملاق. فقال بعض المحققين إنه من العمالقة أبناء الأرض، وادعى غيرهم أنه ابن بُسِذُون وإفْرِيالي. وقال آخرون إنه ابن ملك فِيُتِيّا. وهذه الرواية أكثر الأقوال رواجاً. وقد لاقت عندهم رضى وقبولاً.

ذالكم أن زفس وأخاه ملك البحار وساعي الآلهة هرميس استضافوا ملك فيتيّا هِيْرِيِفس – وقيل رجلاً فقيراً – فأكرم مثواهم وبالغ في أدب الضيافة. فراموا أن يكافئوه فالتمس لنفسه ولدا لأنه كان بلا عقب فاستحضروا جلد العجلة التي أولم منها الوليمة، وبالوا عليها كل بنوبته، وأمروه أن يطمرها ويستفقدها بعد تسعة أشهر. ولمّا حُمّ الأوان بزغ أرِيُن من الأرض فتى كبيراً ما عتّم أن غدا عملاقاً قديراً وصياداً بارعاً شهيراً. إذا مشى في قاع البحر برزت منه هامته، وإن خطر على وجهه. نطح السحاب رأسه. فرأته إلهة الصيد وزاملته وصادقته، فما انفك وإياها ينصرفان إلى هوايتهما المفضلة، بصحبة كلبه سِيْرِيُس.

٢- واقترن العملاق بجنيّة بديعة اسمها سذي، تباهت مرة بحسنها الأخّاذ، وفاخرت فيه هيرا ربّة الأرباب. فحنقت الإلهة العظمى وزجّت بالمدعية الصلفة في مهاوي تَارْتَرُس. فتعلق العملاق بمِروبي ابنة ملك خِيُّس. لكن غنَوبِيُن أبا الفتاة، فرض على خاطب ابنته أن يطهّر الجزيرة من الضواري. وبعد أن أنجز البطل المهمة، نكص الوالد بوعده، فأخذ العملاق فتاته عنوة. وإذ استنجد الملك بذِيونِسُس، أوقع على الغاصب سباتاً، فجاء الملك وفقأ عينيه.

٣- لكن عرافة ذلفي أنبأت الضرير، أنه يستعيد البصر إن اتجه إلى الشمس. فجاء صائغ الآلهة في جزيرته لِمْنُس. فحنّ عليه الإله وكلّف ابنه كِذَلِيّن بمواكبته. ولما شفاه إله الشمس خطفته إلهة الفجر، ولما عاد إلى الأرض عاود مصاحبة أرْتميس، حتى جنى عليه أبُولّن وكان سبب قتله.

وقيل أيضاً إنه تجاسر وتحدّى إلهة الصيد في رمي الصحن الطائر. أو إنه تباهى أمامها وتبجّح بإخلاء جزيرتها من الطرائد أو الوحوش الآبدة. أو شاء بحضرتها أن يغازل بعض وصيفاتها من عرائس الغابات والوديان، وهذا جرم أشنع وأفظع. فأثارها وأسخطها بذلك، فهيّجت عقرباً ضخماً. فلدغ الصاحب الطائش وأورده المنون في الحال. وعلى كل، ما رأت الإلهة حبيبها فريسة البلا والجحيم، حتى نقلته إلى فلك السماء، حيث غدا برج القوس أو القلادة، الذي ينقص لمعانه، إذا بدا برج العقرب.

٤- أما البْلياذِس والهيَاذِس فهنّ بنات التيطان أطلاس وقرينته ابْلِيُوني. وقد تعقبهن العملاق أرِيْن على جبال فِيُتيّا وقارب أن يقبض عليهن. لكن زفس الذي أحبّهن، أحالهن إلى حمامات ثم نقلهن إلى السماء حيث غدون نجوماً ساطعات. وهنالك عندما تبدو الفئة الأولى تبشّر بالربيع وأما الثانية فتؤذِن بحلول الشتاء.

الفصل الرابع

آلهة الهواء

والزوابع والأعاصير

١- الرياح الأربع

١- رأينا أن الفجر أنجبت لأسْتْرِيئُس، إله النجوم الساطعة، بين ما أنجبت له، الرياح الأربع: فُرِيئَس ريح الشمال القارسة، ونُوتُس ريح الجنوب الزوبعية، وإيْفرُس صبا الشرق الناعمة، وزِيْفِرُس ريح البحار الغربية المثيرة العجاج والمهيّجة الأمواج.

٢- وتوّهموا فُرِيئَس في هيئة رجل قدير مجنّح، يموج شعره في الهواء، وقدالتفت الثعابين حول ساقيه. أكرمه الأثينيون وشادوا له معبداً على ضفاف نهر إِلسُوس، ليخلدوا ذكرى اختطاف أرِثِيّا ابنة إرِخْثِفس أحد ملوكهم الأوائل. وهو الذي بعثر في عرض البحر سفن دَارِيس الملك وابنه اكسرِكْسِس إبان الحروب الفارسية الأولى والثانية، في القرن الخامس قبل المسيح.

٣- واختار فُرِيْئَس مقاماً له جبال ثراقيا. وقد قصدته إيْرِس في كهوف تلك الهضاب الشامخات، عندما شاعت أن يضرم محرقة بَتْرُكْلِيس صديق أخلَفْس. وهناك أقام مع الأميرة الأثينية التي خطفها. فأنجبت له الفْرِئاذِه زِتِيْس وكَالَئِس. وقد اشتركا في رحلة سفينة أرْغُو، واختلفا وهركليس فأرداهما في جزيرة زِينُس، فاستحالا إلى هواء عليلٍ دعي الهواء السابق، لأنه يسبق اشتداد القيظ عند ظهور

الشِعْرَى في الجوزاء، أي ظهور سيْرِيُس كلب أرِيّن في برج التوأمين كَاسْتُر وبُلِّذِيفكِس. ومن مواليد ريح الشمال خيوني الحسناء التي أحبها بسذون إله البحار.

واقترن فُرِيئَس بأفراس إرِخْثُونِيُس، فوضعت الأفراس اثني عشر مهراً سلهباً، تمشي على مروج القمح ولا تثني السبل، وتخطر على صفحات اللجة ولا تبلّ سنابكها.

٤- وأقام زِيفِرُس مع أخيه فُرِيْئَس في كهوف ثَراقيا وفي حصون جبالها الشامخة. وكان في عنفوان شبابه ريحاً غربية عاتية. تهبّ هبوب الإعصار وتجعّد صفحات البحار، وتسوق الزوابع والأمطار. ثم سكن جيشانه وهدأ هيجانه، وأصبح مع الأيام نسيماً ناعماً عليلاً، تعطر أنفاسه الأرجة ربوع الهِلِيْسيُن[1] ومراتعها الغناء، حيث تتمتع بالهناء، نفوس الصديقين والأولياء.

٢- رب الرياح وسيدها:

١- وهنالك اعتقاد آخر، يعبر عنه هومرس، صاحب الأذِسيّة والإلياذة، إن الرياح ذاتها لها سيد سائد عليها ورب يأمرها فتمتثل أوامره، وهو الإله إيْئلُس، بن بسِذون وأرني. أمّ هذا الإله جُزر لِبّاري واقترن فيها بغِياني ابنة الملك لِيبرُس وحدبت عليه الآلهة وشملته بعطفها بسبب برّه وعدالته. فعهد إليه ابو الآلهة رعاية الرياح وسياستها. وقد كان أولاً حارسها والقيّم عليها، فغدا مع الأيام أباها وربّها.

٢- وأقام هذا الإله في الجزر اللبارية، بين صقلية وسواحل إيطالية الوسطى وأضاف البطل اليوناني أذسفس. وعندما ودعه، أهداه زِقاً كبيراً حشر فيه الإله، الرياح المناوئة لرحلة صديقه الطويلة في البحر. وأوصى الإله ضيفه قبل الرحيل قائلاً: "إياك أن تفتح هذا الزق، وإلا أصابتك في اليمّ المكاره". لكن فضول الملاحين أصحابه، أبى إلا أن يفتح الزق. فانطلقت الرياح وهبّت على السفينة وأغرقتها قبل بلوغ الميناء.

٤-١ (١) هي الربوع المعروفة عند الفرنجة بربوع الأليزة.

ففي تلك الجزر إيئلس يضبط الرياح ويغلق عليها في كهوف رحبة شاسعة. وقيل عنه إنه استنبط أشرعة السفن وعلم النوتية طريقة استعمالها.

٣- الخيِمرا قاذفة اللهب وإِيهَارْبِيِه الزوابع الخاطفات:

١- خلا ما رأينا من الرياح، هناك هُولات شنيعات يمثلن عندهم الزوابع الزعازع، والعواصف الهوجاء والأعاصير. وتلك الهولات بنات الإعصار الرهيب تيفن، وقرينته المخيفة إيخِذْنا، التي أحرزت جسم غادة هيفاء، وذيل أفعوان ضخمٍ مرصوف بالفلوس الخشنة الخرشاء.

٢- وأشهر تلك الهولات خيمِرا. وقد صوّروها وتمثلوها بأشكال مختلفة متباينة. فبدت تارة في صورة أسد، على ظهره رأس عقاب، ذو قرنين شبيهين بقرون المعز، وله ذيل الأسود. بيد أن الذيل ينتهي برأس حنش. وظهرت طوراً بهامة أسد وجسم ماعز وذيل ثعبان. تقذف من شدقها النيران. وترمز إلى الرعود المزمزمة والغيوم المتلبدة والصواعق المتألقة المدوية.

٣- وإخوتها الجنيات الخاطفات تمثل الزوابع والعواصف. لأنها كانت تحطّ على الأمواج العاتية وتثيرها وتهيجها، وتنشئ فيها الأعاصير الهائلة. ذكر هومرس اسم إحداها بُذرغي، وسمى اثنتين أخريين أِثلو وأكسِبتيْس.

كان لتلك الهولات وجه عجوز دميم، وأذنا دب وجسم الجوارح بمخالبها الشديدة. دعيت خاطفات، لأنها ما فتشت تسطو على الناس، وتخطف ما يشترون من لحوم، أو تنجسها بذرقها، وتشيع الذعر والجوع. وقد سُلطت هكذا على العرّاف فينفس، الذي حكم عليه زفس بشيخوخة دائمة. فكانت تأتيه كل صباح، وتلتهم ما يقدم له من مآكل، وترش سلحها على الأوعية.

وقد حاربها ملاحو سفينة أرغو، ولاسيما زيتس منهم وكالئس. وقد تعقباها في الفضاء وغلباها. ولم يتركاها حية إلا نزولاً عند رغبة إيرس. وقيل إنها غرقت في البحر أو في نهر تِغريس.

الفصل الخامس

آلهة حياة الإنسان

سيطر زفس على الكون وساس الآلهة والبشر. ولكنه لم يكن يتدخل في شؤون المائتين مباشرة بل عهد في تدبير أمورهم والسهر عليهم والعناية بهم، إلى أرباب آخرين أقامهم على هذا كله وأوصاهم بهم خيراً. ومن جملة أولئك الأرباب، آلهة الولادة والصحة وآلهة الحياة الخلقية.

١- آلهة الولادة

١- عرف الأقدمون قابلتين قانونيتين بين الآلهة باسم إليثيا. والاثنتان أنجبتهما هيرا لزفس. وخصت الواحدة بآلام المخاض، وخصت الثانية بخلاص الحامل البالغة أوان وضعها. ولكن الاثنتين ما عتمتا أن اندمجتا الواحدة في الأخرى. ولم يبق بعد هومرس سوى إليثيا واحدة، لا تستطيع امرأة أو إلهة أن تلد مولودها دون حضورها ومؤازرتها.

٢- ورأينا في سيرة أبولن وأرتميس كيف عذبت هيرا أمهما لتو. فعانت المغضوب عليها تسعة أيام وتسع ليالٍ آلام المخاض، حتى رحمها الآلهة وأوفدوا إيرس إلى هيرا، فاستعطفتها وجاءت بإليثيا. وقد صوروا هذه الإلهة راكعة تمسك بيد مشعلاً وبالأخرى تشجع الوالدة وتساعدها. وقد سموا هيرا باسم إليثيا في أرغس، وأطلقوا هذا الاسم على أرتميس في جزيرة ذيلس.

٢- آلهة الصحة أسكلبيوس وسلالته:

١- إله الصحة عندهم الإله أسكلبيوس. وهو ابن أبولن إله النور والفن والمعرفة، من الأميرة الثيفية كروني. وعرفنا فاجعة الأميرة البائسة، ومأساتها مع الإله عشيقها، وموتها الشنيع فوق المحرقة.

وروى بعضهم أن كروني ولدت ابنها في حملة حملها أبوها أفلغيس على بلاد أركذيا. وخوفاً من أن ينفضح أمرها مع الإله، عرضت الطفل على جبل تتثُّن قرب إبيذفرس في فكنيا، فعطفت عليه عنزة جعلت ترضعه حليبها، وحماه كلب أمين، ما انفك يحرسه ويدفع عنه السباع. وأبوه القدير يسهر عليه في تلك الغضون.

٢- ولما نشأ الطفل وترعرع قليلاً، عثر عليه راع في تلك المنطقة. فأخذه واعتنى بأمره وسلّمه إلى الكِنتَفْرُس خِيْرُن. وزعموا أن أباه أبولن، هو الذي انتشله من فوق المحرقة ودفعه إلى خِيْرُنَ الحكيم ليربّيه ويهذّبه. فحدب عليه الجنّي وعلّمه الصيد ولقّنه علم الطب، فبرع فيه حتى تغلّب على كل مرض، وقهر الموت نفسه وأقام الموتى، إما بدم الهولة الهائلة مِيْذُسا، وقد أعطته أياه أثِنا. وإما بعشبة رأى حية تحيي بها حية أخرى، كان قد قتلها منذ قليل.

٣- فذعر هاذِس لهذا النبأ، وقصد رب الآلهة وشكى أمره، مدّعياً أن دياره لن تعتّم أن تغدو قاعاً صفصفاً تنعب فيها الغربان وتعوي بنات آوى، إن انتشر علم ذاك الإله الجديد. فرأى إله الكون أن البشر مائتون، وأنه لابدّ أن يسري عليهم القدر المحتوم. فأردى أسْكلِبْيُوس بصاعقة خفيّة وأورده حتفه. فحنق أبولن وأفنى العمالقة الثلاثة: البرق والرعد والصاعقة الذين استنبطوا له تلك الأداة الفتّاكة. فنفاه أبوه عن ديار الخلد ولكنه بعد أن كفر عن ذنبه وأرضى أباه، التمس منه أن ينقل ابنه أسْكلِبْيُوس إلى السماء، فجعله فيها برجاً نيّراً هو برج الرامي.

٤- اقترن اسْكلِبْيُوس بابِيُوني إحدى الجنّيات الفاتنات، فأنجبت له طبيبين شهيرين عندهم، هما مَخَاوُن وبُدَلِيْرِيُس. وقد اشتركا في حرب اطروادة. وشفى أولُّهما مِنِيْلَس من جرح سهم بليغ وقُتل في تلك الحرب. وقذفت الرياح بالثاني إلى سواحل كَرِيّا، فانصرف فيها إلى معالجة المرضى ومداواة السقماء. أما بنات الإله الشهيرات، فهن أغْلَئِيّا وبَنَكِيا وإيَسُو وهِغِئِيَا: أي النضارة والشفاء والعافية والصحة. ووُلد له ابن أصغر سمّاه النَقَه تِلِسْفُورُس.

٥- وقد عبدوا هذا الإله في أكثر مدن اليونان، وشادوا له المساجد والمعابد في ربوع وادعة وغياض هاجعة على ضفاف الأنهار أو سواحل البحار، وفي أمكنة صحية هواؤها عليل وماؤها سلسبيل. إذ كانت تلك المعابد مصحات حقيقية، يؤمّها ذوو العاهات من كل الأنحاء قصد المعالجة والمداواة والتماساً للعافية والشفاء. وقد انتسب كهّان تلك المساجد إلى سلالة إله الطب، واحتكروا العلم لذواتهم، وحفظوه أحقاباً، وجعلوه سراً مكتوماً وطلسماً مختوماً.

٦- كان المرضى في مصحّات الإله، يتطهرون بالقطاعة والصيام، والغسول والطهور، والذبائح والصلوات ثم ينامون في الهيكل بجوار تمثال الإله على جلود الأضاحي أو أسرّة خشبية. فيتمثّل لهم الإله في الحلم ويرشدهم إلى خير علاج. وعند الصباح يعمد الكهنة إلى وصفات معلقة على جدران الهيكل، فيفسّرونها باسم الإله، ويؤكّدون للسائلين أن في تطبيقها الشفاء. وتلك اللوحات كانت أولى كتب الطب. أما هياكل أسْكلِبْيُوس فقد اشتهرت في عواصم العالم القديم، ولم تخلُ منها مدينة هامة. ولكن أكثرها شهرة هياكل أثينا وروما وإبِيذَفرس وجزيرة كُوس، الواقعة على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى بين سَامُس ورُوذُس.

٣- آلهة الحياة الأخلاقية، إيمِيْرِه ونيْمِسِس وتِخِي

١- إن المصائر الثلاث إيْمِيرِهٍ، هنّ بنات الأرض. وقال بعض علمائهم إنهن بنات زفس وثِيمِس. وقصرهن في ديار الخلود بقرب قصر الساعات الناعمات. ففي تلك المغاني المؤنسة، تسهر إلاهات القدر على مصائر الآلهة والبشر، وعلى نظام البرايا وانسجام الكائنات إذ لا يخضع لهن المائتون فقط، بل الخالدون أنفسهم بلا استثناء. وهن يعرفن معيار كل شيء، ومصائر الجميع مسطرة أمامهن على صفائح من نحاس. فيشرفن على مبادئ الأشياء ومواليد الآلهة والبشر. وإذا دنا أجل أحد الأحياء، صَرَمْن حبل حياته بلا شفقة.

٢- وتلك الإلاهات هنّ اكْلُثُو ولاخِسِس وآتْرُبُس. فالأولى ترتدي ثوباً أزرق سماوياً، وتكلّل هامتها بتاجٍ من نجوم. والثانية اتشحت بثوبٍ ورديّ فاتح، تأتلق فيه الكواكب. والثالثة وهي الكبرى فقد ارتدت ملابس حِدادٍ سوداء. والأخوات الثلاث يحضرن مولد كلّ إنسان مع إلِيثِيّا. ويراقبنه خفية طيلة العمر. ولابد للزوجين وقت قرانهما من الابتهال إلى إلهات القدر كي يظل الزواج موفقاً سعيداً.

٣- ودعوها الغازلات، لأنها تغزل لكل امرء نسيج حياته. فتغزل لعيش السعد والهناء خيوطاً حريرية ذهبية، ولعيش البؤس والشقاء خيوط صوفٍ أسود مدلهمّ، وللعيش الرنَق الممزوج بالأفراح والأتراح، خيوطاً من صوفٍ أبيض وأسود على السواء.

فاكْلُثُو تمسك مِغزلاً يلامس الأرض. ولاَخِسِس تهب الحظ السعيد أو التعيس، وتَقسم لكل مخلوقٍ قِسمته. وآتْرُبُس تقبض على مِقصّ لا يرحم، وتصرم حبل العمر عند دنوّ الأَجل.

وقد تمثّلوا تلك الإلاهات بهيئة عجائز ثلاث، معتّمات بعمائم من صوف خالطه زهر النرجِس وقد ذبحوا لها النعاج السود، كما يذبحونها لإلاهات الانتقام.

٤- والإلهة نِيْمِسِس قسمةُ الحق والإنصاف، هي أيضاً ابنة الأرض جدةِ الكائنات طرّاً. وقد ولدتها كأخواتها السوابق دون ارتياد الحب. وقيل إنها ابنة المحيط، أو ابنة الليل وايْرفُس أو ابنة العدل والقضاء.

وسمّاها هِسِيُّدُس وباء البشر، لا لإنصافها وإحقاقها الحق. ولكن لتجاوزهم القِسط والاعتدال. فإن بطر الأنام وبلغوا حدود الصلف، حلت بهم نقمة نِيْمِسِس. لأن المرء يثير الآلهة إما بتجاوز شرائع السماء، وإما بفرط الترف والرخاء. ففي هذه الحالة تنتقم نِيْمِسِس. وفي تلك تبطش به الإلهة آتي.

٥- وما هذه الإلهة إلا إلهة الانتقام أو بالحري إلهة الشرّ والإثم، التي تدفع البشر والآلهة إلى ارتكاب المخازي والجرائم. وقد دفعت زفس أباها نفسه إلى ذاك القسم الذي جرّ الويل على ابنه هِرَكْلِيس، فطردها من ديار الخُلد ونفضها من عليائه على الأرض. فوقعت على البشر داءً ووباء. ولكن أبا الآلهة والبشر ندم على عمله فأعقبها باللِتِه إلهات التضرّع والاستغفار. وهن بناته أيضاً. ومن أكرم مثوى هذه العجائز الوقورات، منّ المولى عليه باليمن والخير. وتِخِي هي الحظّ الأعمى الجالب شآبيب الخير.

الفصل السادس

الجحيم وآلهتها وأعوانهم

الفقرة الأولى

الجحيم

١- موقعها ومنافذها

إن الجحيم في اعتقادهم مقرّ الأرواح بعد انفصالها عن الجسد. وهذا المثوى الأخير الذي تهبط إليه النفوس البشرية بعد الموت هو منقع عذاب للأشرار، أو مرتع ثواب للأبرار. وقد ضمّ بقعاً كثيرةً، تُصنّف فيها الأرواح حسب أصنافها ودرجة استحقاقها.

١- واختلف علماؤهم بشأن موقع الجحيم. فقال أصحاب المذهب الهوميري إنها تقع على حدود البسيطة، وراء المحيط، خلف بلاد القِمريين. هذا ما فصلته كِيركي ابنة الشمس. لخليلها أذسِفْس، عندما شاء أن ينطلق إلى بلد الأموات، ليسأل ظلّ تِرسِيَّس، عما يخبأ له القدر. ففي تلك الديار النائية، ديار البلاء والعفاء، حيث لا تشرق الشمس لبعدها عن تلك الأصقاع ينبت في الحقول ضرب من الزنبق البري المنتشر في المقابر، ونوع من الحور والصفصاف، المغبرّ اللون الضاربِ إلى السواد.

٢- وقال أصحاب فِرْجِيليُس، وغيرُهم من المدقّقين، عندما تثّبتوا أن بلاد المعمور كلها تضيئها الشمس، قال هؤلاء جميعاً إن الجحيم في بطن الأرض، ينحدر إليها المائتون من جهات مختلفة، من مغاور لا يُسبر غورها، أو أنهار مجاريها تخترق الأرض على مسافات شاسعة. كمغارة هراكليا في البنطس، ومغارة أخِروسا في ايبْرُس، ومغارة رأس تِيْنرُس، في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة اليونانية، وكهف كلنُوس قرب أثينا حيث أكرموا "العطوفات" إلهات الانتقام. وأشهر الأنهر المؤدية إلى الجحيم نهر أخيْرُون نهر الألم والحسرة في تِسْبرُتيّا من أعمال إيبرُس الوسطى. ونهر كُكتُوس نهر التنهّد والنحيب، وهو من روافد أخيْرُن. ومن مداخل الجحيم مدخل بحيرة أفرِنُس في كمْبَانيا على مقربة من مدينة كُومة. وهناك أخرى في فِتنيّا من أعمال آسية الصغرى، وفي صعيد مصر عند منابع النيل وفي بلاد الحبشة.

٢- مشارف الجحيم

١- قامت على مشارف ديار البلى أجمة دعوها غابة بِرْسفُوني. وتلك الديار بعد هاتيك الغابة لها أسوارها المائجة بمياه مالحة ثقيلة أو نيران متأجّجة. ولها تلالها وهضابها، ولها غياضها وواحاتها، ولها مناقع العذاب ومهاويها الرهيبة، كما لها مراتع الراحة ومغانيها العجيبة. فهناك الحدائق الغناء وهناك الميادين الفيحاء، يتبارى فيها الأبطال الأقوياء ويتجارى الفرسان الأشاوس الأشداء. كما يتنافس في ربوعها الشعراء والفلاسفة والأدباء، ويقيم أهل الفن والطرب حفلات الرقص والتمثيل، على ضفاف الغدران وتحت صفصاف الوديان.

٢- فبعد أن يقطع المرء غاب ملكة الجحيم، يلقى الشؤون والشجون والغموم والهموم، في منعطف الهضبة التي قام عليها ذلك الغاب، ثم يشاهد العلل والأمراض والشيخوخة والأوجاع، والهلع والجوع، والفقر والهزال

والألم والموت والنوم شقيق المنيّة، وأفراح النفس المنحرفة. وإذا تقدم المسافر في تلك الطريق، عاين على أعتاب هاتيك الديار، الحرب الضروس والأثافي الهائجات، المعروفات عندهم باسم إرنيِس أي المنتقمات، وباسم إفمنيذٍس أي العطوفات. وهذه اللفظة من باب التورية خوفاً من لفظ الاسم الصحيح.

٣- ويرى أيضاً النزاع البغيض بلمّته المشعّثة، والثعابين المهتاجة فيها، والدم والسمّ الزعاف ينقط منها. ثم الكنتفري تتمرّغ في التراب وافريِارئُس العملاق الرهيب يهدّد ويلوح بأياديه المئة، ويدمدم بأشداقه الخمسين. وتنّين لِيرني والخِيمرا قاذفة اللهب، والهولات الثلاث والخاطفات القذعات، وغرِيُّن العملاق الهائل بأجسامه الضخمة الثلاثة، وفي وسط البقعة دوحة شامخة باسقة من الدردار، حطّت الأحلام الواهية على أوراقها كضباب من الهوام.

٣- أنهار الجحيم

وعندئذٍ يبلغ المرء ضفاف أخِيرُن، ذلك النهر اللجب الذي تتدافع أمواجه الملوّنة عاتيةً زاخرة، لاسيما بعد أن تمتزج بمياه النحيب والحسرات مياه رفده نهر كُكِتوس. وأخيرُن هو ابن الأرض وقد قضى زفس عليه إبان حرب التيطان. لأنه ساعد إخوته وسقاهم في المعركة فرشقه زفس بصواعقه، وأهبطه إلى الجحيم. فاستحال فيها إلى نهر هدّار. ولزام على أرواح الراقدين أن تجتازه لتبلغ مقرّ راحتها. ولا تستطيع ذلك إلا على متن فلك خارن العتيق الأيام، ذي اللحية الكثّة الشمطاء والمحيّا العبوس والثياب القذرة الرثّة. وهذا الشيخ العتيّ، هو ابن الديجور إيرفُس الذي يكتنف أرجاء الجحيم، وابن دجنة الليل الحالك. وقد فَرض على كل ظلّ يروم اجتياز أنهر الجحيم، أن يؤدي له فلساً يضعه الأحياء تحت لسان الفقيد، إن كان فقيراً. وإلا ففلسين أو ثلاثة. ومن لا يحمل هذا الفلس أو من

لم يدفن بعد موته، لكزه خارُن بمقذافه، وتركه يتيه ملتاعاً على ضفاف أخيرُن مدة مئة عام.

٢- وإن شاء حي من الأحياء أن يعلو الفلك ليجتاز الأنهر، عليه أن يحمل إلى ربّة عالم الأموات غصناً من ذهب، ينبت على شجرة فريدة، لا تهدي إليها برسفُوني إلا من تشاء. وإذ خشي خَارُن بطش هركليس وأجازه دون ذلك الغصن، كبِّل ربان الجحيم، وألقي في مهاوي تارْترُس سنة كاملة ولم يكن خَارُن يستطيع أن ينقل من تلك الأرواح المزدحمة كالفراش، سوى عدد زهيد كل دور، لأن زورقه قد تخّ وتشقّق.

٣- ويصبّ النهران المذكوران في نهرٍ كبير يحدق بالجحيم من كل صوب، ويحيط بها تسع مرات. والنهر هو نهر السْتِيكْس، تلك الغادة الحسناء ابنة المحيط وأخته تِثِيس. وقد اقترنت بالتيطان بَلاس فولدت له الغيرة والبأس والعنف والظفر. ولما ثار التيطان على أبناء الزمان، لم تعبأ بقرينها، بل مالت وأولادها إلى أبناء عمها. فكافأها زفس بأن جعل اسمها مقدّساً رهيباً، لا يحلف به إله ويحنث بقسمه، إلا ويفقد ميزات ألوهته مدة قرن كامل.

وهنالك أيضاً ثلاثة أنهر، الأول يحوط منقع العذاب ويزيده رهبةً وهولاً وهو نهر افْلِيئُن، نهر اللهب والشُهُب. والثاني في بقعة السعداء وهو نهر إرِذانِس، والثالث على حدود الموت والحياة. وهو نهر النسيان والسلوان.

٤- البقع الكبرى في الجحيم ودركاتها

١- بعد عبور النهر الأكبر، يدخل الزائر مملكة الظلال. فيستقبله على أرض تكثر مستنقعاتها، وحش ضارٍ يرنّ عواؤه رنّة الصنوج، وتزفر الأفاعي فوق أعناقه، ويقطر السم من أشداقه. وقد عاين له بعضهم خمسين رأساً. وعاين غيرهم ثلاثة أرؤس. وإن أفلت أحد من كلب الجحيم، لم يُفلت من الهولات الأخرى التي حرست مداخل عالم الأموات.

٢- ويتقدّم الجائل في تلك الرحاب، وإذا أمامه سهل فسيح ينبعث منه أنين شجي يطلقه الأطفال المائتون، حين الولادة أو بعدها بقليل. ويلي السهل سهل أكبر حشرت فيه أرواح الضحايا البريئة، وقد جنت عليها العدالة البشرية وحرمتها لذة الحياة، بأحكام اعتباطية جائرة. وقد انتصب بين تلك الجماهير من الضحايا منبر مِيْنُس ملك كريت الأسبق، قاضي الجحيم المكرّم، يساعده أخوه إئكُوس في الاستماع إلى قضايا الأرواح، وفي البحث عن أعمالها الصالحة، وفي تحديد الثواب أو العقاب، المتوجّب على كل واحدة منها.

٣- وإذا قطع المرء سهل مِينُس، بلغ بقعة البكاء والنحيب، وقد انتشر في شعاب تلالها ووهادها، المنتحرون الذين صرموا حبل حياتهم، وهم الآن تائهون في تلك الوهاد يشكون ويئنون من قسوة حبيب صدّهم، أو معبود سلا ودّهم، أو معشوق أثار حقدهم. ويبحثون في يأس وبؤس عن صاحب هيامهم ومهيّج غرامهم، شأنهم في الحياة السالفة. أما الجنود والمشاهير من القواد والأبطال، نظير أغممْنُن ملك الملوك، وآجَكْسَ الجيّاش وأخِلّفْس المغوار وهِرَكُلِيس الصنديد، فهؤلاء وغيرهم كثيرون انصرفوا في مرج نيّر وضّاء إلى المبارزة والملاكمة، وإلى مختلف ألعاب الرياضة والفروسية.

٤- وبعد مرج المحاربين تتشعب الطريق شعبين، يؤدي أحدهما إلى منقع العذاب والآخر إلى مرتع العزاء والثواب. فهناك على بعد شاسع أرسيت على الصخر الأصمّ أساسات ثلاثة أسوار شامخة، هي أسوار مكان البلاء والشقاء ويحدق بتلك الجدران العاتية المنيفة، نهر يزجّى في تياره نيراناً متأججة وحَمَماً متوهجة، دعي فْلِيِيْثُن أي نهر اللظى. وأسندت بوابتا التارْتَرُس إلى عمودين من ماس، وارتفع وراءها برج هائل من حديد. وبقرب نهر النشيج والنحيب، جلس حاكم سجن الجحيم، يملي على المعذبين أحكام شقائهم المرير. ورذامنثس هو أخو مينس وائكوس، وابن إفروبا خليلة رب الآلهة.

ومن حكم عليه القاضي الرهيب، زُجّ في مهاوي تارترس، في لجج لا قرار لها، من فوهة فاغرة رست بجانبها قواعد الأرض والبحار. وإذا هبط إليها جان من الجناة، تدهور فيها من هاوية إلى هاوية، مدة أيام وشهور. وبعد سنة كاملة لا يبلغ إلى القرار، والأعاصير تتقاذفه كورقة من أوراق الخريف، تناثرت في مهب الريح.

٥- ومن تلك الفوهة المشؤومة، التي يشمئز منها الآلهة، والتي أغلقها بسذون بأبواب من نحاس، انحدر تيتيس الجبار الذي يغطي جسمه تسع مئة وخمسين متراً مربعاً، إذا تمدّد على الأرض. وقد سُلط عليه عقابان ينهشان كبده بلا هوادة، لأنه أهان لتو والدة أبولن وأرتميس، عندما هربت من الأفعوان بثون. ومن تلك الفوهة هبط سيسفس ملك كورنثس الشرير، وأكره على دحرجة صخر إلى ذروة جبل، يهوي منها كلما قارب الوصول إليها. لأنه كان يهرس الناس بالصخور، أو يفسخهم بجزوع الصنوبر. وهبط تانتلس بن زفس ملك لذيّا الذي تطاول على الآلهة بعد أن قبلوه ضيفاً على موائدهم. وقدّم لهم مرة لاختبار علمهم لحم ابنه بيليس. فألقي في منقع العذاب هذا، في مستنقع لا يستطيع أن يعبّ من مائه ليروي سعير عطشه، وأمام مائدةٍ فاخرة، لا يمكنه أن يأكل أكلها الشهي ويهدئ به جوعه.

٦- ففي تلك البقعة الرهيبة، طرح التيطان المعاندون والمردة المكابرون المتجبرون. وطرح أيضاً سلمنفس الذي أعماه الغرور ورام أن يماثل رب الآلهة بقذف الصواعق والبروق. وإكسين الأثيم الذي ندم عليه زفس بعد أن أحرق عمّه أبا قرينته في تنور مستعر، ودعاه إلى مأدبة في ديار الخلد، فتطاول على هيرا زوج رب الآلهة. وكل الخونة والحانثين والبخلاء والخاطفين والسراق والمنهتكين. فهؤلاء جميعاً كانت تسفون، إحدى ربّات الانتقام، تستقبلهم بثوبها الدامي، وتدفعهم إلى شقيقتها أكلتو فتسومهم عسفاً وخسفاً، وتنهال عليهم بمقارع من ثعابين، وأختها ميغرا بمشاعل متّقدة.

٧- وعندما يبتعد الجائب الوجل عن تلك الأصقاع الباعثة على الذعر، ويُصمّ أذنيه عن هول العويل والنحيب، وينعطف شطر اليمين إلى بقعة العزاء والهناء، يعثر فيها على مغانٍ ورياض ومراتع وغياض، استسلم أهلها إلى الصفاء وصنوف الرغد والرخاء. هواؤها نقي وضاء، وسماؤها نور وسناء. تشرق عليها نيرات بهية وتنيرها كواكب سنية. فتلك ديار السعداء ينصرفون فيها إلى المحاورة والمنادمة، على أعشاب ناعمة مخملية، في راحة دائمة سرمدية. إلا لمن هاجه الشوق إلى حياة الأرض العلوية.

٨- وتنساب هناك مياه نهر ارذانس النقية الفضية، الذي تقام على ضفافه حلقات اللعب والطرب. ومياه نهر النسيان والسلوان، الذي تزدحم بجواره الأرواح، عندما نسأم حياة الظلال، لتعبّ من رائق كوثره وتسلو ماضيها القريب والبعيد، وتتوق إلى حياة عمر جديد. لأن روح الكون الشاملة في زعمهم، تبعث فيها ذلك الحنين، وتحدوها إلى العودة إلى سالف السنين، إلى عيش النكد في ديار المائتين. فتغادر النفوس مقرّ السعادة، وتعود إلى هذه الدنيا من باب العاج وأحلامه الوهمية الخداعة، أو من باب القرون وأحلامه الثابتة الحقيقية. ومن ولج الدنيا مجدداً من باب العاج، بدا فيها من أصحاب الخيال. وأما من عبر إليها من الباب القرني، تصرّف فيها باعتدال وفقاً لما يقضي واقع الحال.

الفقرة الثانية

آلهة الجحيم وأعوانهم

١- هاذِس ملك الهاوية

١- إن ملك الجحيم والهاوية هو ابن اخرونس وريثاً، وأخو زفس وبسذون وهيرا. وكان إلهاً حصيفاً رصيناً، لا يغادر قصره البديع الوسيع، القائم بجوار الأنهار والينابيع، على مدخل ديار السعد، ومقر الصفاء والرخاء والرغد.

وقد خرج مرة إلى وجه الأرض، ليخطف برسفوني الحسناء قرينته البهية الهيفاء التي ملّكها معه على ديار السعداء، وأصقاع البلى والعفاء. وخرج مرة ثانية إلى نطاسي ماهر بارع ليداوي طعنة في كتفه، أصابه بها هركليس، عندما احتمى كيرفرس تحت عرشه، وصدّ هو ابن زفس عن سحبه وجرّه. وعلى كل حال، إن عنّ له أن يغادر دياره، يلبس قبعةً تحجبه عن الأبصار، فيجوب بها الأصقاع والأمصار.

٢- قلنا إن ذلك الإله القدير، كان عاقلاً وقوراً. وفي الواقع لم يُر غيرة زوجه ونقمة حماته، إلا مرة أو مرتين. ففي ذات يوم، بينما كان يتفقد أحوال رعاياه، ويجوب في أرجاء مملكته، مرتدياً قبعته السحرية التي تخفيه عن الأبصار، رأى على ضفة ككتوس غادة واجفة حزينة، ذات جمال وروعة. فدنا منها فجأة وعزّاها بلطف وفرج كربتها ووعدها أن يتخذها صديقة ووصيفة لقرينته كوري. ولكن هذه تزوالت من التابعة، لما لاحظت ما بينها وبين قرينها هاذس. وأبدت مخاوفها لأمّها القديرة ذِمِيتِر. فهرعت إلهة الزرع والضرع وداست البائسة بقدميها. فأسف عليها رب الجحيم، وحوّل خليلته منْثس إلى نعنعة وخصّ ذاته بهذه الزهرة.

٣- وصادق ابنة المحيط لفكي البيضاء، وأقامها في القصر مشرفة على الوصيفات، وعمّرت فيه طويلاً. ثم قضت نحبها فأحالها الإله إلى صفصافة فضية، ينثر النسيم أوراقها على ضفاف نهر النسيان. وقد تكلل هركليس في عودته من ديار المائتين بأوراقها الجميلة.

ولقد أكرموا الإله هاذس إكرام رهبة وخوف وحذر. واعتادوا أن يذبحوا له ذبائح مزدوجة لا مفردة، كما ضحوا لغيره من الآلهة. وأفضل الضحايا التي ضحيت له الثيران والضأن والنعاج السوداء. وإذا دعوه ركعوا سجّدا، وضربوا الأرض بأكفهم. أما نباته المختار فهو مع النعنع السرو والنرجس.

٢- قرينة هاذس كوري - برسفوني

١- إن كوري – برسفوني إلهة الربيع، وجوّه النير العابق البديع، هي نفسها بهجته ورونقه وأريجه. وقد دعتها سَفُو شاعرتهم الملهمة "زهيرة الربيعة الفائحة". وعلى ما رأينا في سيرة أمها، إنها ابنة زفس وذميتر، إلهة فتية رائعة، تمثّل العمر في ربيعه، والشباب في شرخه، والبهاء وزهوه في ريعانه. وتمثل الأيام العذاب وأملها الباسم الجذاب، وسحرها الفاتن الخلاب.

٢- ولكن الربيع يعقبه الخريف، وتثور فيه الرياح الزعازع وتأتي بالعواصف والزوابع، تليها المتاعب والمصائب والفواجع. كذلك تلك الغادة الحسناء اللعوب وتلك الإلهة المبهجة الطروب، سطت عليها يد الجحيم وبلتها ببلاء رخيم وسحبتها إلى ديجور ليل بهيم، إلى ديار البلى والفساد. ومع أنها تعود إلى مغاني النور وتنشر فيها البهجة والحبور مع الرياحين والأزاهر والعطور، فهي لم تعد تبدو بما ازدانت به من البِشر والطرب والسرور.

٣- كان الألمبيّون آلهة سعيدين، وأرباباً مؤبدين خالدين، لا يعبؤون كثيراً بمشاكل البشر ولا بما ينالهم من مكاره وغِيَر. أما كوري وذِميتِر، فقد عرفتا الحسرة والهم، وذاقتا الألم والغم. ولذا كثيراً ما يلجأ الأقدمون إلى هاتين الإلهتين لأن الام فجعتها السنون، إذ تخفي عنها ابنتها كلّ عام، ولأن البنت رأت هول المنون، وخبرت مرارته على الأنام. فهما من ثمة إلهتا

الرحمة والشفقة، ترثيان لحال من جار عليهما القدر، وبلتهم الأيام بالمحن والعبر، وأذلّم الموت وجار وقهر.

٤- وقد أكرموا الإلهة بِرْسِفوني في صقلية وسارذِس، وأطلقوا عليها في اركذيا لقب ذِبْسبِنا أي الإلهة السيدة، ولقب بِرْسِفُوني سُتِيرا أي برسفوني المخلِّصة، ولم يفصلوها عن أمها في أسرار إلِفْسِيس. أما شعاراتها كإلهة للجحيم فهي الخفافيش والنرجِس والرمّان. وإذ حُبست رحمها عن الولادة، لأن مملكة قرينها مملكة البلى لا الحياة، اعتادوا أن يذبحوا لها بقراً عاقراً.

٣- هكاتي القمر المكفهّر إحدى إلهات الجحيم

١- ادعى هِسِيّذس أن الإلهة هِكاتي هي ابنة التيطان بِرْسِيس والتيطانة أسْتِيْرِيا. وزعم غيره أنها بنت من بنات زِفس، ولدتها له حليلته هِيرا ربّة الآلهة والبشر. إلا أن هذا الرأي وذاك هو اعتقاد خاطئ. فإذا كانت الإلهة هكاتي نفس الإلهة مِينِي أو الإلهة سِلِيني، فهي والحالة هذه شخص القمر، كما أن هِيْلِيُس أخاها هو شخص الشمس، وكلاهما ابنا التيطان هِبِرين والتيطانة إفْرِفائساً. وإذا كانت نفس أرْتِمبس، فهي أخت أبُولّن وابنة زفس ولِتُو. ومنهم أخيراً من خلط بينها وبين بِرْسِفوني إلهة الجحيم. ولكن هؤلاء يهرفون بما لا يعرفون.

٢- اشتهرت هذه الإلهة بقدرتها في السماء وعلى الأرض. فهي تدفع أبْلوُتُس الثراء ابن ذِميتر ليهب الناس الغنى والفوز والفطنة. وأراد الثراء أن يحصر خيراته في الأبرار والأخيار، فشكته هِكاتي إلى أبيها وخاله زفس. فرأى رب الآلهة أن المثل القائل: "ما أجمل الدين والدينا إذا اجتمعا". لا يصلح تطبيقه إلا في ما ندر. والرخاء والرفاهية إذا اقترنا بالفضيلة قد يفسداها، وعلى كل حال، قد يكونا أجراً عاجلاً وثواباً دانياً. وإن الفضيلة أعظم أجر في حد ذاتها، وأبهى ثواب لنفسها في هذه الدنيا. ولذا ضرب الثراء بالعمى. ومن ذلك الحين أخذ الأشرار يتزلّفون إلى الغنى، ويستثمرونه على حساب الأخيار. وهِكاتي تسهر آناء الليل على القطعان، وتهدي السفن في لجج البحار، وقد ساعدت زِفس في حرب العماليق. ولذا ما فتئوا يجلونها بين الخالدين.

٣- وزعم من أحدرها من هيرا ربة الأرباب، أنها اختلست من والدتها علبة من الذرور والعطور، لتهديها إلى إفروبا. وإذ حنقت أمها، هربت هي من وجهها وأوت على الأرض إلى بيت امرأة "نفاس". فتنجّست من ملامستها. فأخذها الكافِري كهنةُ كفيلي وغطّسوها في نهر أخِيرُن، وأزالوا عنها رجسها. ومنذئذ غدت هكاتي إلهةً علوية وسفلية معاً. وغنمت في عالم الظلال هيبة ونفوذاً. فدعوها زعيمة الموتى والملكة غير المقهورة.

٤- وقد أشرفت منذ القدم على التكفير والتطهير، وعلى الشعوذة والسحر والطلسمة. وما انفكت تبعث بشياطينها إلى الأرض لتعذّب البشر ولاسيما الأردياء، وتبدو بذاتها في الليالي الظلماء، تصحبها ثَلّة من الكلاب السوداء، على مفارق الطرق وعلى الضرائح والقبور وفي مكامن الإثم والشرور. واتقاء لسخطها نصبوا لها التماثيل الثلاثية الوجوه، وقرّبوا لها الذبائح والقرابين، إذا ما هلّ الهلال في السماء، وخطر بتؤدة في كبد الفضاء، وبدا طيفه من وراء السحاب، وتلالى بين دوحات الغاب وأشجار الصنوبر والسرو والشربين.

٤- أعوان آلهة الجحيم: الموت والسبات وإلاهات الأجَل وربات الانتقام

١- إن الموت ثانَتُس، مموّن الجحيم ومستوردها الأكبر، هوابن الليل الداجي. ودجنة الليل ولدته دون اقترانها بإيْرِفُس. وهو أخو النوم هِيْبْنُس. وقد تمثّلوهما بهيئة ملاكين. الأول يجول بين المائتين ويخطف منهم فرائسه. والثاني يمسّ بعصاه السحرية الآلهة والبشر، فيلقي عليهم السبات العميق. وابن النوم مُرْفِفْسُ إله الأوهام والأحلام. وقد أوقع هِيْبْنُس السبات على زفس فوق جبل إيذا.

٢- أما كيرس فهن إلاهات الأجل وبنات الليل وأخوات الموت. ولدتهن دجنة الليل دون قران أيضاً. وكانت إلهات الأجل نصيرات إلهات القدر. فإذا حُمّ الأجل وحان وقت الرحيل، وصرمت إلاهات القدر حبل العمر، أقبلت إيكيرس وأخذت بتلابيب البائس المحتضر، وطعنته الطعنة الأخيرة، وهوت به إلى ديار الظلال. وقد أبدت هذه الإلاهات بطشها في المعامع والمعارك، حيث تبدو بثياب قانئة وسحن كالحة وتنقضّ على الجرحى وتنشب أظافرها

في جراحهم، وتودي بحياتهم، ثم تقبل عليهم وتعبّ بنهمٍ من دمائهم. ولذا دعوها كلبات الجحيم.

٣- أما إلهات الانتقام فقد رأينا كيف انصرفت تلك الإلهات إلى تعذيب الأردياء في منقع البلاء والشقاء. وقد اختلفوا في نسبتها. فمنهم من نماها إلى الأرض بعد أن أخصبتها دماء السماء. وهذا رأي هسيذس. ومنهم من نسبها إلى الليل، ومنهم من أحدرها من إيرفس.

وعلى كل حال، كانت تلك الجنيات إلاهات رهيبات، يسرعن إلى مكان الجريمة ويقمن على عتبة البيت، ولا يدعن أحداً ينجو من نقمتهنّ، حتى في موضع العذاب، في مهاوي تارترس. لاسيما إذا كان الجاني قد اقترف جنايته، بحق والديه أو أحد ذويه.

هذه سيرة الآلهة أرباب البشر. وهذه تفاصيل مواليدهم ووقائع فعالهم وأعمالهم، فيها فكاهة للهواة وعبرة للمفكرين والفلاسفة وعلماء الدين والباحثين عن المعتقدات والديانات. ومن خلال هذه الأساطير والخرافات، يستشف المطالع الأديب والمفكر الأريب نزعة الإنسان العميقة إلى الخلود، وإلى حياة الألوهة، وإلى السعادة والغبطة الدائمة.

فهرس الأعلام

أَ= A

أكتئين	Actéon
أكربولس	Acropolis
ألثيئا	Alithéa
أكيس	Akis
ألسئيذس	Alciidhés
ألفئوس	Alphéos
ألكتريون	Alectrion
ألكبي	Alkipie
ألكتو	Alecto
ألكستيس	Alkistis
ألكميني	Alcménie
ألكينفس	Alkionèvs
ألكينؤس	Alkinoos
ألئفس	Aloévs
أمثوس	Amathous
أمزون	Amazones
أمفتريتي	Amphiritie
أمفترين	Amphitrïon
أمفين	Amphion
أمكلاس	Amiclas
أمالثيا	Amàlthia
أنتذون	Anthidhon
أنتلي	Anatolie
أنتيوبي	Antiopie

أنخيسس	Ankhicis
أييتس	Aétis
أئلو	Aéllo
أرغيس	Arghis
أركاس	Arkas
أركذيا	Arkdhïa
أرياذني	Ariàdhnie
أسبوس	Asopos
أستبالي	Astipàlie
أستريئس	Astréos
أسترين	Astérïon
أستريا	Astéria
أستريا	Astéria
أستيريس	Astérios
أسكالوفس	Ascàlovos
أسكلبيوس	Asclipios
أسيا	Acïa
أطلاس	Atlas
أغافي	Aghàvie
أغلئي	Aghlaïe
أغلئيا	Aglaïa
أغممنن	Aghamèmnon
أغنبي	Aghanipie
أغينر	Aghinor

أفتنئي	Aftonoïe
أفرذيتي	Afrodhitie
أفغيس	Avghïas
أفلنياذس	Avloniàdhès
أفيرنس	Avérnus
آتربس	Atropos
آذمتس	Admitos
آذن	Adhon
آذنس	Adhonis
آرس	Aris
آرغس	Arghos
آغلفرس	Aghlavros
آفذس	Avidhos
آمبلس	Ampélos
آمكس	Amicos
أبولن	Apollon
أتكي	Attikie
أثامس	Athàmas
آثنا	Athinà
أثينا	Athènes
أثينئا	Athinèa
أفغيس	Avghïas
أفلنياذس	Avloniàdhès
أفيرنس	Avérnus
آتربس	Atropos
آذمتس	Admitos
آذن	Adhon
آذنس	Adhonis
آرس	Aris
أرستفس	Aristèvs
أرغرا	Arghira
أرغليس	Argholis
أرغو	Argho

أُ= O

أثريس	Othris
أذسفس	Odhissèvs
أرثيا	Orithïa
أرتغي	Ortighie
أرخموس	Orkhamos
أرخمنوس	Orkhoménos
أرخمنيا	Orkhoménïa
أرنيا	Ouranïa
أرياذس	Oriadhès
أرين	Orion
أكئنوس	Okéanos
ألمبيا	Olympïa
أنكس	Onkos
أوتس	Otos
أوسا	Ossa
أولمبس	Olympos

أُ= Ou

أرنوس	Ouranos

إِ= Ê

إيئلس	Eolos
إفروبا	Evropa
إفروبي	Evropie
إفروتس	Evrotas
إفريالي	Evrialie
إفريبلس	Evripilos
إفنثيس	Evanthis
إفنميا	Evnomïa
إلفسنين	Elevsinïon
إلفسيس	Elephsis
إنبيئس	Enipéos
إنذمين	Endhimïon
إنسخثون	Enocikhthon
إنكلاذس	Enkiladhis
إنيس	Enïas
إيتا	Eyta
إيتيس	Eïtis
إيخذنا	Ekhidhna
إيرفس	Erévos
إيفسس	Ephécos
إيفرس	Evros
إفغمس	Evphimos
إيفيا	Evvia
إيكوس	Eakos
إيوس	Eos
إيئا	Ea
إببفس	Epopèus
إبفوس	Epaphos
إبمثفس	Epimithèvs
إبيذفرس	Epidhavros
إتليّا	Etolia
إتنا	Etna
إثليا	Ethalïa
إخناذس	Ekhinadhès
إثوسا	Ethouça
إرخئونيس	Erikhthonios
إرسخثون	Ericikhthon
إرسي	Ercie
إركس	Eryx
إرنيس	Ernys
إروس	Eros
إغيني	Eghinie
إغيئس	Eghéos
إفرسيني	Ephrocinie
إفيالتس	Ephialtis
إفتيربي	Evterpie

Evrivia	إفرفيا	Evritos	إفرتس
Evridhikie	إفرذيكي	Evritïon	إفرتّين
Evrinomie	إفرنومي	Evriphaessa	إفرفائسا

إِ = I

Ilectra	إلكترا	Ilis	إيليس
Ilythia	إليثيا	Ilios	إيليُس
Imathion	إمثين	Ilion	إيلين
Inopion	إنبين	Iamvie	إيمفي
Inévs	إنفس	Ionia	إينيا
Ino	إنو	Io	إيو
Inopia	إنوبيا	Ion	إين
Iaçon	إياسن	Ipionie	إبيوني
Iaçion	إيسين	Ikho	إخو
Inomaos	إنومؤس	Idhmon	إذمون
Ipiros	إبيرس	Idhéi	إذيئي
Idha	إيذا	Sparte	إسبرطة
Iris	إيرس	Iphmidhia	إفمذيا
Iaço	إيسو	Ixion	إكسين
Ikaros	إيكرس	Ilissos	إلسوس

ب = P

Psykhie	ابسخي	Piça	بيسا
Paciphaïe	بسفائي	Piéria	بيريا
Psammathie	ابسمثي	Pighaços	بيغسس
Pessoinous	بسنوس	Pélops	بيلبس
Pyghmalion	بغملين	Pilion	بيلين

Paris	بارس
Paphos	بافس
Pan	بان
Pandhimos	بانذمس
Panthios	بانثيس
Patroclis	بتركليس
Pithon	بثون
Pithonissa	بثونسا
Potamidhès	بتميذس
Podhalirios	بذليريس
Protèvs	ابرتفس
Pyrra	برّا
Persèvs	برسفس
Persèphonie	برسفوني
Persis	برسيس
Porphirion	برفرين
Procris	ابركريس
Parcsitélis	ابركستيلس
Promithèvs	ابرمثفس
Parnassos	برنسوس
priapos	ابريبوس
Pornie	برني
Pritos	ابريتس
Pyrithoos	بريثؤس
Priamos	ابريمس
Pocidhon	بسذون
Pavsanias	بفسنس
Pallas	بلاس
Palatinus	بلتنس
Polidhevkis	بلذيفكس
Polidhectis	بلذيكتس
Pilevs	بلفس
Polivotis	بلفوتس
Palliki	بكلي
Ploutos	ابلوتس
Palodhie	بلوذي
Pliadhès	ابلياذس
Polivotos	بليفتس
Poliphimos	بليفمس
Pélion	بليون
Plionie	ابليوني
Pélias	بليس
Pendélicon	بنتلكون
Pindharos (Pindare)	بنذرس
Pandhora	بنذورا
Pandhia	بنذيا
Pontos	بنطس
Panghie	بنغي
Panakia	بنكيا
Pénélopie	بنلوبي
Pinios (Pénée)	بنيوس
Pothos	بوثس
Pitys	بيتس

ت = T

تيتيس	Tityos	اترزين	Trizin
تيرنثس	Tyrinthos	ترسيس	Tirécias
تيفن	Typon	اتريطن	Triton
تيندس	Ténédhos	ترو	Tiro
تينرس	Ténaros	اتروس	Tros
تينرن	Ténaron	تسفون	Ticiphon
تارترس	Tartaros	تغريس	Tighris
تافيتس	Taviétos	تفييتس	Taviétis
تانتلس	Tantalos	تلسفورس	Télesphoros
تتثين	Titthion	تلفوسا	Téléphouça
تتيئا	Titéa	تليغنس	Tiléghonos
تثيس	Tithys	تليمخس	Tilémakhos
تخي	Tikhie	تمبي	Tampie
اتربتولمس	Triptolémos	اتمولس	Tmolos
تربسخوري	Terpsikhorie	تنذارس	Tyndharis

ث = Th

ثاليا	Thalia	ثفماس	Thavmas
ثانتس	Thanatos	تؤوسا	Thoossa
ثرافيا	Thrace	ثيتس	Thétis
ثرغليون	Tharghilion	ثيرس	Thiris
اثرنكريا	Thrinacria	تئفاني	Théophanie
ثسليا	Thessalia	ثيبة	Thèbes
ثسفس	Thicèvs (Thèsée)	ثيمس	Thèmis
ثسمفورس	Thesmophoros	ثيا	Thia

ج= J

جامس	Jamos		

خ= Kh

خارس	Xaris	خيرن	Khiron
خارفذس	Kharivdhis	خيمرا	Khiméra
خركلو	Khariclo	خيوني	Khionie
اخرونس	Khronos	خيس	Khios
اخريسس	Khricis		

ذ= Dh

ذيكي	Dhikie	اذرياذس	Dhriadhes
ذيلس	Dhilos	اذريبس	Dhriops
ذيميذس	Dhiomidhis	ذريس	Dhoris
ذيونسس	Dhionyços	ذفكلين	Dhevcalion
ذيوني	Dhionie	ذمفون	Dhimophon
ذارذنس	Dhardhanos	ذميتر	Dhimitir
ذاريس	Dharios	ذنائي	Dhanaïe
ذافنس	Dhaphnis	ذنؤوس	Dhanaos
ذافني	Dhaphnie	ذيانرا	Dhianira
ذاكتلي	Dhactili	ذيذلس	Dhédhalos
ذامسكس (دمشق)	Dhamascos	ذئففي	Dhéiphovie
ذذون	Dhodhon	ذيكتس	Dhictis

ر= R

رذامنيس	Rhadhamanthis	ريتس	Rhétos
روذس	Rodhos	ريئا	Rhéa

Z = ز

زغرفس	Zaghrèvs	زيثس	Zithos
زفس	Zevs	زيفرس	Zéphiros
زيتس	Zitis	زينس	Zinos

S = س

سلنوس	Silinos	استيكس	Styx
سليني	Sélinie	استيمفلس	Stymphalos
سليني	Sileni	استثو	Sthéno
اسميرني (ازمير)	Smirnie	سذي	Sidhie
سمنيذس	Simonidhis	سربذون	Sarpédhon
سميلي	Sémélie	سرين	Sirine
سنغاريس	Singharios	سفو	Sapho
سوريا	Souria	سفاذيا	Savazia
سيرفس	Siriphos	سفاذيس	Savaios
سيريس	Sirios	اسكامنذرس	Scamandhros
سيرنكس	Sirinx	اسكتيا	Skithia
سيسفس	Sisiphos	اسكيلا	Skylla
سينس	Sinis	سكيوني	Sikyonie
سبتيريا	Septiria	سملكيس	Salmakis
استافلس	Staphilos	سلمنفس	Salmonèvs
استربيس	Stéropis	سلمنوس	Sélemons

Ç = ص

صور	Çour		

T = ط

اطروادة	Troada	اطروآس	Troas

غ= Gh

غالي	Ghalli	غلتيا	Ghalatia
غرذيس	Ghordhias	غليني	Ghalinie
غرغونس	Ghrghonès	غنميذس	Ghanimidhis
اغلافكي	Ghavkie	غيئا	Ghéa
اغلفكوس	Ghlavkos	غيئس	Ghéis

ف= F

فذيس	Phidhias	فنيقيا	Phénicie
افرغيا	Phryghïa	فوسفرس	Phosphoros
فرفاس	Phorvas	فولس	Pholos
فركيس	Phorkis	فئثوسا	Phaéthouça
فرنفس	Phoronèvs	فيفس	Phivos
فكيس	Phokis	فيفي	Phivie
افلغيس	Phlyghïas	فيليس	Philios
فلوس	Phallos	فينكس	Phinix

ف= V

فاكخس	Vackhos (Bacchus)	فسبرس (البسفور)	Vosporos
فثنيا	Vithinïa	فسرفس	Vassarèvs
افرفرون	Vravrone	فسلتيس	Viçaltis
افرنتيس	Vrontis	فسيرس	Vociris
فروئي	Véroïe	ففو	Vavvo
افريارئس	Vriaréos	فلرفون	Vellérophon
فرياذه	Voréadhé	فنذيس	Vendhis
فريئس	Voréas	فيتيا	Viotïa

ق = K

قبرص	Koubros (Chypre)

ك = C

اكليتيس	Clitios
اكليو	Clio
كلئوس	Kéléos
كمبنيا	Campanïa
اكنسوس	Cnossos
اكنيذس	Cnidhos
كوتس	Cotos
كورنثس	Corinthos
كوري	Corie
كوس	Cos
كومه	Cumae
كير	Kir
كيركي	Kirkie (Circé)
كيرفرس	Kervéros
كيفلس	Képhalos
كيكلبس	Kiclopès
كيليكية	Kilikia
كيمي	Kimie
اكستثوس	Xanthos
كسوتس	Cassotis
اكسوثس	Kouthos
كفسوس	Kyphiços
كفلي	Képhalie
كفرو	Caviro
كفكاز	Cavcase
كفيرا	Cavira
كفيلي	Kivélie
ككربس	Kécrops
ككنس	Kicnos
اكلارس	Claros
كلافريا	Calavria
كلبسو	Calypso
اكلنمنسترا	Clitemnistra
اكثو	Clotho
كلذون	Calidhon
اكلتيا	Clitïa
كاروئي	Calliroïe
كلستو	Calisto
اكلمبني	Climénie
كلنو	Kéléno
كلنوس	Colonos
كلوني	Colonie
كليبي	Calliopie
اكليتس	Clitos
كاذمس	Cadhmos
كاستر	Castor

كافري	Caviri
كالئس	Calaïs
كانثس	Canathos
كبارسس	Kyparissos
كبذكيا	Capadhokia
كثرون	Kithérone
كثيرا	Kithira
كذلين	Kidhalïon
كتو	Kito
اكرتئيس	Cratéis
اكرسا	Crissa
اكروتبس	Crotopos
كركين	Kirkion
كروني	Coronie
كريت	Carite "Crête"
كريتس	Couritès
كريفس	Corivas
كريفنتس	Corivantès
اكرينسا	Crinissa
اكريني	Crinie
كريني	Kirinie
كريا	Carïa
اكريس	Crïos
كستليا	Castalïa
كسانذرا	Cassandhra

ل = L

ليكس	Lycos
لينس	Linos
لاخسس	Lakhécis
لاذن	Ladhon
لامبكس	Lampasacos
لباري	Lipari
لبنان	Liban
لبيثه	Lapithé
لتو	Lito
لثي	Lithie
لفكثوئي	Levcothoïe
لفيا	Livia
لكؤن	Lycaon
لكريس	Locris
لكنيا	Laconïa
لكورغس	Licourghos
لكيئس	Likéos
لكيا	Lykïa
لمبتيا	Lampêtïa
لمتاذس	Lemnadhes
لمنس	Lemnos
لؤميذن	Laomédhon
ليذا	Lydha

م = M

ميغرا	Méghéra
ميلمبس	Mélampos
ميماس	Mimas
ميمنن	Memnon
مينس	Minos
ميئنذرس	Méandhros
مينلس	Ménélas
متانرا	Métanira
مخاون	Makhaon
مذوسا	Médhouça
مرثون	Marathon
مرسيس	Marsyas
مروبي	Méropie
مرني	Mirinie
مكذنيا	Makédhonïa
مكريس	Macris
مكينس	Mikinie
ملبميني	Melpoménie
مليوني	Molionie
ممفيس	Memphis
مناس	Ménas
منتر	Mentor
منثس	Minthos
منرفا	Minerva
امنسكليس	Mniciclis
امنمسيني	Mnimocinie
منيتيس	Ménitios
مورس	Moros
ميتس	Mitis
ميذس	Midhas
ميرس	Mérops
ميره	Mirai
ميسترا	Mistra

ن = N

نابلي	Napoli
نافبكتس	Navpactos
نافبليس	Navplios
ناكسس	Naxos
نياذس	Naïadhes
نبيئه	Napaié
نرفس	Nirèvs
نرئيذس	Niréïdhés

نرئيس	Niréis
نسروس	Nisros
نفيليا	Navplia
نكتفس	Nictèvs
نلفس	Nilèvs
نمفه	Nymphé
نمفي	Nymphie
نميئا	Néméa
نوتس	Notos
نيمسس	Némécis
نئيرا	Nééra

H =هـ

هلنوس	Hélénos
هليتروب	Héléotrope
هليسين	Hilicion
هلينا	Héléna
هليني	Hélénie
هليئرس	Héléorès
همتوس	Hymittos
هوره	Horai
هومرس	Homiros
هياذس	Hyadhès
هياكنثس	Hyakinthos
هيرا	Hira
هيرفانتس	Hiérophantis
هيسبرس	Hespéros
هيفي	Hivie
هيفستس	Hiphestos
هيليس	Hilios
هبرين	Hipérion
هبليتي	Hypolitie
هبوثؤس	Hippothoos
هجي	Hygie
هربالي	Harpalie
هربينا	Harpina
هركليا	Hiraclia
هركليس	Hiraclis
هرمنيا	Harmonia
هرمفرودتس	Hermaphrodhitos
هرميس	Hermis
هريفس	Hirievs
هسبريذه	Hespéridhé
هستيا	Hestia
هسيذس	Hiciodhos

هيمرس	Himéros	هغيا	Hyghia
هاربيه	Harpiai	هكاتي	Hécatie
هاذس	Hadhis	هكتونخري	Hécatonkhiri
هبذميا	Hippodhamïa	هلكون	Hélicon
هبرينر	Hipérinor	هلين	Hellin

ي = I

يبتوس	Iapétos	يوبتر	Ioupiter

مراجع كتاب الأسطورة اليونانية

La Mythologie. E. Hamilton. Paris, 1962.

Mythologie universelle, A. H. Krappe, Paris,. 1930

Mythologie générale, F. Guirand, Paris, 1935.

Dictionnaire de Mythologie, H. Aubert, Paris, 1945.

Dictionnaire de Mythologie, H. Aubert, Paris, 1945

Les légendes mythologiques de la Grèce et de Rome, Paris. 1945.

Histoire illustrée de la littérature grecque, Y. Humbert, Paris. 1947

Histoire de la science grecque de Thalès à Socrate, R. Baccou. Paris, 1951.

Hist. Gén. des sciences I, science antique et médiévale. P. U. F. Paris 1957.

Dictionnaire des antiquités, Dezobry et Bachelet, Paris, 1863.

Hist. de la littérature grecque. A. et M. Croiset. Paris, 1933.

Manuel des études grecques et latines. L. Laurand. Paris, 1946.

Piécis d'histoire de la philosophie. Thonnard, Paris, 1945.

Aristote, la métaphysique, trad. Y Tricot. Paris, 1948.

Aristote, l'organon, trad. Y Tricot. Paris, 1948.

Aristote, de l'âme, trad. Y Tricot. Paris, 1948.

Pindare, œuvres, Coll. G. Budé. Paris, 1949.

Platon, œuvres, Coll. G. Budé. Paris 1949.

La Politique d'Aristote. Trad. A. Barbara, Beyrouth, 1957.

Lucien de Samosate, œuvres. E. Chambry. Ed. Garnier, Paris. 1934.

Diogène Laërce, œuvres R. Genaille, Ed. Garnier, Paris. 1933.

Bergson. Œuvres, P. U. F. Paris 1959.

n

الصفحة

الصفحة

الباب الثاني

الصفحة

الْبَابُ الثَّالِثُ

الطبعة الثانية / ٢٠١٤م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤م

سعر النسخة ٤٤٠ ل.س أو ما يعادلها